مجلة مجمع اللغة العربية بالشارقة

العدد الخامس – يونيو 2023 م



ض

البَصْمَةُ اللُّغويّةُ
في أدبِ أبِي حَيَّانَ
التّوحيدِيِّ الحِوَارِيّ

المُسْتَشْرِقُونَ وَحَقِيقَةُ
الشِّعْرِ الجَاهِلِيِّ

سورُ الشارقةِ
القديم

نسخة بي دي إف (PDF)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ
ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ
وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ
عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾

[فصلت ٤٤]

صدق الله العظيم



اللّغة العربيّة هي انتماؤنا لهذا الدّين القيّم، اللّغة العربيّة هي مخزون تاريخنا وثقافتنا وعلمنا، اللغة العربيّة هي التي تثبّت إيماننا بديننا، واللغة العربيّة هي التي توحدنا من أقصى الشّرق إلى أقصى الغرب بلسانٍ عربيٍّ مبين.

صَاحِبُ السُّمُوِّ الشَّيْخُ الدُّكْتُور سُلْطَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ القَاسِمِيُّ

عُضْوُ المَجْلِسِ الأَعْلَى لِلِاتِّحَادِ حَاكِمُ الشَّارِقَةِ

المحتويات









مجلة مجمع اللغة العربية بالشارقة

مجلة أدبيّة لغوية تصدر عن

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

السنة الأولى – العدد الخامس – يوليو 2023 م

مجلة أدبية لغوية تعنى بقضايا اللغة العربية وآدابها

رئيس التحرير

د. امحمد صافي المستغانمي

أعضاء التحرير

أ.د. بن عيسى باطاهر

د. هشام دقاق

أ. شيماء عبد الله

أ. هبة هشام

منسق العلاقات العامة

أ. ماجد الهولي

أ. رشا أبو جهين

التصميم والإخراج

سارة علي

المراسلات

هاتف : 400 60 51 6 971+

فاكس : 401 60 51 6 971+

ص.ب : الشارقة ، 1973

www.alashj.ae shj_ala

info@alashj.ae Sharjah.ala

مجمع اللغة العربية بالشارقة

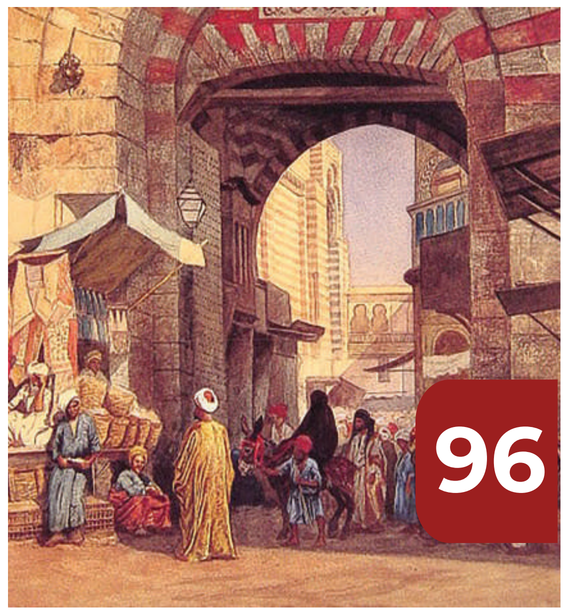
امسح الرمز

لزيارة موقع مجمع اللغة العربية بالشارقة

لمشاركاتكم ومقترحاتكم يرجى التواصل على البريد الإلكتروني

Magazine@alashj.ae







ماذا يُريدُ أبناؤنا؟ وماذا نُريدُ لهم؟

حينَ يُفكّرُ الآباءُ والأمّهات في مُستقبل الأبناء والأحفاد، تتوالى على نفوسهم غُيومُ الحزن، وتغشى وُجوهَهم سحائبُ الأسى. تُرى ماذا نُريدُ لأبنائنا؟ ماذا يُريدُ كلُّ أبٍ مسؤول لفلذات كبده؟ ماذا تُريدُ كلُّ أمٍّ حنون لبنيها وبناتها، وهي ترى عقاربَ المَكر تُحيطُ بهم، ودَسائسَ السُّوء تُنسَجُ لهم، ومصايدَ الانحراف تتَخَطَّفُهُم وتُوقِعُهم في شباكها الواحد تِلْوَ الآخر.

إلى متى والغفلةُ تكسونا، وحُسنُ الظَّنّ يقودُنا، والتَّجاهُلُ يسوقُنا، والتَّغافُلُ يُخيِّمُ علينا، وحُسنُ التّعايُش مع حضارات الآخرين يُسلّينا ويُخدِّرُنا؟. نأمُلُ، والآمالُ لا تنتهي، ونُمَنّي النّفوس، والأماني لا شاطئَ لها، والأيّامُ تَنْحَتُ أجسامَنا نَحْتًا، واللّيالي تفُتُّ عظامنا فتّا؟؟



د/ امحمد صافي المستغانمي
الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة

وقديمًا قال الواعظُ الحكيم: ابنَ آدمَ، إنّما أنتَ أيّامٌ مجموعة، وأنفاسٌ معدودة، وكلَّما غابت شمسُ يوم، غابَ منك بعضُك. أعاصيرُ الشّباب تعصِف، وجيوشُ الشَّيْب تزحَفُ، والقلوبُ في غفلة، والأفئدةُ في سَكْرة، والنّفوسُ في غَمرة.

نضارةُ وجهك، أيُّها الفتى، إلى شُحوب، وبهجةُ فُتُوّتك إلى غُروب، ونَجْمُك إلى أُفول، ونشاطُكَ إلى زوال، وشبابُك إلى اضمحلال، فما لي أراك تسأل وتقول: هل من مزيد؟؟

أين أنت يا بُنَيَّ من وصيّة ابن عمر رضي الله عنه: «إذا أمسيتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وخُذْ من صِحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

كتائبُ المنايا تُحيطُ بنا، وجيوشُها تزحَفُ نحونا، وطولُ الأمل يُغْرينا، ونفوسُنا بالعاجل مُولَعَةٌ، وبجمع الأموال مفتونة، وبحُبّ الدّنيا مُزعزعةٌ مُضَعْضَعةٌ مُصَدَّعة.

والمرءُ يأمُلُ والحيـاةُ شَهيّةٌ
والشّيبُ أَوقَرُ والشّبيبةُ أنْزَقُ
نَبْكي على الدُّنيا وما مِنْ مَعْشَرٍ
جَمَعَتْهُمُ الأيّامُ فَلَمْ يَتفرَقوا
أينَ الأكاسِرَةُ الجبابِرَةُ الأُلى
كَنَزوا الكُنوزَ فما بَقِينا ولا بَقُوا
خُرْسٌ إذا نُودُوا كَأنْ لم يعلموا
أنّ الكلامَ لهم حلالٌ مُطلَقُ

جيلُ اليوم ينغمسُ في الفتنة بعد أختها، كلّما سمِعَ هيعةً إلى حفلة طارَ إليها، وكلّما وقعت عينُهُ على شكلٍ جديد من أشكال الألبسة الكاسية العارية، أو وسائل التّجميل أو أساليب التّرفيه، شمّرَ سواعده للحصول عليها...

أبناءُ اليوم، يتعبّدون في محاريب الهوى، ويَخْضعون في معابد الجمال المؤقّت، ويركعون ويسجدون أمامَ بريق المُخترعات والتَّسَوُّق، وجواذب التّرفيه والتّأنُّق. يتخيَّرون في المشرب والمأكل، ويترفَّهُون في المظهر والملبس، يسيلُ لعابُهم عند زُخْرُف متاع الدّنيا، وما علِموا أنّ زخارفَ الحضارة المادّيّة كالبرق الخُلَّب الذي يُطمِعُ ويَخْدَعُ، وكسحابة الصَّيف التي سرعان ما تغيب وتتقشّع. والكيّسُ اللَّبيبُ، والفطِنُ الأديبُ هو الذي يقيسُ ويُوازن، ويُحلّل ويُقارِن، ويَنْأى بنفسه، ويعلو بجنابه عن مهاوي الرّدى وحمآت الغيّ والضّلال:

إنّ للّهِ عبــادًا فُطَنا
طلَّقوا الدُّنيا وخافوا الفِتنا
نظروا فيها فلمَّا علِمُوا
أنّها ليسَتْ لِحَيٍّ وطَنا
جعلوها لُجّةً واتّخذوا
صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنا

أبناءُ اليوم نائمون في غطيط عميقٍ في حبّ الدُّنيا، تتقاذَفُهُم فيها أمواجُ الأحلام البعيدة، والخيالاتُ المُجنِّحة، حتّى إذا جاءهم رَيْبُ المنون استيقظوا وانتبهوا، ويصدُقُ فيهم قولُ الحكيم: النّاسُ نيامٌ، حتّى إذا ماتوا انتبهوا، وآية التّكاثُر تصيحُ في أسماعهم وبصائرهم: {ألهاكُمُ التّكاثُرُ حَتّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ}.

ماذا يريدُ أبناؤنا؟ فيمَ يُفَكّرون؟ هل لديهم تخطيطٌ لمستقبل أيّامهم؟ ما معالمُ الخُطط التي يَنْسجونها؟ فيمَ يَقْضُون بياضَ أيّامهم وسوادَ لياليهم؟

لا تجدُ شابًّا في زماننا هذا إلّا وله بالجسم عناية، وبالزّينة دراية. يتهافتون على اللّذّات كالفراش المبثوث، ويسيلُ لعابُهم في تحصيل الشّهوات كالعطشان الملهوث، يتتبَّعُ السَّرابَ في الذّهاب والإيّاب، يَحْسَبون كلَّ صيحة من المُوضات الحديثة تُناديهم، وتناجي ضمائرهم، فلا يَسْطيعون لها رَدًّا، ولا يستطيعون عليها صبرا.

عابدون في محاريب البريق المادّي، ومُتبتّلون في صوامع الجمال المزَيَّف، ومنقطعون في أديرة الفتن والشّهوات. لا جلَدَ لهم أمامَ فتنة الشّهوات والملذّات، ولا صبرَ لهم أمام جواذب المعاصي والمُحرّمات...

وإذا سألتَ أحدهم: أينَ أنتَ من طلب العلم؟ ما الذي يمنعُك أن تسلُكَ سبيله، وأنتَ تعلمُ فضله وشريفَ نتائجه؟ إذا سألتَ، فإنّك لا تجدُ من أبنائنا إلا التَّسويفَ والتّأجيل، والبحث عن المسوّغات، وصَوْغَ المعاذير.



إذا كانَ يُؤذيكَ حرُّ المصيف
وكَرْبُ الخريفِ وبَرْدُ الشّتا
ويُلهيكَ حُسْنُ جمالِ الرّبيع
فَأَخذُكَ للعلم قُلْ لي: متى؟؟

لا ريبَ أنَّ الذي نعيشُهُ ونَحْياه، ونُبْصِرُهُ في واقع أبنائنا ونراه، يَفُتُّ الصَّخر، ويفطِرُ الأكباد، وتسيلُ منه نفوسُ الأحرار كمدًا. وبالمقابل: ماذا يُريدُ الآباءُ والأمّهات، وأنا الآن أنطقُ بألسنة الآباء، وأحاولُ التّعبير بأفواه الأمّهات، والتّفكير بما يدور في خَلَد أصحاب الأُسر وأرباب العائلات، ويؤرّقُهم ويُبعِدُ الكرى عن جفونهم.

نريدُ لكم، أيّها الأبناءُ الأعزّاء والبنات الحنونات الطّاهرات، العَيْشَ في رحاب مكارم الأخلاق، ورُبوع القِيَم، وساحات النُّبْل، والتّحليق في سماء الخصال الكريمة، وفضاءات العلوم والمعارف.

يُطرِبُنا ما أطربَ شاعرَ النّيل فأحسن التّعبير وأجاد:

إنّي لَتُطرِبُني الخلالُ كريمةً
طَرَبَ الغريب بأوْبَةٍ وتَلاق
ويَهُزُّني ذِكرى المروءة والنَّدى
بينَ الشَّمائل هِزَّةَ المُشتاق
فإذا رُزِقتَ خليقةً محمودةً
فقد اصطفاكَ مُقسِّمُ الأرزاق
ولَوَ انّني خُيِّرْتُ كلَّ فضيلةٍ
ما اخترتُ غيرَ محاسنِ الأخلاق

نريد لكم، أيّها الأبناء، أن تطرقوا أبواب العلوم، وتَسْلُكوا سُبُلَ المعارف، وتنهجوا فِجاجَ البحث والتّنقيب العلميّ، وتجوسوا خلال ديار الثّقافة، فإنّكم -إذا فعلتم- تُزيلُون حُجُبَ الجهالات عن أنفسكم، وتستقبلُون أنوارَ المعارف، وتعيشُون هُداةً مَهْديين، غيرَ ضالّين ولا مُضِلّين، أئمّةً محمودين، سادةً في المجتمع، وقادةً في الإنسانيّة، تسيرون بأمّتكم نحو الخير والتألّق والفلاح.



بأَخْذِكَ بأسباب العلم، يا ولدي، تنالُ شرَفَ طاعة الله تعالى، وشرَفَ طاعة النّاس، وتتقلّدُ مقاليد الأمر والنّهي. العلمُ جمالُ مَنْ لا جمالَ له، وزينةُ من لا زينة له، وهو سلاحُك في دُنيا الأسباب، به تُفْتَحُ لك الأبواب، وتُمَهّدُ الصّعاب، وتُقضى الحاجات، ويُجلَبُ النّصر والتّمكين.

العلمُ، يا ولدي، حياةٌ للقلوب، وبَلْسَمٌ للنُّفوس، وإكسيرٌ للبهجة، وجالبٌ للسّعادة: {يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اسْتَجيبُوا للهِ وللرَّسُولِ إذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْييكم} .

كلُّ عِزٍّ لم يصُنْهُ علمٌ، فهو إلى زوال، وكُلُّ مُلكٍ لم يُؤَيَّد بالعلم ولَمْ يُوَطَّدْ بالحكمة، فهو إلى اضمحلال. العِلْمُ يبني البُيوتَ الشّريفة، ويُشيِّدُ الصّروحَ المنيفة، وصدق الشّاعر الحكيم:

العلمُ يبني بُيُوتًا لا عمادَ لها
والجهلُ يهدِمُ بيوتَ العِزِّ والشّرَف

العلماءُ، يا بُنَيَّ، هم الأنفُ والوجهُ والجبهةُ الغرّاءُ.

وفوائدُ العلم تكتنِفُك أينما حَلَلْتَ، ومنافعُهُ تمشي في ركابك أينما رَحَلْت، وبُستانُكَ في صدرك أينما سَكَنْتَ وقطنت، وتأتيك خيراتُه ولَوْ بعدَ حين، وتتوالى عليك بركاتُهُ حيّا وميّتا.

أين الإمامُ مالك الأصبحيُّ الذي ملأ بعلمه الدُّنى؟ ذهب في الذّاهبين إلى الله عزَّ وجلَّ، ولكنَّ مُوَطّأَهُ يَشِعُّ على العالمين في كلّ آن وحين.

أين الإمامُ الأعظمُ أبو حنيفة النّعمان الذي ملأ الأرض في عهده فِقْهًا وفَهْما وكياسة ودراسة، انتقل إلى الرّفيق الأعلى، وبقي علمُهُ وفقهُهُ يدينُ به أهلُ العِراقَين، ومَنْ شاء من أبناء المشرقين والمغربين.

وأين الشّافعيُّ الألمعيُّ، وابنُ حنبل الوَرِعُ التّقيُّ، وقبلهما حَبْرُ الأمّة وترجمانُ القرآن؟ بل أين صحابةُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذين شربوا من معين النُّبُوّة فارْتَووا، وانتشروا في بقاع الأرض معلّمين وهادين ومُرشدين ومجاهدين؟

كلُّ ما تملكهُ وتحرصُ عليه يا بُنيّ في دنيا النّاس، يزول ويهلك، ويبقى العلمُ النّافعُ الأبرك، الذي يهدي به الله الجليل القلوب، ويُبَصّرُ الأفئدة، ويُهَذّبُ النّفوس. إذا اخترتَ طائفةً تعتزي إليها، وفئةً تأوي إليها، فاخترْ طائفةَ العلماء، فالنّاسُ موتى وأهلُ العلم أحياء.

العلم حياة للقلوب وبلسم للنفوس،،، وجالب للسعادة

ولا تَفْهَمَنَّ، بِضَرْبي لك أمثلةً بأسماء بعض الفقهاء وعلماء الشّريعة، أنَّ العلمَ الذي أوصيك به هو الفقه الدّيني فقط؛ فهذا غيرُ مُراد، ونَقصٌ في الاستيعاب، وأجدّدُ القول: إنَّ العلمَ الذي تنالُ به خيرَ الدّارين، هو كلُّ علم نافع يُضيفُ لبنةً إلى صرح الإنسانيّة العظيم.

وإذا كان أصحابُ الدُّثور يَخْشَوْنَ من ضياع أموالهم، واهتزاز عروش ممالكهم، فإنَّ صاحب العلم النّافع لا يخشى عليه لِصًّا، ولا يفلتُ منه شيءٌ ما دام اللّيلُ والنّهار، وما لاح نجمٌ وغار.

عِلْمي مَعِي حيثُما يمّمتُ يتبَعُني
قلبي وِعاءٌ له لا بَطْنُ صُندوق
إن كنتُ في البيت، كانَ العلمُ فيه معي
أو كنتُ في السّوق، كان العلمُ في السّوق

وإذا كان أصحابُ الأموال، يَخافون من نفاد أموالهم، ويفزعون لهلاك أرزاقهم بالإنفاق، فإنَّ العلمَ يزداد بكثرة الإنفاق. وإذا كانت صنائعُ المعروف تَقي مَصارِعَ السّوء، فإنَّ ساعات العلم وليالي التّحصيل تُوَرِّثُ المجدَ المُؤَثَّل والعِزَّ المُبَجّل.

واعلم، يا بُنيّ، أنّ كلَّ وِعاء بما وُضِعَ فيه يضيقُ إلاّ وعاءَ العلم فإنّه يَتَّسِعُ، وكلّما ازدَدْتَ علما، ازداد عقلُك اتّساعا، وقلبُك انشراحا، فاجتهدْ في التّحصيل وقل: هلْ من مزيد؟

مَنْ ذاقَ حلاوةَ العلم، ولذّةَ التّفكير، وامْتَشَجَ بوجدانه حُبُّ الكلمة، واختلط بأحشائه حُسْنُ العبارة وصوابُ الفكرة، فإنّه يعيشُ في سعادة ولذّة لَوْ علِمَها الملوكُ لقاتلوا لتحصيلها بالسّيوف، وأزهقوا المُهَجَ دونها.

جمالُ الآنسات الحَسناوات، وفتنةُ الوَسيمات السّاحرات، وبهاءُ الغيد الهيفاوات، وبريقُ الشّقراوات النّاعمات، ليسَ شيئا يُذكَرُ مع لذّات العلوم، وجمال المعارف، وسعادة المتعلّم الذي تَتَبَخْتَرُ الحُجّةُ في ذهنه تبختُرًا، وتتأجّجُ المسائلُ في صدره تأجُجا، مُمْتلِكًا أزمّةَ بيانها وتبيينها للنّاس.

ليس شيءٌ من بريق المادّيّات يَعْدِلُ مُعانقةَ الكُتُب، وصُحبَةَ القراطيس، وصداقَةَ الأقلام، وبهجةَ الكتابة، ومُحاورة أهل العلم من خلال ما كتبوا وسطّروا، ومُجالسة أهل الفكر الذين جادوا ببنات أفكارهم في شتّى المعارف والعلوم والفنون.

ورحِم اللهُ جار الله الزّمخشريّ الذي أسَرَتْه الكلمة، واستهوته العبارة، وعاشَ حياته سابحا في لُجج البلاغة القرآنيّة وفنون الآداب والأشعار، حين قال:

سَهَري لِتَنْقيح العُلوم ألَذُّ لي
مِنْ وَصْلِ غانيَةٍ وطيبِ عِناقِ
وصَريرُ أقلامي على صَفحاتها
أحْلى مِنَ الدَّوْكاء والعُشّاقِ
وألَذُّ من نَقْر الفتاة لِدُفّها
نَقْري لأُلقِيَ الرَّمْلَ عن أوراقي
وتمايُلي طَرَبًا لحلّ عويصة
في الدَّرْس أشهى من مُدامة ساقِ
أأبيتُ سَهرانَ الدُّجى وتبيتُهُ
نَوْمًا وتبغي بعدَ ذلك لِحاقي؟؟

وإذا أدْرَكْتَ عظمةَ العلم، وذُقتَ شيئا من حلاوته، وارتشفتَ سلافةً من عذوبة شرابه، وزَنْجبيلِ كأسِه، ومَعين سَلْسَبيله، فإنّك لا تستبدلُ به غيرَه، ويزدادُ به حُبُّك وشغفُك، ويضطرِمُ به جواكَ وكلَفُك، وتغتدي لا تَبْغي به بَدَلا، ولا ترجو عنه حِوَلا.

وإذا كان من وصيّة خاصّة في شأن العلوم وكيفيّة نيلها والدُّنُوّ من حماها، فعليك يا ولدي، بعلوم الآلة، وهي كلُّ العلوم التي تُساعِدُ العاقلَ على فهم النّصوص، وإدراك أسرار العربيّة، وحُسن الإبانة بها. وما هو ضروريّ منها فلا مناصَ من خَوْض لُجَجِه، وسَبْر أغواره، وإتقان مباحثه وفصوله مثل النّحو والصّرف وعلوم البلاغة والعروض وفقه الفروق اللُّغويّة وغير ذلك من الفنون والعلوم التي هي عُمدةُ الكلام، ووسائلُ الفصاحة والبلاغة.

ولا تتوقّفْ عند علوم الآلة، فهي وسائلُ مُساعِدة مُساندة، وإنّما تكوينُ المَلَكة البيانيّة الثَّرّة الخصبة المِعطاءة المِثراءة، يعتمدُ على خاصّيّة الحِفظ، وخيرُ المحفوظ وأجلّهُ القرآنُ الكريم، ومُتونُ الحديث الشّريف، فاكْتَرِعْ منهما وتَضَلّعْ، واشْرَبْ منهما وتمتّع، وعليك بالشّعر، فإنّ فيه، على حدّ تعبير عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، مَحاسنَ تُبتغى، ومساوِئَ تُتّقى.

بالشّعر، ينساقُ لك التّعبير، ويسهلُ بين يديك البيان، وتُنتِجُ قريحتُك بدائعَ الحِكَم، وروائعَ الكَلِم، ويُصبحُ حديثُك كالشَّهْد والعسل المُصفّى أو هو ألَذُّ وأطيبُ، وتنظِمُ مَلَكتُك الدُّرَّ الثّمين، وتبسُطُهُ بَسْطَ اللُّؤلُؤ المكنون.

هذا، ولستَ بقادرٍ أن تأتي بكلام عظيم في معناه، بديعٍ في مَبناه، حتّى يتّسقَ كلامُك وينسجمَ مع العلم. الكلامُ القائمُ على العلم جواهرُ، فإذا انتظمَ في سياقٍ خَطابيّ كان عُقودا وقلائد.

أتمثّلُك، يا ولدي، رَفيقَ الأنبياء في دروب الصّلاح، مُقتديًا بهم في طهارة الباطن، وسلامة الظّاهر، مُقتفيًا آثارَهم، مُتَّبعا لهم في العبادات، مُتَحَلّيًا بما تَحَلَّوا به من كريم الفعال، وعظيم الخصال.

أتمثّلُك آدَمِيَ الخِلْقة غيرَ ساعٍ لتغييرها كما يفعل المطموسون اليوم، داعيا اللهَ العظيم أن يرزقك بركةَ عُمْرِ نوح، وهمّة إبراهيم الخليل وقُوَّةَ إيمانه، وحُسنَ توكّله.

أراكَ يا ولدي إسماعيليَّ الوَعْد، إسْحاقِيَّ العلم، يُوسُفِيَّ العَفو والصّفح والحِلْم.

أتمثّلُك مُوسَوِيَّ الشّجاعة والمُروءة، هارُونيَّ الرّأفة، عيسَوِيَّ الرّحمة والحَنان، شَبيهًا بزكريّا في بِرّه بوالديه، وتَحْنانه على أبويه.



وإذا اسْتَنَرْتَ بمسالك الأنبياء، واسْتَفَدْتَ من كُلّ نبيٍّ صفةً من صفاته، وقلّدتَه في نَعْتٍ من نعوته، فإنّي أناجي ربّي وأدعوه، وأتضرّعُ إليه وأرجوه أنْ يجعلك مُحَمَّدِيَّ الأخلاق، فإنّ أخلاقه الزُّهْرَ وخصاله الغُرَّ لا تُجارى ولا تُبارى، وقد أثنى عليه خالقُهُ العليمُ الحكيمُ في محكم التّنزيل قائلا: {وإنّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيم}.

وأرجو لك يا ولدي، بعد الاقتداء بالأنبياء والمُرسلين، أن تُوَلّيَ وَجْهَك شَطْرَ المؤمنين الصّالحين، والهُداة المَهْديّين، والأعلام المبرّزين، فَتَنْهَلَ من زُهْد ابن المبارك، وعِلْم سعيد بن جبير، وفقه مالك، وأحكام الشّافعيّ، وحكمة أبي حنيفة، وتَسْتَمْسِكَ بآثار إمام السّنّة والحديث أحمد ابن حنبل، وتتذوّقَ بيان الجاحظ وتَبْيينَهُ، وتستنشقَ عِطْرَ مواعظ الحسن البصريّ، وتغوصَ في بحور عقل الفخر الرّازي، وتدنو من بلاغة الزّمخشريّ، وتقتفيَ خطوات حُجّة الإسلام الغزالي في تَقَشُّفه وتَقْواه، ومُحاكماته لنفسه وكَبْت هواه، وتَسْعَدَ بصُحبة أسفار المفسّرين ومَرْويّات المُحَدّثين، ومُدَوّنات الفقهاء المُبرّزين، ودواوين الشّعراء والأدباء المُفلِقين.

أتَصَوَّرُكَ يا ولدي، حَليفَ مجالس الجِدّ لا حليفَ مجالس اللَّعِب والنَّرْد، جليسَ الكتاب لا جليسَ المقاهي، نديما لخزائن الكُتب والمكتبات، لا نديما للسُّفهاء والبطّالين. حِلْسَ عمل، لا حِلْسَ أحلام، تقضي نهارك في العلم والعمل الجادّ، وتبيتُ ليلك في مُباحثة الكتب ومجالسة أهل العلم.

ويزدادُ سروري حين أراك يا ولدي في المكتبات ومعارض الكتب، تُقَلِّبُ هذا الكتاب وذاك، ويزداد حُبوري وتتضاعفُ بَهْجتي حين أراك في ندوات العلم ومسارح الشّعر، ومُدَرّجات الكلّيّات والجامعات، ودروس المساجد والجوامع.

فإنّك إذا فعلتَ، وإنّي داعيك إلى الجِدّ والاجتهاد في فِعْل ذلك، ستنالُ خيرَ الدّارين، وتظفَرُ بغنائم الفَتْرَتين، وتجْنِيَ قُطُوفَ الحُسْنَيَيْن، وتعيشُ في دنياك حياة الطّيّبين، وتفوزُ في أخراك فَوْزَ السّابقين المُقَرّبين.

هذه كلمتي إليك يا بُنَيَّ، وهي كلمتي إلى جميع الأبناء والبنات. هذه رسالةٌ بلسان كلّ والد، ونيابةً عن كلّ والدة، وما يرجو الآباء للأبناء والبنات إلاّ الخيرَ والرّشاد والسّداد، والفوز والتّألّقَ والفلاح.

ألا هل بلّغت؟ ألا هل بلّغت؟ ألا هل بلّغت؟. اللَّهُمَّ فاشْهَدْ، وصلّى الله على نبيّنا محمّد، الأغرّ الأمجد، وعلى آله وصحبه وأزواجه ومن اقتفى آثارهم بإحسان إلى يوم الدّين، آمين.

هَلْ مِنْ سَبيلٍ إلى مُعْجَمٍ تاريخيٍّ طُلّابيٍّ؟

إنَّ ممّا يتأكَّدُ الاعتزازُ به في اللُّغةِ العَربيّةِ وفرةَ الكُتُبِ التي وصلَتْنا ممَّا يتعلَّقُ بعلُومها، وهذا مضمونُ ما ذكرَه المُستشرقُ الألمانيُّ أُوغسْت فِيشر، الذي رأى أنَّها أحقُّ اللُّغاتِ في الفَخارِ بذلك، وذكرَ أنَّها في حاجةٍ مستمرَّةٍ لتنسيقِ مُفرداتِها الكَثيرةِ ضِمنَ قواعِدَ وضَوابطَ مُعجميّةٍ، وقد عُنِي بذلك عُلماءُ العَربيَّةِ عِنايةً فائقةً فجمَعُوها منَ الباديَةِ فيمَا سُمِّي بالمُعجَمِ بَدءًا منَ العينِ للخليلِ الفَراهِيدِي وصاحِبِه اللَّيثِ بنِ المُظفَّرِ الكِنانِيّ.



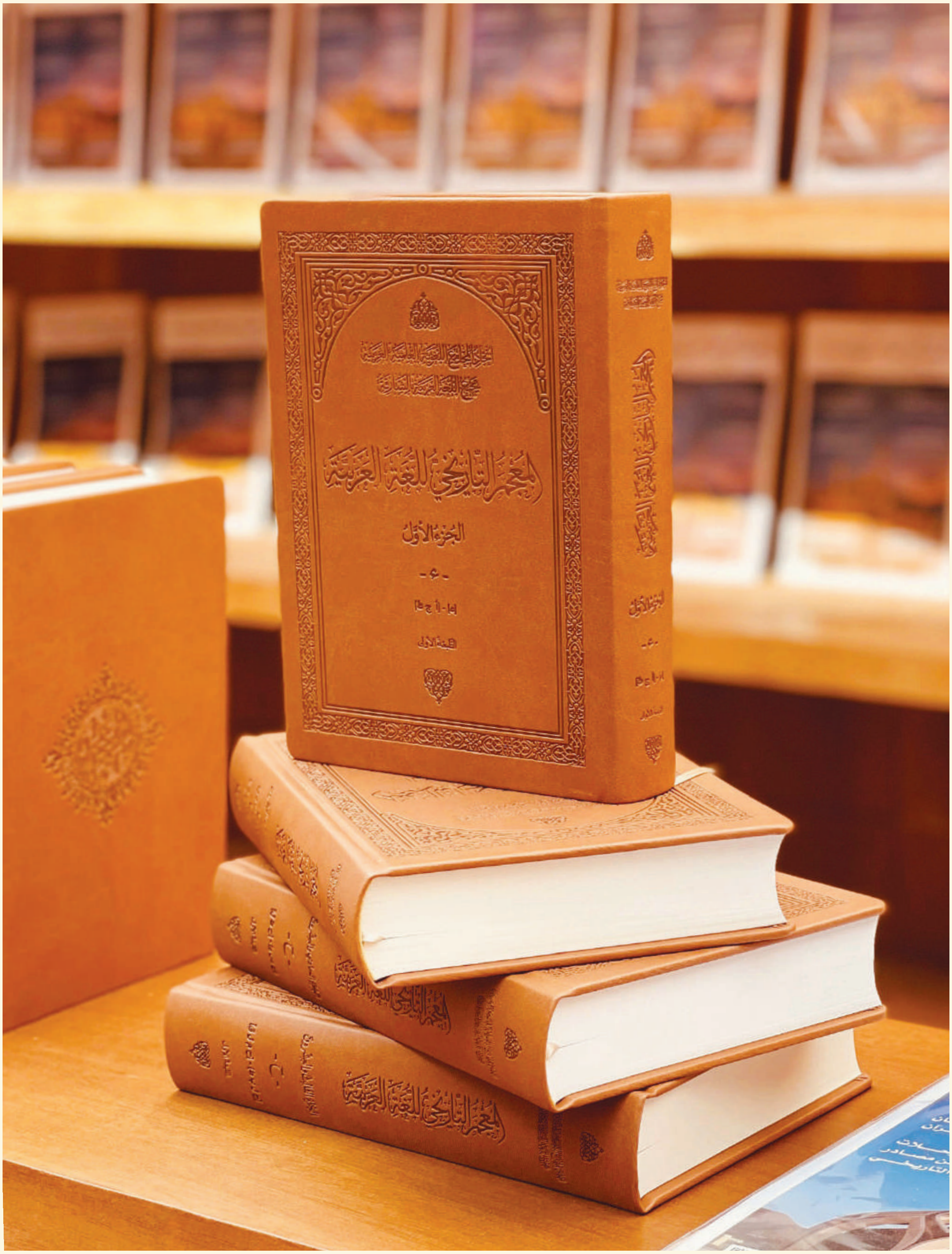
د/ أحمد فراج العجمي
خبير بالمعجم التاريخي/الشارقة

تَنبثقُ فكرةُ المُعجمِ التَّاريخِيِّ الطُّلابيِّ من فكرةٍ قائمةٍ بالفعلِ، وحُلْمٍ كَثِيرًا مَا رَاودَ المُشتغلين بعلومِ اللُّغةِ العَربيّةِ، بل الأمّةَ العَربيّةَ بأسْرِها، حتى هبّتْ دولةُ الإماراتِ العربيّةِ المُتّحدةِ ضمْنَ سياستِها المُتعلِّقةِ بحمايةِ اللُّغةِ العَربيّةِ وعاجَلتْ بتنفيذِ هذا المَشروعِ، فشمَّرَ عن ساعدِهِ من أجل تحقيقِ هذا الحُلم صاحبُ السُّموِّ الشيخُ الدكتورُ سُلْطَانُ القاسميُّ فآمن بالفكرةِ، وهيّأ لها مُخَطِّطين، وخُبراءَ وعلماءَ مُحقّقين، حتى رأتِ الفكرةُ النُّورَ، وغدَوْنا نتحدَّثُ عنِ "المُعْجَمِ التَّاريخيِّ للُّغة العربيةِ" بوصفه كائنًا موجُودًا، وليسَ فكرةً بعيدةَ المَنالِ كمَا كنَّا نتحدَّثُ عنها قبْلَ ثلاثةِ أعوامٍ فقط في مُلتقياتِنا ومُؤتمراتِنا ومَجالسِنا، وشبَّ الوليدُ ابنُ الأَمسِ وبلغَ ستّةً وثلاثين مُجلّدًا في أحْدثِ إصدارٍ له بمعرضِ الشّارقةِ الدَّوليِّ للكتاب لعام 2022م، برعايةِ مجمعِ الشّارقةِ للُّغة العربيةِ واتّحادِ المجامعِ العربيّةِ.

ولأنّني عملتُ خبيرًا لُغويًّا بهذا المُعجمِ الأهمِّ بين مُعجَماتِ العَربيةِ، كمَا أنّني ذو اتِّصالٍ وثيقٍ بالعملِ التّدريسيِّ والتّربويِّ؛ فقدِ اتَّقدتْ فكرةُ "المُعجمِ التَّاريخيِّ الطُّلابيّ" في ذهني منذ لامَستُ العملَ عن كثبٍ بالصَّنعَةِ المُعجميّةِ.

ظَهرتِ الحاجَةُ الشَّديدةُ إلى المعاجِمِ الطُّلّابيّةِ أو ما يُسَمَّى بالمعاجِمِ المَدرسيَّةِ؛ مع تَطوُّرِ العُلومِ التَّربويةِ وانتشارِ المَدارسِ النِّظاميةِ في العصرِ الحديثِ؛ إذْ شعرَ الطُّلابُ بصُعوبةِ المعاجِمِ التَّقليديةِ وبُعدِ مأخذِها، وزادتِ الحاجَةُ إلى تلك المعاجِمِ بعدَ الاطِّلاعِ على مَثيلاتِها في اللُّغاتِ الأجنبيةِ ومُلاحظةِ سهولةِ البحثِ فيها، ونتجَ عن هذا الشُّعورِ تيّارٌ بَحثيٌّ يَسعَى إلى ضبطِ مناهجِها وَفقًا للمَدارسِ التّربويّةِ المُختلفة، فأصبحَ لدَى صانِعِي مُحتَوَى هذه المعاجِمِ معرفةٌ عميقةٌ بطُرقِ اختيارِ مَداخلِ هذه المعاجِمِ، وأهمِّ الضَّوابطِ التي يجبُ مُراعاتُها وَفْقًا لخصائصِ الفِئةِ العُمريةِ المُستهدَفةِ منَ المُعجمِ، كميولِها واتِّـجاهاتِها وقيَمِها ومراحلِ تطوُّرِها النَّفسيِّ والعقليِّ والفِكريِّ والثّقافيِّ دونَ إغفالِ الرَّوافدِ الثَّقافيةِ المُختلفةِ، والقيمِ الأخلاقيةِ والحضاريةِ، وغيرِ ذلك ممّا هم في حاجةٍ مُستمرّةٍ إليه.

كان أغلبُ هذه المعاجمِ المَدرسيّةِ أو الطُّلّابيّةِ مُختصرًا


المعجم التاريخي للغة العربية
الجزء الأول

للمعاجمِ العامَّة، منها: قُطْرُ المُحيطِ لبُطرس البُستانيّ، وَمُعجمُ الطّالبِ في المأنوسِ من مَتنِ اللُّغةِ والاصْطلاحاتِ العلميّةِ والعصريّةِ لجرجس همام الشَّويري، وَالمُنجِدُ في اللُّغة للويس معلوف، وَالمُعتمَدُ فيما يحتاج إليه المتأدِّبون والمُنشّئون من مَتن اللُّغة العربية لجرجي شاهين عطية، وَرائدُ الطُّلاب لجُبران مسعود، وَالقاموسُ الجديدُ للطُّلاب لعلي بن هادية وآخرين، وَالمُعجمُ الوجيزُ لمجمع اللُّغة العربية بالقاهرة، وغيرُها منَ المعاجم.

ترسَّخَ كذلك بعدَ عددٍ منَ التّجاربِ المُعجميّةِ أهميّةُ هذه المعاجمِ بل ضَرُورتُها، كما تأكّدت أهميةُ المُعجم ودورُه في تدريسِ اللُّغة العربية، وكذلك دورُ المُفرداتِ ودورُ بناءِ ثَروةٍ مُعجميّةٍ لدى الطَّالبِ في تنميةِ قُدرته على الفهمِ والتَّحليلِ وغيرِ ذلك منَ المهاراتِ، وذلك في ظلِّ تَحيُّزٍ واضحٍ إلى الفَهْمِ والمَهارةِ على حسابِ الحِفظِ في الـمَرْحَلَةِ المُتأخِّرةِ من مدارسَ ونَظريّاتٍ تربويّةٍ تعليميّةٍ، فليس دورُ المدرِّسِ حَشْوَ أذهانِ الطّلبةِ بعددٍ منَ المعلوماتِ؛ فالسّبيلُ إلى ذلك ميسورٌ في ظلِّ التّقانةِ والحَوسبَةِ، ولكنْ لا يُمكنُ للطّالبِ مُلاحَقةُ المعارفِ النَّاشئةِ والتَّضخّمِ المَعلوماتيِّ مهما أُوتيَ من قُدرةٍ على الحفظِ، ولكنْ يُؤتَى ذلك من قِبَلِ الفَهمِ واكتسابِ المَهاراتِ اللُّغويّةِ، ولعلَّ المُعجمَ بوساطةِ شرحِ المُفرداتِ هو السَّبيلُ الأهمُّ لبلوغِ هذا الهدفِ.

إنَّ المُعجمَ التَّاريخيَّ للُّغةِ العربيةِ بشكلٍ عامٍّ أو المُعجمَ التَّاريخيَّ الطُّلابيَّ بشكلٍ خاصٍّ هو نوعٌ منَ المعاجمِ يرصُدُ المُفرداتِ والمعانيَ منذ ولادتِها فيمنَحُها شهادةَ ولادةٍ، ثم يؤكِّدُ استمرارَ وجودِها خلالَ تتبُّعِ شواهدِها في بقيةِ العُصورِ،



أوجست فيشر

ويُثبتُ هذا التّتبُّعُ ـــــ ما استطاعَ إلى ذلك سبيلًا ـــــ بالشَّواهدِ النَّثريةِ والشِّعريةِ، إضافةً إلى القرآنِ الكريمِ والسُّنّةِ النّبويّةِ في العصرِ الإسلاميِّ؛ فهو بذلك يُعَدُّ سِجلًّا مُتنوِّعًا للأمّةِ العَربيّةِ يُمَكِّنُ القارئَ مِن اسْتِقْراءِ جميعِ الألفاظِ والمعانِي والدّلالاتِ، فَضْلًا عَنْ تَقَصِّي كلِّ تركيبٍ أو مُتصاحبةٍ لُغويةٍ أو مُصطلحٍ أو رَمزٍ، ثمَّ يأتِي الباحِثُون فيقُومون بتصنيفِ مادَّتِه وَفقَ العُمومِ والخُصوصِ أو الحقيقةِ والمجازِ أو الشُّيوعِ والنُّدرةِ أو الزّمانِ والمكانِ، فهو يَمُدُّ الباحثِين بعشراتِ الآلافِ منَ الموضوعاتِ التي يُمكنُ بحثُها، وهذه قيمةٌ أُخرى مُهمّةٌ له؛ لذلك أكَّدَ فيشر في مقدّمةِ مُعجَمِه الذي لم يكتملْ أنَّ مُنتهى الكمالِ لمُعجمٍ عَصريٍّ أن يكون مُعجمًا تاريخيًّا.

إنَّ هذا النَّوعَ منَ المعاجمِ يُمَكِّنُ من فهمِ تطوُّرِ الدّلالاتِ وإدْراكِ المَخزونِ الحضاريِّ والوعْيِ العربيِّ على مدارِ أَلفيتَينِ أَوْ تَزيدُ، منَ الكُتبِ والنُّقوشِ، كما يُمَكِّنُ من ضَمِّ الألفاظِ التي تشترِكُ في علمٍ أو فنٍّ أو حِرفةٍ معا لِتشكّلَ المعاجمَ المُتخصِّصةَ، ويَرسخَ الشُّعورُ بالقوةِ الحضاريّةِ والأصالةِ ومَركزيّةِ اللُّغةِ وتَأثيرِها.

ظَهرتِ الحاجَةُ الشّديدةُ إلى المعاجمِ الطُّلّابيّةِ مع تَطوُّرِ العُلومِ التَّربويةِ وانتشارِ المَدارسِ

إنّه يَخرجُ باللُّغةِ من حيِّزِ الألفاظِ والمعانِي أيْ من حيِّزِ المَداخلِ اللُّغويةِ إلى حيِّزٍ موسوعيٍّ تُراثيٍّ ثقافيٍّ حضاريٍّ، إنّه مُدوّنةٌ شاملةٌ ووعاءٌ مُتنائِي الحوافِّ، ونهرٌ ممتدُّ الضّفافِ يرصدُ كلَّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، وَيصوِّرُ العربيّةَ والعربَ في أبهَى صُورةٍ.

على الرُّغم من أنَّ المُعجمَ التّاريخيَّ كغيرِه منَ المعاجمِ لا يُمكنُ الادّعاءُ بأنّه اشتملَ على كلِّ الألفاظِ ومَعانِيها ودَلالاتِها المُتولِّدةِ دائمًا في ظلِّ سياقاتٍ تاريخيّةٍ واجتماعيةٍ وثقافيةٍ وغيرِها؛ غيرَ أنّه يظلُّ الرّائدَ في هذا المَنحَى دائمًا؛ بسببِ تتبُّعِ تلك الدّلالاتِ في سياقاتِها الاستعماليّةِ، وليسَ في المعاجمِ



اللُّغوية فقط، وهو الأمرُ الذي يمكّنُ المُحرِّرينَ من رصْدِ دقائقِ المعانِي وفوائدِها وما خفِيَ منها، وما زاغ عن رصْدِ السَّابقِين، إضافةً إلى أنه سيُوثِّقُ بالدّليلِ ميلادَ أيِّ مُفردةٍ أو جمودَها خِلالَ تتبُّعِها في سياقاتِها التّاريخيّة، والأهمُّ من ذلك أنّه مشروعُ إحياءِ آلافِ المُفرداتِ بعدَ إعادةِ نظرِ المُستعمِلين في العصرِ الحديثِ وما بعدَه لطُرقِ استعمالاتِها في العُصورِ السَّابقة، وهو بذلك ليسَ مَشْرُوعًا تَسْجِيليًّا تَوْثِيقِيًّا فَحَسْب، بل هو أيضًا نهضويٌّ إحيائيٌّ.

يدفعُ التَّصوّرُ السّابقُ إلى تتبُّعِ أهميّةِ التَّأريخِ المُعجميِّ للطُّلاب وَفْقَ عددٍ مِنَ الأبعاد، منها:

1 - البُعْدُ التَّاريخيُّ والثّقافيُّ والحضاريُّ.

2 - البُعْدُ التَّعليميُّ والمَهاريُّ.

3 - البُعدُ الدِّينيُّ والقِيَميُّ والاجتماعيُّ.

4 - البُعدُ العِلميُّ والبحثيُّ والفنيُّ.

أمّا منهجُ العملِ في المُعجمِ التَّاريخيِّ الطُّلابيِّ فلا يختلفُ كثيرًا عمّا في المعاجمِ التّاريخيّةِ عمومًا، وبذلك يبقَى المُنجزُ العربيُّ الكبيرُ في المُعجمِ التّاريخيِّ للّغةِ العربيةِ الذي يعملُ عليه الآن مئاتُ الباحِثين تحت مِظلّةِ اتّحادِ المجامعِ العربيّةِ وإدارةِ مجمعِ الشَّارقةِ؛ نِبراسًا للمُعجمِ التَّاريخيِّ الطُّلابيِّ، وهذا لا يَنفِي خُصوصيةَ المُعجمِ الطُّلابيِّ مثلَ ما سبقَه مِنَ المُعجماتِ الطُّلابيّة، وبذلك فهناك بعضُ الضَّوابطِ التي يلتقي فيها المُعجمُ التَّاريخيُّ الطُّلَّابيُّ بالمُعجمِ التَّاريخيِّ للّغةِ العربية، أهمُّها:

* يَنْبني المُعجمُ على التَّأريخِ لجميعِ الألفاظِ العربيّةِ والمُعَرَّبةِ والدَّخيلةِ المُعتبَرةِ والمُحْدَثةِ والمُولَّدةِ، والمُتلازماتِ والتّراكيبِ اللُّغوية، والكلماتِ المنحوتة، والمصطلحاتِ والأمثالِ والرُّموزِ والمختصَراتِ والأعلامِ المُؤثرةِ وغيرِها، مع بيانِ معانِيها ورصْدِ دَلالاتِها وَفقَ خمسةِ عُصورٍ كمثيلاتِها مِنَ المُعجمِ التّاريخيِّ، ويُستشهدُ لها مِنَ العُصورِ المُختلفةِ، ويُصدَّرُ الجذرُ بذكرِ المعانِي الكُلّية.

* تُرتَّبُ المداخلُ ابْتِدَاءً بالأفعالِ الثّلاثيةِ فالرّباعيةِ فالخُماسيةِ فالسُّداسية، ثُمَّ المُجرَّدِ فالمَزِيد، ثُمَّ اللّازمِ فالمُتعدّي.

* يَقتصرُ المُعجمُ على اللُّغة العربيةِ الفُصحَى ويَتجنَّبُ العَامِّيَّ والخطأَ والمُبتذَل.

* يذكرُ المعنى العامَّ فالخاصَّ، وَالأقدمَ فالأحدث، وَالحقيقيَّ فالمجازيَّ، وَالشائعَ فالأقلَّ شيوعًا، وَالحِسِّيَّ فالعقليَّ، كما يذكرُ المعانيَ المجازيةَ وَفق ضوابطَ خاصّة.

* يذكرُ أقدمَ شاهدٍ من كلِّ عصرٍ، وإذا تقدّمَ المُعجميُّ يذكرُ

معه غيرَه منَ المستعمَلِ في كلِّ عصر، ويُفضَّلُ ذكرُ شاهدٍ إضافيٍّ منَ القرآن والحديثِ في الإسلاميِّ لخصوصيتهما.

* يجبُ تقديمُ شرحٍ مُختصرٍ لكلِّ شاهدٍ، كما يجبُ التّمهيدُ للشّاهدِ بتقديمِ مُختصَرٍ يُوضّحُ سياقاته.

وبالنَّظرِ إلى خُصوصيّةِ الفكرةِ لابدَّ أن يكونَ لها ضوابطُ جعلتْها خاصّةً، وحدّدتْ مفهومَها وتصوُّرَها، ومنَ الضوابط التي يمكنُ أن يختلفَ فيها المُعجمُ التّاريخيُّ الطُّلابيُّ عنِ المُعجم التّاريخيِّ للّغة العربيةِ:

* لا يُسجّلُ المُعجمُ الطّلابيُّ النّظائرَ السّامية، وتكفِي الإشارةُ في مقدّمةِ المُعجم إلى تلك الفكرةِ العامّةِ مع التّمثيلِ لبعضِها، وفي النُّسخةِ الحاسُوبيةِ يُمكنُ إنشاءُ رابطٍ للنّظائرِ السّاميةِ في المُعجمِ التّاريخيِّ للُّغةِ العربيةِ لمن أرادَ أن يتوسّعَ منَ الطّلبةِ أو المُعلّمين.

* يَنصُّ المُعجمُ الطُّلابيُّ على المصادرِ والمُشتقّاتِ القياسيّةِ والسّماعيّةِ التي ذكرَها العربُ نصًّا وتعريفًا مع ذكرِ جُموعِها إن وُجِدت، وكذلك المصادرُ الصّناعيةُ، ويُذكرُ مع الأسماءِ ما تمحّضَ منَ المصادرِ أو المُشتقّاتِ للاسميةِ، وَيَبْقَى محلُّ ذكرِها بعدَ الفعلِ أو مُستقلّةً بمدخلِ محلَّ نظرٍ، وكذلك الاستشهادُ بها على نفسِها أو على الفعلِ.

* يُؤرّخُ لعددٍ منَ الأعلامِ بما يضمنُ تكوينًا ثقافيًّا كافيًا للنَّشءِ، فليس منَ المُتوقّعِ أن يلجَأَ الطّالبُ إلى كُتُبِ التّراجمِ والأعلامِ والمواضعِ عند البحثِ عنها؛ لذلك يجبُ أن يكونَ المُعجمُ التّاريخيُّ الطُّلابيُّ ذخيرةً مَعرفيّةً كافيةً، وحاضنةً ثقافيةً تقومُ بتشكيلِ البِنيةِ الفكريةِ والمعرفيةِ والثّقافيةِ الخاصّةِ بالبيئةِ العربيةِ، ولا تعزلُه أيضًا عنِ الثّقافاتِ الأُخرى، وتراعِي حِوارَ الحضارات.

* يُفضَّلُ التّوسّعُ في ذكرِ المعانِي المجازيةِ؛ فهي تُنمِّي الخيالَ والحسَّ الأدبيَّ والتّذوّقَ الجماليَّ.

* التَّعريفُ بأسلوبٍ سهلٍ وعصريٍّ، واختيارُ نمطِ التَّعريفِ بالشَّرحِ مع ذكرِ المُرادفِ الأقربِ أو الضّدِّ، والتّمثيلُ بمثالٍ سياقيٍّ للمعنى قبل ذِكرِ الشَّواهدِ، ويُفضَّلُ التَّعريفُ بالصُّوَرِ أيضا. ولا يُقبلُ الإحالةُ فقط أو التَّعريفُ بالمُرادِفِ أو الضّدِّ فقط.

* التّخلّصُ منَ المصادرِ غيرِ المشهورةِ، والصِّيغِ النّادرةِ، والجموعِ غيرِ المُستعمَلةِ.

* التَّخلّصُ منَ المعاني النّادرةِ أو المشكوكِ فيها.

* الاقتصارُ على البُنَى الفعليةِ المُتَّفقِ عليها بين المُعجمِيّين، وتحييدُ المُختلفِ فيها.

* يركِّزُ المعجمُ على بناءِ القِيمِ والتَّذوُّقِ الجماليِّ للُّغةِ، واختيارِ الشَّاهدِ الأفضلِ من كلِّ عصرٍ وليس الأقدمَ بشكلٍ باتٍّ، أو يمكنُ الجمعُ بين الخَيْرين واختيارُ شاهدَيْن من كلِّ عصرٍ، أحدُهما هو الأقدمُ، والآخرُ: أقدمُ شاهدٍ جميلٍ يعكسُ قيمةً أو يُشعِرُ بالجمال؛ فنحنُ نفتقدُ في المُعجمِ التَّاريخيِّ هذين الرّافدَيْن المُهمَّيْن بسببِ الالتزامِ بالضّوابطِ المَنهجيّةِ في اختيارِ الأقدمِ للتَّأريخِ، وبذلك افْتقدْنا شعرَ أهَمِّ الشُّعراء كالمُتنبِّي وأبي تمّام والمَعرّي وغيرِهم، واحتلّ الصّدارةَ أوّلُ كتابٍ في مَطلعِ كلِّ عصرٍ، وقد يكونُ كتابًا فقهيًّا أو مُختصًّا بعلمٍ واحدٍ فنفقدُ التَّنوُّعَ، ونصنعُ فجوةً كبيرةً بين الطّلبةِ وبين مُعجمِهم، ونعيدُه مرّةً أخرى إلى الحاضنةِ الجامدةِ المُتكلِّسة.

> **إنّ فكرةَ المُعجم التّاريخيِّ الطُّلابيِّ ستكونُ نتاجًا حقيقيًّا لتلاقِي الأفهامِ والعقولِ والقلوبِ والأوطانِ والأبناءِ**

* يَتجنّبُ المُعجمُ الشَّواهدَ ذاتَ المَضمونِ المُنافِي للأخلاقِ أو الدّيانةِ، أو تحثُّ على الفُجورِ والتَّعصّبِ والتَّطرُّفِ والفُحشِ والفسادِ والإفسادِ وغيرِ ذلك منَ القيمِ السّلبيةِ، وكذلك الألفاظَ ذاتَ الإيحاءِ الجنسيِّ، والخَمريَّاتِ، والغزلَ الفاحشَ، ولاسيمَا في المراحلِ العُمريةِ المتقدّمةِ، وهنا تأتي أهميّةُ فكرةِ تعدُّدِ الشَّواهدِ بما يناسبُ الفئةَ العُمرية، ولاسيمَا النسخةُ الحاسوبيةُ، فيمكنُ أن يقومَ كلُّ مُستخدمٍ بالتّسجيلِ وَفق فئتِه العُمريةِ بناءً عليه تظهرُ له الشَّواهدُ المناسبةُ لعُمره. وهذا عملٌ صارَ مألوفًا في المؤلَّفاتِ الأدبيةِ فتصدرُ نسخةٌ منَ الرِّواية مثلًا للصِّغار، وأُخرى للشَّباب، وثالثةٌ للكبارِ.

* البُعدُ عنِ الشَّواهدِ المشكوكِ في نسبتِها والأحاديثِ المُنكرةِ والموضوعةِ والقراءاتِ الشَّاذّةِ؛ وذلك لأنَّ الطفلَ في هذه السّنِّ أقدرُ على الحفظِ وعدمِ النِّسيانِ.

* في العلومِ المُتخصِّصة كالنّحوِ والمنطقِ والهندسةِ والطبِّ ونحوِ ذلك: تُختارُ الطّريقةُ السَّهْلَةُ في التَّعريفِ، والأكثرُ مناسبةً لإدراك الطّفل، مع ضرورةِ نسبةِ كلِّ كلمةٍ إلى العِلْمِ الذي تقعُ تحت مظلَّتِه، فيُقال مثلًا: الخليّةُ (في علم الأحياء).

* يجبُ إنشاءُ روابطَ تشعبيّةٍ في النُّسخةِ الحاسوبيّةِ لكلِّ كلمةٍ من كلماتِ الشّاهدِ تُحيلُ على معناها أو تُظهرُه آليًّا.

لعلَّ منَ القارِّ الآنَ أنَّ فكرةَ المُعجمِ التاريخيِّ الطُّلابيِّ تهدفُ إلى أن تكونَ هناك نسخةٌ حاسوبيّةٌ وأخرى ورقيةٌ، والمُحوسَبةُ سوف تكون الأمتعَ فائدةً، والأقربَ معنًى، والأجدى نفعًا؛ وذلك لفاعليةِ الرّوابطِ التّشعُّبيّةِ التي تُتيحُ للطّالبِ التّنقّلَ من كلمةٍ إلى أخرى في الشّاهدِ الواحدِ ضِمْنَ المعنى الواحدِ. فعندما يَنتهي المُحرِّرون والخُبراءُ منَ المُعجمِ، والمُبرمِجون من بَرمجتِه يقومُ الحاسوبُ بشكلٍ آليٍّ بعملِ ارتباطاتٍ تشعّبيةٍ ذكيةٍ لكلِّ كلمةٍ في القصيدةِ مثلًا تُحيلُ على مَدخلِها الرّئيسِ.

وَ عندما يقومُ المعلِّمُ بتقديمِ حصّتِه الدّرسيَّةِ للطّلبةِ، فتعترضُ الطَّلبةَ مجموعةٌ منَ الكلماتِ في نصٍّ معيَّنٍ تحتاجُ إلى تفسيرٍ من أجلِ فتْحِ مغالِيقِه ومنْحِ مَكنوناته؛ سوف يُساعدُ المُعجمُ الطّلبةَ في الوصولِ بأنفسِهم إلى فهمٍ جيّدٍ للنّصِّ.

سيُحوّلُ المُعجمُ التَّاريخيُّ الطُّلابيُّ التّعلّمَ من طريقته التّقليديةِ التي يكونُ فيها المُعلّمُ مَركزًا للعمليّةِ التّعليميّةِ إلى أن يكونَ الطّالبُ هو المركزَ؛ فبنقرةٍ واحدةٍ على الكلمةِ يَظهرُ له معناها، ومصادرُها إن كانت فعلًا، والمشتقّاتُ المتعلّقةُ به، وتظهرُ له جموعُها إن كانتِ اسمًا، ثم إنْ أرادَ أن يُتابعَ جولتَه في تقصِّي هذه الكلمةِ عبْرَ التّاريخ فسيقرأُ شواهدَ أخرى قريبةً إلى حدٍّ كبيرٍ منَ الشّاهدِ الاستعماليِّ الذي يحاولُ فكَّ مغاليقِه وإزالةَ الغُموضِ عنه، وَهنا يَشعرُ بحياةِ هذه الكلمةِ ومَسيرتِها التّاريخيةِ، وقد تكونُ الكلمةُ ممّا هجرَه العربُ في الاستعمالِ فيقعُ في نفسه إعادةُ توظيفِها تحدُّثًا وكتابةً، ثمّ إنّه إذا سمعَها في يومٍ مَا يُدركُ معناها وسياقاتِها وقصّةً ارتبطتْ بها أو بيتَ شِعرٍ كَانَ قَدْ قَرَأَهُ مِنْ قَبْلُ فيتذكَّرُهُ، وهكذا تنمُو المهاراتُ اللُّغويةُ الأربعةُ معًا، ولا تقتصرُ عمليةُ التّعلُّمِ على النّصِّ مَحلِّ التّناوُلِ فقط.

سيكونُ المُعجمُ التَّاريخيُّ الطُّلابيُّ إضافةً حقيقيّةً ورافدًا للمكتبةِ العَربيةِ الطُّلابيةِ، بل يُمكنُ أن يُغنِي عن غيرِه تمامًا، ويكفِي مؤنَةَ التَّفكيرِ في مُنجزٍ طلّابيٍّ آخرَ بما يمتازُ به من قابليةِ التّوسّعِ، والمُرونةِ في ظلِّ الحَوسبةِ التي أصبحت تُحوّلُ المُعقّدَ إلى سهلٍ ميسورٍ، ومنه التّعقيدُ المَعرفيُّ والتّراكمُ الكَمِّيُّ لعددٍ كبيرٍ جدًّا منَ الشّواهدِ والألفاظِ والمعاني والدّلالاتِ، فتُهيّئُ البرمجةُ للطالبِ أن يحدّدَ ما يختارُه فقط ضِمْنَ نافذةٍ صغيرةٍ تُقرأُ في دقيقتَيْن، مع قابليةِ التّرجمةِ لجميعِ اللُّغاتِ الفاعلةِ.

سيكونُ المُعجمُ التّاريخيُّ الطُّلابيُّ إضافةً حقيقيّةً ورافدًا للمكتبةِ العَربيةِ الطُّلابيةِ

إنّ فكرةَ المُعجمِ التَّاريخيِّ الطُّلابيِّ ستكونُ نِتاجًا حقيقيًّا لتلاقِي الأفهامِ والعقولِ والقلوبِ والأوطانِ والأبناءِ، كما تستجيبُ لصوتِ الطِّفلِ في مناداته بخصُوصيتِه التي لبّاها عددٌ منَ المُعجميّين في العصرِ الحديث بإنتاجِ نحوِ عشرين مُعجمًا، كذلك لها أثرٌ فاعلٌ ضِمْنَ العمليةِ التّربويةِ والتّعليميةِ، والمُعجمُ المُقترَحُ بذلك يدخلُ ضِمْنَ طريقةِ التّعلُّمِ المَنظوميِّ الذي يُمَكِّنُ لجميعِ المَهاراتِ في وقتٍ واحدٍ دونَ التّركيزِ على خطٍّ مَنهجيٍّ مُلزمٍ لا يدعُ للطّالبِ فرصةً للإبداعِ والتّعلّمِ الذّاتي الفاعلِ وأخْذِ القرارِ.

حاولَ هذا المقالُ أن يُثبتَ أهميّةَ هذه الفكرةِ وقابليَّتَها للتّنفيذ، وهو في حقيقتِه خُلاصةُ ورقتَيْن بَحثِيَّتَيْن قُدِّمَتِ الأولى في مؤتمرٍ عِلميٍّ بجامعةِ الشّاذلي بن جديد بالطّارف بالجزائر، في نوفمبر 2022م، والأخرى أُجيزت لمؤتمرِ المركزِ التّربويِّ للُّغةِ العربيةِ لدُول الخليجِ بالشارقةِ، الذي سَيَنْعَقِدُ في فبراير 2023م.

علم الشّريعة نَهْجٌ للهُدَى راقِ



د/مبروك زيد الخير
أستاذ متخصص في اللّغويّات العربية والبلاغة القرآنيّة/الجزائر

علم الشّريعة نَهْجٌ للهدى راقِ   بِمَسلكٍ لِلْعُلا وَالمَجْدِ توّاقِ
يُناطُ بالشَّرع أحكامًا ومعرفةً   وحكمة تُنْتَقى في وَمْضِ إشراقِ
وملمحًا صاغه الأثبات مُتّزنًا   وحصَّنوه بآدابٍ وأخلاقِ
وأصَّلوه بأحكامٍ مُعلَّلةٍ   وفرَّعوه بذاك المنهج الرَّاقِي
وصيّروا منبع التَّحصيل مُرتشفًا   نبعًا منَ الذّوق غذّى لهفة السّاقي
وماجَ بالعلم والتَّحصيلِ في ثقةٍ   وراح يسمُو به من غير إرهاقِ
فأزلفَ الشَّرعَ للأجيال مُكتَمِلًا   وأبرزَ السِّرَّ من سترٍ وإغلاقِ
وصيغ من علم تفسير الكتاب رؤى   قد جُلِّيَتْ سندًا يزهو بإعراقِ
ودُبِّجَتْ في تَصانِيفٍ مُوثَّقَةٍ   تبدو نفائس آثارٍ وأَعلاقِ
وفي التَّفاسير نفْحٌ يعتَلي ألقًا   ويرسم الفهمَ في أنحاء آفاقِ



ويملأ الـدّار بالآمال يَسْكُبُها ... ويجعل العلمَ أشواقًا لمشتاقِ

فتبرز الصَّفوةُ الجُلّى بخيرِ هدًى ... ويحمل العِلْمَ سبّاقٌ لسبّاقِ

وقد بدا مَسلَكُ التَّفسير منتظمًا ... مُسَيَّجًا بِهُدى قرآنِنَا الواقي

وسنَّةِ المصطفى خيرِ الورى شرفًا ... وذاك منه لَعَمْري خيرُ ميثاقِ

قد صال فيه بلا حدٍّ عباقرةٌ ... ورصَّعوه بذاك المنهجِ الرّاقي

كأسًا دِهاقًا بأنوارٍ ومعرفةٍ ... يذوقها الدّهرُ في حِذقٍ وإشفاقِ

بملمحٍ يترسّى في شواطِئنا ومطمحٍ شبّ فجرًا دون أطواقِ
أجلَى لنا سحرَ تِبْيانٍ بمنطقِه وأوغل العقلُ في أعماقِ أعماقِ
ترسّم الطبريُّ نهجَهُ قِدَمًا ومدَّه القُرْطُبي في سِرِّهِ الباقي
ورامَه صاحبُ الكشّاف مُنتشيًا يساوقُ الدّهرَ في تفسيره الرّاقي
وكانَ في الدَّهرِ أذواقًا وموهبةً تفجّرت بالمعاني فيضَ أنساقِ
وكان عند أبي حيّانَ مؤتلقًا يغوص فيه الألوسي نَحْوَ أَعْمَاقِ
وكان هودٌ إلى التّفسيرِ مُسْتَبِقًا بمحكم من سياقٍ غيرِ مُنساقِ
وصانَه الونشريسي في تفرّدِه والبِسْكَري والمغيلي فيضَ أشواقِ
وقام فيه ابنُ مرزوق فأصَّلَه وكان عند الزّواوي وَمْضَ إبراقِ
وذاع فيه المَجاجي فاغتدى أَلَقًا في كل منتجعٍ من كلِّ آفاقِ
صاغ الثّعالبيّ منه جواهرَه لآلِئًا تَنْتَشي من نورِ أنساقِ
جابَتْ حواضرَ شتّى في مباهجِها واستشرفتْ من بجايا عصرَها الرّاقي
وحرّكَتْ تِلِمْسَانُ في تألّقِها نورًا يسافرُ في ذرّاتِ إشراقِ
وكان في فاسَ أو مكناسَ مَنْبَتُها والتفّت السّاقُ في صنعاءَ بالسّاقِ

وكانَ في مِصْرَ أو بَغْدادَ مرجعُها ... وقامَ في الشّامِ منها جيلُ حُذّاقِ

يا سائلي أينَ شاطِيها وزورقُها ... قُلْ بالإمارات ذاك الشّاطئُ الرّاقي

من حيث تُشرقُ بالتّفسير شارقةٌ ... كالوَمْضِ يُجْلى بأفهامٍ وأذواقِ

أميرُها صاغ للأيّام ملحمةً ... غنّى الزّمانُ صدى إيقاعِها الرّاقي

وجسَّدَتْهُ مراجيحُ المُنى أملًا ... وأبرَقَتْ بالأماني أيَّ إبراقِ

وأبرزته مع الصّافي وصفوتِه ... نبتًا تأسَّسَ من زهرٍ وإيراقِ

فَلْيَهْنَأ الجَمْعُ بالتَّفسير مؤتلقًا ... وليبقَ عبرَ المدى رمزًا لإشراقِ

ولتبقَ قبّةُ هذا الصّرح شامخةً ... تسقي الحياةَ بهذا الكوثرِ السّاقي

ولْيسعدِ الجيلُ بالتّفسير في غده ... ولْيَبْقَ كالصّبحِ للإسفار توّاقِ

ولْتَبْقَ شارقةُ الإقلاع ساميةً ... تَهْدي الوجودَ بهذا المُصْحَفِ الباقي



قصيدةٌ مُهداةٌ إلى المُشاركين في موسوعةِ التّفسيرِ البلاغيِّ

ألا أيُّها السِّفْرُ الذي جلَّ أَمْرُهُ

كتبه امحمد صافي المستغانمي

٢٠ رمضان ١٤٤٤ هـ الموافق لـ ١١ أبريل ٢٠٢٣م

سُرورٌ عظيمٌ بِتُّ ليلًا أُغالِبُهْ ... وطَيْفٌ جميلٌ عاوَدَتْني كتائبُهْ

وعاودني شِعْرٌ قديمًا تَركتُهُ ... وفاضَ على قَلْبي تَسُحُّ سحائِبُهْ

أُهَنّي رِفاقَ الدَّرْبِ أُعْلي مقامَهُمْ ... أُهَنّي بِتَفْسيرٍ حَميدٍ عواقِبُهْ

تَجَلّى بِأنوارٍ مُنيرٍ شُعاعُها ... يَشُقُّ دُجى عَصْرٍ كثيرٍ غياهِبُهْ

يُفَتِّقُ عَنْ أكمامِ كُلِّ بديعةٍ ... هواهُ كتابٌ لا تَقَضَّى عجائِبُهْ

يصوغُ دلالاتِ الكتابِ مُنَقِّبًا ... بِعَقْلٍ بديعٍ نُورُهُ الفِكْرُ ثاقِبُهْ

وَيُولي جمالَ اللَّفظِ فَرْطَ عنايةٍ ... وفي نَسَقِ التَّعبيرِ مَنْ ذا يُقارِبُهْ

وفي صَوْغِ مَعْنى الآيِ يَسْعى مُقَرِّبًا ... دلالاتِ إعجازٍ فَمَنْ ذا يُصاقِبُهْ

لَهُ بِفُروقِ اللّفظِ حُبٌّ وفِتنةٌ ... إلى سِحْرِها تَغدو وتَهفو مَراكِبُهْ

ألا أيُّها السِّفْرُ الذي جلَّ أَمْرُهُ ... وطالَتْ لياليهِ وأَسْفَرَ غائِبُهْ

يَخُطُّ من الآياتِ كُلَّ دقيقةٍ ... ويُبدي بَهاءً لا تغورُ غرائِبُهْ

تُدَبّجُهُ أيْدٍ بليغٌ بيانُها ... وفِكْرٌ وَسيعٌ لا تُحَدُّ سباسِبُهْ

يُمَيِّزُهُ صَوْغٌ جزيلٌ مُنَمَّق ... قريبٌ من القرآنِ حُلْوٌ يُناسِبُهْ

ألا أيُّها الصَّحْبُ الكريمُ خِصالُهُ ... جزاؤُكُمُ الفِرْدَوْسُ تَعْلو مَراتِبُهْ

أيا بْنَ جريرٍ أنْتَ في الفَنِّ سابقٌ ... وفي القَوْلِ جارُ اللّٰه تصْفو مشارِبُهْ

وفَخْرُ بلادِ الرّيِّ حَبْرٌ مُوَفَّقٌ ... ذَكِيٌّ خبيرٌ لا تُجارى مذاهِبُهْ



وقُرْطُبَةُ التّفسير جادتْ بِحَبْرها ... وفي الفقه والأحكامِ مَنْ ذا يُعاتِبُهْ
وبينَ كلامِ الذّكرِ لَوْنُ تناسُبِ ... بِقاعِيُّهُ بالعزْمِ والحَزْمِ كاتِبُهْ
ونِعْمَ أبو حيّانَ في النّحْوِ قائدًا ... إمامًا عليما لا تُفَلُّ مضارِبُهْ
وأتقَنَ أصحابُ الحواشي شُروحَهُمْ ... وغنّى بها شِعْرٌ توالَتْ ركائبُهْ
وآلَتْ إلى آلوسَ كُلُّ لطيفةٍ ... ورُوحُ معانيهِ عزيزٌ مطالِبُهْ
وأَبْدَعَ في التّحريرِ فذٌّ مُسَدَّدٌ ... فلا مَنْ يُدانيهِ ولا مَنْ يُواثِبُهْ
وَأعْظِمْ بِشَعْراوي إمامًا مُفسِّرًا ... خواطِرُهُ نُورٌ ونُورٌ كواكِبُهْ
وزُهْدُ ابنِ باديسٍ شَهِيٌّ مُحَبَّبٌ ... وتَفسيرُهُ فَصْلٌ غَنِيٌّ مَكاسِبُهْ
ألا أيُّها الأمجادُ طِبْتُمْ وَفُزْتُمُ ... فَأنتُمْ بَنو عهدٍ كثيرٍ مصائبُهْ
أعاصيرُهُ تَتْرى تموجُ بِشَرِّها ... وعمّتْ رزاياهُ وطمّتْ نوائِبُهْ
وَرِثْتُمْ عنِ الأفذاذِ عِلْمَ تَدَبُّرٍ ... فنالَتْكُمُ أفضالُهُ وأطايِبُهْ
ويا مَجمعَ القُرآنِ للهِ دَرُّكُمْ ... حبيبُكُمُ الرّحمنُ أنْتُمْ أقارِبُهْ
أشارقةَ العِرْفانِ تيهي وغَرّدي ... بتفسيرِ قُرآنٍ كريمٍ مواهِبُهْ
ويا أَيُّها الشّيْخُ الجليلُ تحيّةً ... ويا مَنْ على الأقران زادَتْ مناقِبُهْ
وأنتَ الذي تَهفو إليه نُفوسُنا ... ويدعو لهُ أصحابُهُ وحبائبُهْ
وتَبْقى أيا سُلطانُ مَهْوى قلوبنا ... وأَكْرِمْ بشيْخٍ لا تَهونُ عصائبُهْ

البَصْمَةُ اللُّغويّةُ في أدبِ أبِي حَيَّانَ التَّوحيدِيِّ الحِوَارِيّ

نسعَى في هذا المقالِ إلى إثباتِ قُدرةِ أبي حيّانَ التّوحيديِّ المَائزَةِ على تقديمِ فكرِه الخاصّ في حواريّاتِه على لسانِ الطّرَفِ الآخَرِ من خلالِ البَصمةِ اللُّغويّةِ الخاصّةِ به، فقد تميّزَ أدبُه بأنّه أدبٌ حواريٌّ فلسفيٌّ، إذْ بنى حواراتٍ ومُحاوراتٍ افتراضيّةً لقصدٍ معيّنٍ سنسعَى إلى إظهارِه، وتميّزتْ لغتُه بِسماتٍ خاصّةٍ مكّنتْنا مِنِ اكتشافِ هذه الحِواريّاتِ الافتراضيّةِ.



أ.د. سمر الديوب
أستاذ الأدب العربي القديم-
جامعة البعث/سورية

وقد قدّمَ التّوحيديُّ هذه الحِواريّاتِ مع أُستاذَيْه: ابنِ مِسْكَوَيْه وأبي سليمان السِّجِستانيّ لأهدافٍ سنسعَى إلى تبيانِها؛ ذلك لأنّنا نرَى أنّ النّصَّ الأدبيَّ لا يقدّمُ صورةً حرفيّةً للواقعِ، بل يسعَى إلى إعادةِ تشكيلِه على وَفْق ثُنائيّةِ الرّؤيةِ والرُّؤيَا، فالأدبُ يقولُ شيئًا، لكنّ المهمَّ ما لم يقُلْه.

البصمةُ اللُّغويّةُ في حِواريّاتِ أبي حيّانَ التّوحيديّ

نقصدُ بالبصمةِ اللُّغويّة (1) الأثرَ الذي يتركُه صاحبُ الكلامِ في كلامِه، فلكلِّ إنسانٍ بصمتُه الخاصّة، ويُوضّحُ الكلامُ غوامضَ الشّخصيّةِ؛ لأنّ المُتكلّمَ يتركُ بَصْمتَه في استخدامِ اللُّغةِ، واللُّغةُ مجموعةٌ منَ البصماتِ تُؤدّي إلى قيمةٍ أسلوبيّةٍ، والبصمةُ هي اللُّغةُ الفرديّةُ للإنسان؛ ذلك لأنّ عمليّةَ اختيارِ العناصرِ اللُّغويّةِ عمليّةٌ واعيةٌ ومقصودةٌ بهدفِ التّأثيرِ في الآخَرِ.

وقد قدّمَ أبو حيانَ التّوحيديُّ (2) في مؤلفاتِه نصّاً

---

(1) يعود الجذر اللغويّ إلى الفعل بصم، ويعني أثر الإصبع في شيء ما، بصمة، الجمع بَصَمات وبَصْمات: علامة ترسم على قماش أو ورق، وفي لسان العرب: رجلٌ ذو بُصْم غليظ، وثوب له بُصْم إذا كان كثيفاً كثير الغزْل.
ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1994، مادة بصم.

(2) هو علي بن محمد بن العباس، يقال إنّ أباه كان يبيع نوعاً من التمر يسمى التّوحيد؛ لذا سمي التوحيديّ، ويقال: سمي التوحيديّ نسبة إلى التوحيد الذي هو الدّين؛ لأنّ المعتزلة يسمّون أنفسهم أهل التوحيد، ولد في بغداد، وتوفي في شيراز، وعاش في القرن الرابع الهجري، قرن المتضادات، فقد تدهورت الخلافة العباسية سياسيًّا، وكان هنالك سقوط أخلاقي واضطرابات مختلفة، لكنّه كان أزهى العصور ثقافيًّا وعلميًّا؛ بسبب حركة الترجمة، وتعدّد المراكز الثقافية التي كانت دافعاً للثراء الثّقافي، فقد جعل الوضع السياسي العلماء ينصرفون إلى العلم.
احترف الوراقة، وحفظ الكثير من العلوم، وتتلمذ على أيدي علماء وفلاسفة كالسجستانيّ، وهو أكبر علماء بغداد في الفلسفة والمنطق، ونُفي على يد المهلبي وزير معزّ الدولة من بغداد، وأُبعد عن بلاط الريّ من طرف ابن العميد والصّاحب بن عباد.



حِواريّاً قائماً على السّؤال والجوابِ، ويمثّلُ هذان الطّرفان ثُنائيّةَ الإنشاء والخبر.

ولم يوجّهِ الأسئلةَ إلى الفيلسوفِ ابنِ مِسْكَوَيْه في الهوامِلِ والشّوامِلِ، وإلى أستاذِه السِّجستانيِّ في المُقابساتِ بهدف تحصيلِ المعرفةِ والعلم، فليس المهمَّ السؤالُ والجوابُ، وليس المهمَّ ما أنشأه أبو حيّانَ من مُحاوراتٍ، فالأدبُ يقول شيئاً، لكنَّ المهمَّ ما لم يقُلْه.

يقول أبو حَيّانَ على لسانِ ابنِ مِسْكَوَيْه:

«وها أَنَذَا آخذٌ في أجوبةِ مسائلِك التي سمّيتَها هواملَ، ومجتهدٌ في ردِّها عليك برُعاةٍ حَفظةٍ، ووُلاةٍ يقظةٍ، محلولةَ العِقال، موسومةَ الأغفال، ومؤمِّلٌ أن تجدَ بها منَ الحكمة ضالّتَك، ومنَ العلم بغيتَك وطِلْبتَك.. (3)»

اتّسمَ أسلوبُ التّوحيديِّ بالميلِ إلى الازدواجِ، والتّوازُنِ، والانتظامِ الإيقاعيِّ في بدايات الجُمَلِ، ويتّضحُ منَ الكلامِ السّابقِ أنّ ثمّةَ بصمةً لُغويّةً توحيديّةً واضحةً، سعى بها إلى تقديم كلامٍ يحتملُ معانيَ واسعةً، فما

---

(3) التوحيدي، أبو حيان: الإمتاع والمؤانسة، 3ج، ضبطه وصححه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، القاهرة، مصر، د، ت، مقدمة الإمتاع والمؤانسة: ص: ج- د- هـ.

التوحيدي، أبو حيان، ومسكويه، أبو علي أحمد بن محمد: الهوامل والشوامل، نشره: أحمد أمين، السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت، ص: 3-4.

يريدُ أن يحمّلَه لابنِ مِسْكَويه هو رغبتُه في الإجابةِ عن هواملِه، لكنّ ثمّةَ إبطاءً في تقديمِ المعلومةِ، وهذه بصمةٌ توحيديّةٌ أيضاً:

«وإبطاؤُك في غيرِ وضْعِ إصابتِك كما أنّ إسراعَك غيرُ مُعْفٍ على غلطتِك» (4)

واتسمتْ بصمةُ التّوحيديِّ اللُّغويّةُ بالجُمَلِ القِصارِ، والتَّعبيرِ عنِ الفكرةِ الواحدةِ بأكثرَ من عبارةٍ «محلولةِ العِقالِ، موسومةِ الأَغْفالِ» وهندسةِ الجُمَلِ، وتوازيها. أمّا أسلوبُ ابنِ مِسْكَويه فقد عُرفَ عنه دقّةُ العبارةِ، ووضوحُ الفكرةِ، والاقتضابُ بعيداً عنِ الصّياغةِ الفنيّةِ (5) ، فلا نجدُ جمالَ الإيقاعِ لديه، أو كثرةَ التّرادُفِ، وهندسةَ الجُمَلِ.

وتُعدُّ الاستعارةُ التي لجأ إليها التّوحيديُّ على لسان ابنِ مِسْكويه «محلولةِ العقالِ» وسيلةً مهمّةً من الوسائلِ المُستخدَمةِ في إنجازِ الأفعالِ الكلاميّةِ غيرِ المباشرةِ، فهنالك عَقدٌ اجتماعيٌّ بين المُتكلّمِ والمُتلقّي، يفهمُ المقصودَ منها، ويؤكّدُ هذا الكلامَ جوابُ ابنِ مِسْكويه عن سؤالِ التَّوحيديِّ:

«لِمَ صارَ اسمٌ منَ الأسماءِ أخفَّ عندَ السّماعِ من اسمٍ؟

الجوابُ: أنا رأيتُ بعضَ من كان يهوَى البُحتريَّ، ويَخفُّ لحديثِه، ويتعصّبُ لقريضِه، يقول: ما أحسنَ تشبيبَ البُحتريِّ بعلوةَ، وما أحسنَ اختيارَه علوةَ....» (6)

ويبدُو واضحاً هندسةُ الجُمَلِ القِصارِ، والتّعبيرُ عن الفكرةِ الواحدةِ بأكثرَ من طريقةٍ، والإيقاعُ وهي بصمةٌ توحيديّةٌ، ويقولُ في جوابٍ للسِّجِستانيِّ عن سؤالِه: «ما السّببُ في أنّ السرَّ لا ينكتمُ البتّةَ؟

لأنَّ السّرَّ اسمُ أمرٍ موجودٌ، وقد ضُرب دونَه حجابٌ، وأُغلقَ دونَه بابٌ...» (7)

يجتمعُ السّجْعُ والازدواجُ، وهي بصمةٌ لُغويّةٌ توحيديّةٌ، ويُؤثّرُ تحقيقَ النّغَمِ المُوسيقيِّ في المُتلقّي، ولا يلجأُ إلى هذه السّمةِ الإيقاعيّةِ إلا للإبانةِ عنِ المعاني الفلسفيّةِ، وتتكرّسُ البِنيةُ الاستطراديّةُ بسببِ الإحاطةِ الشّاملةِ بمفرداتِ الموضوعِ الذي يتحدّثُ عنه.

تُعدُّ البصمةُ اللُّغويّةُ جسراً إلى مقاصدِ صاحبِها؛ لأنّها اختيارٌ واعٍ، وأبو حيانَ كائنٌ داخلَ ما يَتلفّظُ به؛ ذلك لأنّ الخطابَ يحملُ بصمةَ صاحبِه.

وحين حاورَ ابنَ مِسْكَويه وضعَ نفسَه في مقامٍ واحدٍ معه، فلم يكن سؤالُه سؤالَ التّلميذِ الطّالبِ المعرفةَ، بل سؤالَ الخبيرِ. سأل أبو حيّانَ عن كلّ شيءٍ، حتى إنّه سأل عنِ السّؤالِ نفسِه:

«لِمَ صارَ اليقينُ إذا حدثَ وطراً لا يثبتُ ولا يستقرُّ؟ والشّكُّ إذا عرض أرسَى وربَضَ؟

يدلُّك هذا على أنّ المُوقنَ بالشّيءِ متى شكّكتَه

يُوضحُ الكلامُ غوامضَ الشّخصيّةِ؛ لأنّ المُتكلّمَ يتركُ بَصْمتَه في استخدامِ اللُّغةِ

(4) الإمتاع والمؤانسة: 1/65.

(5) يرى محمد أركون أنّه مال إلى الاتجاه العقلاني، وتجنّب ما يحتاج إلى التأويل، وتميل عبارته إلى التركيب المنطقي، ويرفض المحسنات البديعية.

أركون، محمد: نزعة الأنسنة في الفكر العربي- جيل مسكويه والتوحيدي، ط1، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، 1997، ص378

(6) الهوامل والشوامل: ص20.

(7) التوحيدي، أبو حيان: المقابسات، حققه وشرحه: حسن السندوبي، ط2، دار سعاد الصباح، القاهرة، مصر، 1992، 145-146.

(8) الهوامل والشوامل: ص287-288.

نزَا فؤادُه وقلِقَ به، والشّاكُّ متى وقفتَ به وأرشدْتَه وأهديتَ الحكمةَ إليه لا يزدادُ إلا جموحاً، ولا ترى منه إلا عُتوّاً ونُفوراً.

الجواب: ... فإنّ مرتبةَ اليقين أعلى مرتبةٍ تكونُ في العلم، وليس يجوزُ أن يطرأَ عليك شكٌّ بعد أن صار يقيناً....» (8)

تشتملُ الأفعالُ الطَّلبيّةُ - الاستفهامُ هنا - على قوّةٍ إنجازيّةٍ أكبرَ منَ الخبر (9) ، ونجدُ أنّ الاستفهامَ هنا قد أنجزَ وظيفةً تواصُليّةً، وثمّةَ علاقةٌ عميقةٌ بين قصدِ التّوحيديِّ ومقامِ التلقّي، وخروجُ الكلامِ على غيرِ مقتضَى الظّاهر إنجازٌ لقصدٍ غيرِ مباشر.

في سؤالِ التّوحيديِّ صياغةٌ استفهاميّةٌ، وقسمٌ خبريٌّ «يدلُّك هذا على أنّ المُوقنَ بالشّيء متى شكَّكْتَهُ نزَا فؤادُه...» ويعني ذلك أنّ السؤالَ يُحدّدُ الرّدَّ للطّرفِ الآخَر، ويقيّدُه بالجواب الذي يريدُه، فتوجيهُ السّؤالِ توجيهٌ للجواب في الوقتِ نفسِه، وهنا يحدثُ انقلابٌ في طَرفَيِ الثُّنائيةِ، فالهواملُ -أي الإبلُ السّارحةُ - تغدو شواملَ -أي تغدُو إبلاً مضبوطةً - إنّ هواملَه أسئلةٌ غيرُ تقليديّةٍ تهتمُّ بالمُتلقّي، وحين يخاطبُ ابنُ مِسْكويه يخاطبُ الفكرَ الرّسميَّ في عصرِه، فقد كان خازنَ كُتب عضُدِ الدّولةِ، وخازنَ بيتِ المال، واستدراجُه لتقديمِ إجابةٍ عن سؤالٍ قلِقٍ وعميقٍ تجليةٌ لموقفٍ منه، وهو يمثّلُ الطّبقةَ التي يرفضُها، وينتقدُها داخليًّا.

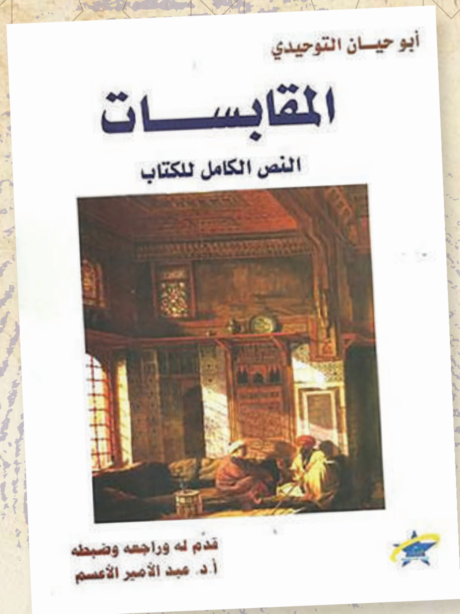
إنّ اسمَ ابنِ مِسْكويه موضعُ عنايتِه؛ لأنّه مقبولٌ اجتماعيًّا وفكريًّا، وقد وجّهَ إليه نقداً في الإمتاع والمُؤانسة(10)، وظهرَ ابنُ مِسْكويه في جوابه مُفكّراً يقدّمُ إجابةً قطعيّةً عن سؤال التّوحيديِّ «وليس يجوزُ أن يطرأ عليك شكٌّ بعد أن صار يقيناً»، والعقلُ حركةٌ تطوّريّةٌ دائمةٌ لا تقبلُ اليقينَ المُطلقَ، فيغدُو العقلُ عند ابنِ مِسْكويه في الجوابِ/ الخبرِ مُغلقاً على معلوماتٍ محدّدةٍ، وهنا يظهرُ التّضادّ بين الصّورة التي يرسمُها التّوحيديُّ عن نفسه



ابن مسكويه



أبو حيان التوحيدي



والجمودِ في جواب ابن مِسْكويه، فهو منفتحُ العقلِ حين أثار سؤالَه القائمَ على الشّكّ، ويعني السّؤالُ الدّائمُ تعدّدَ وجوهِ الحقيقةِ، وتصعيداً لحركةِ العقلِ، وليس ثباتاً عند يقينٍ جامدٍ وثابتٍ، فغدتْ شخصيّتُه متحرّكةً ونامية وقلقةً وباحثةً عنِ المعرفةِ، وغدتْ شخصيةُ ابنِ مِسْكويه جامدةً تركَنُ إلى سكونِ اليقينِ، إنّه يرَى أنّ الشّكّ فكرٌ، واليقينَ حسٌّ، والفكرُ أعلى مرتبةً منَ الحسّ.

ونجدُ هنا نسقاً مُضمَراً في تقديم الجواب اليقينيِّ، فهو ينتقدُه ضِمْنيًّا باستسلامِهِ إلى اليقينِ في حينِ لم يعرفْ عقلُه الرّاحةَ يوماً، فيبدو تحميلُه الجوابَ على لسان ابنِ مِسْكويه مُنطوياً على قدْرٍ منَ السُّخرية منه، والنّقدِ المُوجَّهِ إليه (11) .

وتمثّلُ الجُمَلُ الاعتراضيّةُ بصمةً لُغويّةً توحيديّةً، ولها مقاصدُ في الكلام.

«قلتُ لأبي سليمانَ - وقد جرى كلامٌ في السرّ وطيِّه والبوحِ به- ما السّببُ في أنّ السّرّ لا ينكتمُ البتّةَ؟

فقال: لأنّ السّرَّ اسمٌ لأمرٍ موجودٍ قد ضُرب دونَه حجابٌ، وأُغلقَ عليه بابٌ... وهو - مع ذلك - موجودُ العينِ، ثابتُ الذّاتِ.... فلا بدّ له - إذاً - منَ النّموّ والظّهور؛ لأنّ انتهاءَه إليها، ووقوفَه عليها، ولو بقيَ مكتوماً خافياً أبداً لكان والمعدومُ سواءً؛ وهذا غيرُ سائغ - أعني أن يكون الموجودُ معدوماً -...» (12)

وتُمثّلُ الجملةُ الاعتراضيّةُ فِعْلًا كلاميًّا، فهو يُسلّطُ الضّوءَ عليها، ويجعلُها مركزَ الثّقلِ، ولها وظيفةٌ قصديّةٌ، ولا تقدّمُ دلالةً في حدّ ذاتها إن لم تقترن بالسّياقِ المتولّدةِ منه، ولولا أهميّتُها لمااعْتُرِضَ بها، فيُبرزُ الاعتراضُ المعلومةَ، ويُعدُّ بصمةً توحيديّةً، فقد وردَ في السّؤالِ، وتكرّر في الجوابِ، وكان التّوحيديُّ في موضعِ طلبٍ في السّؤال، أتى بها لتوضيحِ سؤالِه، وكان في حالةِ إخبارٍ في الجواب، فمثّلتْ بُؤرةَ الطّلبِ، وأكّدتِ المعنى، وانسجمتْ دلاليًّا مع غايةِ المقابسَةِ.

أُعجبَ التّوحيديُّ بأُستاذِه السّجستانيِّ مع أنّه أخذَ عليه التّقطيعَ في العبارةِ، واللّكنةَ النّاشئةَ عنِ العُجمةِ، وقلّةِ النّظرِ في الكُتبِ، وفرْطِ استبدادِ الخاطرِ (13)

ويسألُ التّوحيديُّ أبا سليمان السّجستانيَّ:

«فهل بلاغةٌ أحسنُ من بلاغةِ العربِ؟ » فيجيبُ:

«هذا لا يبيّنُ لنا إلّا بأن نتكلّمَ بجميعِ اللُّغاتِ على مهارةٍ وحذقٍ، ثمّ نضعُ القِسطاسَ على واحدةٍ واحدةٍ منها حتى نأتيَ على آخرِها وأقصَاها ثمّ نحْكمُ حُكماً بريئاً منَ الهوَى والتّقليدِ

(9) الاستفهام لدى السّكاكيّ فعل إنجازيّ مباشر ممكن الحصول في الذّهن، وهو طلب لحصول ما في الخارج في الذّهن، ويجب ألا يكون حاصلاً وقت الطلب.

السكاكي، أبو يعقوب: مفتاح العلوم، ط1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000، 418.

(10)«وأما مسكويه ففقير بين أغنياء، وعييّ بين أبيناء، لأنّه شاذّ، مع كلفه بالكيمياء، وإنفاق زمانه، وكدّ بدنه في خدمة السّلطان، وأنا أعطيته في هذه الأيام » صفو الشرح لإيساغوجي « وقاطيغورياس من تصنيف صديقنا بالريّ....» الإمتاع والمؤانسة: 35/1

(11) وردت في مقدمة الهوامل والشّوامل ملاحظة تفوّق التوحيدي على ابن مِسكويه:

«كما نلحظ مدى التّفوّق في بعض أسئلة التوحيديّ من حيث النّوع والعمق والدقّة على بعض إجابات مسكويه.. ويبدو أنّ السّبب في اختيار التّوحيدي مساءلة ابن مسكويه، وعنده من هو أعلم منه... لم يكن مصادفة، بل كان مقصوداً للتندّر والاستخفاف به، وإظهار عجزه الفكريّ، خاصة بعد أن باء طمع التوحيدي في علم ابن مسكويه وماله بالفشل، فوصفه بالغباء والبخل. » المقدمة، ص23-27.

والعصبيّةِ والمَيْنِ، وهذا لا يطمعُ فيه إلا ذو عاهةٍ، ولكن قد سمعنا لُغاتٍ كثيرةً من أهلها – أعني من أفاضلِهم وبُلغائِهم – فعلى ما ظهرَ لنا، وخُيِّل إلينا لم نجدْ لُغةً كالعربيّةِ.... وذلك لأنّها أوسعُ مناهِجَ، وألطفُ مخارجَ، وأعلَى مدارجَ، وحروفُها أتمُّ، وأسماؤُها أعظمُ، ومعانيها أوْغلُ، ومَعاريضُها أشملُ، ولها هذا النّحوُ الذي حصّتُه منها حصّةُ المنطقِ منَ العقل، وهذه خاصّةٌ ما حازتْها لُغةٌ على ما قَرَعَ آذانَنَا وصحبَ أذهانَنَا من كلامِ أجناسِ النّاسِ...» (14)

لجأَ – هنا – إلى أسماءِ التّفضيل «أوسعُ- أعلَى- ألطفُ..» في حديثِه عنِ العربيّة حماسةً لها مع أنه بدأ بدايةً منطقيّةً، ونسبَ الكلامَ إلى السّجستانيِّ؛ ليُبعدَ شُبهةَ الانحيازِ إلى العربيّة عن نفسِه، فتحدّثَ بلسانِ مُثقّفٍ من عصرِه، وحين حمّلَه الجوابَ جعلَ هذا الجوابَ رأيًا جماعيًّا؛ ذلك لأنّه رأيُ عالمٍ متبحِّرٍ، ونراه يُؤكّدُ الكلامَ المنسوبَ إلى السّجستانيِّ هنا بكلامٍ له في الإمتاعِ والمؤانسةِ حين يقول:

«سمعنَا لُغاتٍ كثيرةً... فما وجدنا لشيءٍ من هذه اللّغاتِ نُصوعَ العربيّةِ، أعنِي الفُرَجَ التي في كلماتِها، والفضاءَ الذي نجدُه في حروفِها، والمسافةَ التي بين مخارجِها، والمعادلةَ التي نذوقُها في أمثلتِها، والمساواةَ التي لا تُجحدُ في أبنيتِها.. (15):

تظهرُ جليًّا البصمةُ اللُّغويةُ للتّوحيديِّ في الكلامِ المنسوبِ إلى السّجستانيِّ من حيث تقسيمُ الجُمَلِ، والتفصيلُ المنطقيُّ في العباراتِ، ويبدو كلامُ السّجستانيِّ موضوعيًّا، لكنّه لا يكتفِي بتفضيل العربيّةِ، وعدِّها الأكثرَ بلاغةً، بل يُعدّدُ الأسبابَ التي جعلتْهُ يتّخذُ هذا الرّأيَ، ويأتي كلامُه في عصرٍ تراجعتْ فيه العربيّةُ، وظهرَ اللّحنُ.

ولأنّ جوابَ السّجستانيِّ هو رأيُ التّوحيديِّ نفسِه نجدُ أنّه قام بعمليةِ تناسُخٍ، وتحوّلَ سؤالُه إلى تساؤُلٍ بينه وبين نفسِه، ولو أُغفِل اسمُ السّجستانيِّ لنسبْنا هذا الكلامَ إلى التّوحيديِّ؛ لأنّها أفكارُه، لكنّ إنجازَه فعلًا لُغويًّا غيرَ مُباشرٍ في الجواب جنّبَه تُهمةَ الطّعنِ فيما كتبَه، والسّرقةِ في مرحلةٍ لاحقةٍ. لقد عانى الفقرَ والتّهميشَ في حياته، وحين ينسبُ الكلامَ إلى السّجستانيِّ يحظَى رأيُه بحُسن التّقدير، فالكتابةُ مصدرُ لُقمةِ عيشِه، وحين حاورَ السّجستانيَّ قال بطريقة غيرِ مُباشرةٍ إنّه في عِدادِه، وتُعلِي طريقةُ التقنّعِ باسم السّجستانيِّ من شأنِه بوصفِه كاتباً مُجنّحاً بالخيال.

إنّه يوجِّهُ الأنظارَ إلى السّجستانيِّ، ويمنحُه الفعلَ الكلاميَّ، ويعنِي ذلك إقصاءَ أيّةِ إجابةٍ أخرَى من قِبَلِ طرفٍ آخَر، وحينَ يسألُ يُوهمُ القارئَ بأنّه يجهلُ الجوابَ، ويطلبُ المعرفةَ، فيأخذُ السّجستانيُّ دورَ مَن له سلطةٌ لينطقَ بالجوابِ الشّافِي.

خاتمةٌ

لقد شكّل عرضُ أجوبتِه على لسانِ معاصريه صميمَ فلسفتِه، ولجأَ إلى توجيهِ سؤالٍ افتراضيٍّ لابنِ مِسْكويه، وحمّلَه الإجابةَ؛ لكي يحطَّ من شأنِه، ويسخرَ منه نظراً للموقفِ الخاصِّ بينَهما، فخطابُه معه خطابُ ضميرٍ مقهورٍ يحتجُّ على بُطلانِ أيِّ معرفةٍ لا تصاحبُها ثمراتٌ عقليّةٌ.

وبيّنتِ البصمةُ اللُّغويّةُ في حِوارياتِه مع السّجستانيِّ أنّ أسئلتَه الافتراضيّةَ الموجَّهةَ إليه كانت تساؤلاتٍ بينَه وبين نفسِه؛ لتماثُلِ أقوالِه مع ما قدّمَه على لسانِ السّجستانيِّ، وقد أفاده هذا الحوارُ في التّوفيقِ بين رأيَيْن متضادَّيْن، أو في الانتصار لرأيٍ على حسابِ الآخَر.

---

(12) المقابسات: 146-147.

(13) «وأمّا شيخنا أبو سليمان فإنّه أدقّهم نظراً، وأقعرهم غوصاً، وأصفاهم فكراً، وأظفرهم بالدّرر، وأوقفهم على الغرر، مع تقطيع في العبارة، ولكنة ناشئة من العجمة، وقلة نظر في الكتب، وفرط استبداد بالخاطر، وحسن استنباط للعويص، وجرأة على تفسير الرمز، وبخل بما عنده من هذا الكنز" الإمتاع والمؤانسة: 1/33.

(14) المقابسات: ص293-294.

(15) الإمتاع والمؤانسة: 1/77

قُبْلـة على فَمِ الضَّادِ



شعر/علي مصطفى لون
باحث دكتوراه-دراسات إسلامية وعربية،جامعة الأزهر

غَرْقَى على زَوْرَقِ القِرطاسِ أقْلامي   وذابِلٌ في حقول الشِّعْرِ إلْهامي
وأحرُفِي في سماءِ الضّادِ، تَحْجُبُهَا   كفُّ الضّباب، فتَمشي فِيَّ أقدامي
وكلَّما انْزَرَعَ الإبداعُ في كَلِمِي   مُخْضَوْضِرَ الوَجْه، لم تقطِفْهُ أحلامي
لكن شكوتُ إلى سَحْبَانَ، فانبجستْ   رُؤايَ، وانغمستْ في الضَّوءِ أقْلامي
إليكِ يا وردةً وجهُ القَصِيدِ هَفا   عسى محيّاكِ يجلو بعضَ أوهامي
شذاكِ مِن تُربةٍ عذراءَ تَذرِفُه   هذي الرَّياحينُ إن غنَّتْ بِأَكْمامِ
إني أرى هُدهدًا بلقيسُ تُقرِئُه   شعرًا، تقاطر مِنْ رُمَّانك الحامي
لا زلتُ في حضْرة الجَوْزاء إن طلعتْ   أقولُ للكون هذا مجدُكِ السامي
أراكِ ظبيًا بهذا القاعِ تلبسُه   مَحاسنٌ، طوَّحت بالقَوْس والرامي
العلمُ ينسابُ-كم خيَّلتُه سُحُبًا-   من أصْغرَيْكِ، فتُسْقَى منه أيامي
والنحوُ ينسجُ من عيْنيْكِ دهشتَه الْ   أُولَى، فتَفْتَرُّ عنْ ألواحِ رسّام
ينسابُ من صوتِكِ الإعرابُ منتشيًا   ورحلةُ الصرف كمْ طابتْ بِإدغام
كل اللغاتِ التي فينا قد انطلقت   إليكِ حُبًّا على ساقٍ وأقدام
منكِ الربابةُ كم غارتْ، وكم شَرقتْ   هذي الأغاني على أحضانِ أنغام
منذُ الصِّبا، قد تمشَّى «سِيبَوَيْهِ» إلى   حَدائقٍ يَجْتَني تُفَّاحَ أَحْكَامِ

وَذَا "ابْنُ جِنِّي" تَبَدَّى في خَصَائِصِهِ ... بحرًا، يجرُّ ينابيعًا إلى الظَّامي
يدٌ من اللّه قد صانتك عن حَجَرٍ ... مُلَطَّخٍ في أيادي النذْلِ هدام
وتُوتُكِ المشتهَى لما قرأتُ له ... دلائلاً ردّني إعجازُه السَّامي
رؤاكِ مِنْ بَطْنِ نَجْدٍ ظَلَّ يَحْضِنُها الـ ... ـمَسْرَى لتُفْضِي إلى بَغْدادَ وَالشَّامِ
لَمْ أدَّخِرْ في ربوعِ الضَّادِ نَبْضَ دَمِي ... وَكَمْ تَشَظَّى أَمَامَ البَابِ إِقْدَامِي
يَا رَوْعَةَ الضَّادِ قَدْ أَعْيَا الكَلامُ فَمِي ... أَوْصَافُكِ الغُرُّ كَمْ أَوْدَتْ بِأَعْوَامِي
في واحةِ الجهل كم شيّدتِ مئذنةً ... فاعْشَوْشَبَ الفجرُ في أضلاعِ إِظْلام
وثغركِ العذبُ حين افترَّ عن بَرَدٍ ... تقمَّصَ الماءُ ثوبَ النّارِ قُدَّامي
هذا الحَرِيرِيُّ يَشْدُو في مَقامَتِهِ الـ ... ـحُبْلَى بلحنِ أبي زيدٍ وَهَمَّامِ
لا تبتئسْ يا «أصولَ الفقه»، يا أرَقِي ... سيحْصُدُ الناسُ حتْمًا زَرْعَكَ النامي
لا تبتئسْ كيفما اشتطَّتْ مرابعكَ الـ ... ـحُسنى، فَلِلْخاصِ ما يطغى على العَامِ
إليكِ يافتنةً أُزجي سحابَ هوى ... من أعمق القلب، صَفْوٌ غيثُه الهامي
وفي فَمي قبلةٌ لم تنطفئْ وَهَوًى ... يجتاحني، وَحَنِينٌ شقَّ أجسامي
أُزْجِي صَلاةً مِنَ الحُبِّ القَدِيمِ سَرَتْ ... أَنْفَاسُهُ لِلْبَشِيرِ المُصْطَفَى الحَامِي
والآلِ والصَّحْبِ وَالأَتْبَاعِ قَاطِبَةً ... مَا رَدَّدَتْ أَلْسُنٌ آيًا لِأَنْعَامِ

تحقيقُ رسالةِ الإعلامِ في حُسنِ الأداءِ اللُّغويِّ

يُباركُ المجلسُ الأعلى للّغةِ العربيّةِ هذا الفعلَ الأكاديميَّ الذي تُنجزهُ جامعةُ ابنِ خلدون بمدينة تيارت في جانبين: جانبِ اختيارِ هذا الموضوعِ في لُغة الصّحافةِ لما للُغةِ الإعلامِ الصّحيحةِ الفصيحةِ من بيانٍ وتأثيرٍ وتوجيهٍ وتغييرٍ، وجانبِ اختيارِ مَحاورِ المُلتقى المُتعدّدةِ المشاربِ، ويَسْتَوْقِفُنا الكثيرُ منها في أسئلةِ الرّاهنِ، تحت مُقارَباتٍ وخطاباتٍ متجدّدةٍ؛ تمسُّ كلَّ أشكالِ عملياتِ التّواصُلِ الإعلاميِّ في أشكالِه التّقليديّةِ أو المعاصرةِ، وما يَنجرُ عن ذلك من مُقتضياتِ خطابِ الإعلامِ في واقعِه وحَراكِه نحوَ تحقيقِ هدفِه بلُغةٍ عربيّةٍ تعملُ على حمايةِ الأمنِ اللُّغويِّ؛ وتلك هي الرّسالةُ الكبرى المَنوطةُ برجلِ الإعلامِ المعاصرِ، رجلٍ يكونُ ابنَ عصرِه ومَصرِه وصاحبَ لُغتِه، ويكونُ النّاطقَ الدّقيقَ والمُبدعَ للّغةِ التي يستعملُها وسيلةً لتوصيلِ خطاباتِه بيُسرٍ وسُهولةٍ.



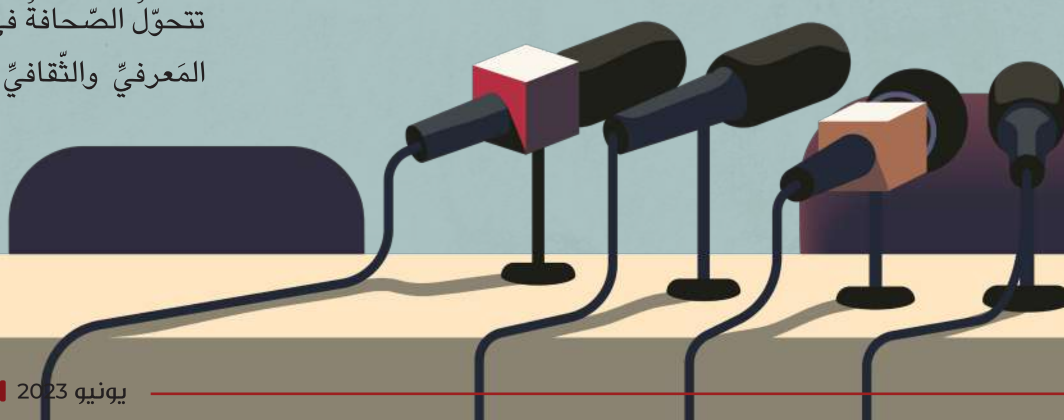
أ.د.صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة

مقدّمةٌ: منَ الضّروريِّ بمكانٍ أن نُعطيَ توضيحاتٍ مقتضبةً عن لغةِ الإعلامِ التي نالت مُحدّداتٍ كثيراتٍ، ورأيْنا أنْ نُجملَ ذلك في تلك المُصطلحاتِ التي أُطلقتْ عليها بَدءًا منَ اللّغةِ الثّالثةِ؛ وهي التي تتوسّطُ الفُصحَى والعاميّةَ، أو فُصحَى العَصر التي تواكبُ التّطوّرَ الاجتماعيَّ والمعرفيَّ، أو لُغةِ النّثرِ الفنّي؛ بين لُغة الأدبِ والنّثر العاديِّ؛ باعتبارِها لُغةَ التّخاطبِ اليوميِّ، ونظرَ إليها البعضُ من زاويةِ التّأثيرِ، وقال إنّها السّلاحُ الرّابعُ، كما صنّفَها بعضُ المُختصِّين المُعاصرين بأنّها تجمعُ بين السّلاحِ الرّابعِ والخامسِ مع ظهورِ الفسْبكةِ والتّوترةِ، ومن مُواصفاتِها البساطةُ والوضوحُ والاختصارُ والسّرعةُ، ولا تَنبتُّ عنِ الواقعِ،



بل تنقلُ لُغتَه في بساطتِها دون تقعّرٍ قاعديٍّ مَضبوطٍ في اللّفظِ وفي التّركيبِ، ومن وراء ذلك حدثتْ حوادثُ لسانيّةٌ منَ اللّهجات المُوظَّفةِ بغرض تحقيقِ رسالةِ الإعلامِ بالحديثِ عن الواقعِ بلُغةِ الواقعِ، فجاءت بعضُ الشّروخِ التي أحدثتْ مسارًا لُغويًّا جديدًا كان سببًا في تعقيدِ اللّغة الفُصحى بدلًا من حلِّها.

1 - مهامُّ رسالةِ الإعلام: يحملُ الإعلامُ رسائلَ كثيرةً، وفي كلِّ رسالةٍ له خطابُه الخاصُّ به، فمنَ المُفيدِ أن نُشيرَ بأنَّ من مهامِّ الرّسالةِ الإعلاميّةِ القيامَ بدورِ النّقلِ في المقامِ الأوّلِ (الوصْف) وهي المَهَمَّةُ الكُبرى، وهنا يكونُ الالتزامُ بالموضوعيّةِ والحدثِ توصيفاً وتحليلًا وباحترافيّةٍ تنأى عنِ المبالغاتِ والتّهويلِ، ولكنْ إلى جانبِ ذلك هناك وظائفُ أخرَى من مثلِ التّواصلِ+ التّوعيَةِ+ التّثقيفِ+ التّربيةِ+ التّرويحِ+ التّرقيَةِ اللّغويّةِ+ التّطويرِ اللّغويِّ... ولهذا يُنظرُ إلى المَهمّاتِ المنوطةِ برسالة الإعلام من قولِ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»؛ لأنَّ الإعلام أداةُ تنويرِ عقلِ الإنسان لا تستميلُها الصّداقاتُ، ولا يُرهبها العدوُّ، غيرَ أنّ هناك منَ الرّسائلِ الإعلاميّةِ ما تعملُ على تضخيمِ الأمورِ، وغضِّ الطّرَفِ عنِ الإخفاقاتِ، وكذلك تحملُ خطابَ التّيئيسِ ونقلِ الضّارِّ، وما يخدمُ التّفرقةَ، وتُسمّى بالصّحافةِ الصّفراءِ؛ صحافةٍ مثيرةٍ للفتنةِ؛ وهي من أخطرِ الصُّحفِ؛ تعتمدُ على إلهاء النّاسِ وإبعادِهم عن مُشْكِلاتِهِم الرّئيسةِ، ومن هنا تتحوّلُ الصّحافةُ في خفاءٍ ومكرٍ ودهاءٍ من منبر للتّمكينِ المَعرفيِّ والثّقافيِّ إلى منبرِ تسطيحٍ وتسفيهٍ وتجهيلٍ وتحريضٍ وزرعِ فتنةٍ، وبثِّ حقدٍ...



2 - الإعلامُ والاحترافيّةُ: إذا انحرفَ الإعلامُ عنِ الجادّة؛ يُؤدّي دوراً هدّاماً، وأنّ الخطرَ يكمنُ في شساعةِ الحقلِ الذي يستهدفُه بنشره ذاك، فمن وظائفِ الإعلامِ التّربيةُ والتّثقيفُ وتعزيزُ روحِ التّعايُشِ والتّماسُكِ الاجتماعيِّ، بما يحفظُ للمجتمع كيانَه ووجودَه واستمراريتَه، إلى وظيفةِ نشْرِ الفتنةِ والعَصبيّةِ والتّجهيلِ والتّغليطِ في أوساطِ مُجتمعِه، لممارسةِ دورِ الهادمِ وليس البانِي، وتفرضُ الاحترافيّةُ هنا دورَها في الضّميرِ العينيِّ تجاهَ الوعي الاجتماعيِّ ضروراتِ المسؤوليّةِ الأخلاقيّةِ التي يتحمّلُها الإعلاميُّ بصدقٍ نحوَ البناءِ لا الهدمِ، نحوَ التّسامُحِ لا البغضاءِ، ومن هنا تكبرُ المسؤوليّةُ، ويكثرُ اللّومُ على التّوجيهِ الخاطئِ أو التّحريضِ المُفتنِ، وتحيدُ رسالةُ الإعلاميِّ عن مهامِّها النّبيلةِ؛ لأنّها مسؤولةٌ عن المجتمعِ كافّةً في حفظِه ورعايةِ مصالحِه، وهنا يُثبتُ الإعلاميُّ دورَه في التّغييرِ الإيجابيِّ بمراعاةِ أخلاقياتِ المِهنةِ، وتظهرُ رسالةُ الإعلاميِّ لا مُجرّدَ نقلِ الأخبارِ، بل حاملُ رسالةٍ في تنويرِ المجتمعِ بما يتوافقُ مع القِيَمِ والاحترافيّةِ.

3 - إيجابيّاتُ الإعلامِ في خدمةِ الفُصحى: منَ الإنصافِ أن نقولَ إنّ الإعلامَ خدمَ الفُصحَى في كثيرٍ من جوانبِها ونقلَها نقلةً نوعيّةً، بل عمِلَ على تحبيبِها والارتقاءِ بها، وأصبحتْ سهلةَ التّداوُلِ، قريبةً من أفهامِ عامّةِ النّاسِ، على ما شابَها أحيانًا من بعضِ الأخطاءِ، والمُهمُّ في المسألةِ أنّ الإعلامَ عمِلَ على نشرِ الوَعيِ اللُّغويِّ، والإحساسِ بأهميّةِ الفُصحَى، وحرصَ على ألّا تزاحمَها العاميَّاتُ، إذًا لا يمكنُ جحدُ دورِ بعضِ الصّحافيّين الذين كانوا لُمَّعًا في تأديَةِ الفُصحى خيرَ أداءٍ بما لِلِسانهم من فذلكةٍ ناجعةٍ في الازدهارِ اللُّغويِّ، ولا سيّما في عصرِ ثقافةِ الاستماعِ وربطِ الصّورةِ بالمسموعِ، ثقافةِ الصّورةِ المُصاحِبَةِ بالكلمةِ المنطوقةِ، واستعلائِها على الكلمةِ المقروءةِ، وإنّ المسألةَ لا تحتاجُ إلى وقفاتٍ تمجيديّةٍ، بل إلى إعادةِ الاعتبارِ للإعلاميِّ الذي خدمَ الفُصحَى خدمةً تليقُ بمقامِها، واستطاع فرضَ العربيّةِ بتخلُّصِه من لُغةِ الاستعبادِ والاستعمارِ الثّقافيِّ، فكان لِلُغةِ الضّادِ الفضلُ الكبيرُ في نهوضِ إعلامٍ مستقلٍّ وواعدٍ شكّلَ مَصدراً من مصادرِ الفكرِ والتّوعيَةِ لشريحةٍ كبيرةٍ من قِطاعِ المُثقَّفين، بل أشادَ العديدُ منَ المفكّرين بفضلِ الإعلامِ الفصيحِ الذي جعلَ العربيّةَ تنالُ موقعَها بين اللُّغاتِ.

> **إنّ الإعلامَ خدمَ الفُصحَى في كثيرٍ من جوانبِها ونقلَها نقلةً نوعيّةً، بل عمِلَ على تحبِيبِها والارتقاءِ بها**

4 - الإعلامُ ودورُه في تطويرِ اللُّغةِ العربيّةِ: ليستِ اللُّغةُ ظاهرةً ثقافيّةً وعلميّةً فحسْبُ، ولكنّها ظاهرةٌ حضاريّةٌ، سياسيّةٌ، اجتماعيّةٌ، تَقْوى بقوّةِ أهلِها، وتتراجعُ بضَعفِهم وانحدارِهم، وما هيمنةُ اللُّغاتِ الأجنبيّةِ في واقعِنا إلّا بقوّةِ أهلِ تلك اللّغاتِ، وضعفِنا أهلَ اللّسانِ العربيِّ، وتلك هي مُشكلتُنا اللُّغويّةُ اليومَ، ولا يعودُ ذلك إلى اللُّغةِ العربيّةِ في ذاتِها، بل إلى ضعْفِها في أنفسِنا وعدمِ الاعتزازِ بها، ونتج عن ذلك سوءُ استعمالِها، وكلٌّ منّا أسهمَ بِقِسطٍ من هذه المُشكلةِ التي أضحتْ مُعضِلةً لدى أهلِ العربيّةِ. فما الحلّ؟ وعهْدِي بالمسألة يعودُ إلى قناتَيْن إنْ وقع الاهتمامُ بالعربيّةِ فيهما ستعودُ الأمورُ إلى حالِها،





وتُصبحُ العربيّةُ أحسنَ من ماضِيها التّليد، وهما: قناةُ المدرسةِ، وهنا ليس المجالُ مجالَ الحديث عنها. وأمّا القناةُ الثّانِيَةُ، وهي قناةُ الإعلام، فنحن مع أهلِ الإعلامِ وفي مؤتمرٍ يخصُّ محاورَ لُغَةِ الإعلام، وسوف أُعطِي كلمتِي في هذا المجالِ. وهنا نحتاجُ إلى بعضِ التّفصيلِ في ضروراتِ النّظرِ إلى:

1/4 ـ النّظرُ في مُسايرةِ تحدّياتِ اللّغةِ العربيّةِ في الواقعِ الإعلاميِّ: وتحتاجُ العربيّةُ إلى مُواجهةِ التّحديّاتِ المُعاصرةِ؛ لتؤدِّيَ دورَها المَعقودَ عليها، للتّعبير عنِ المُستجدّاتِ، وعالَمِ السُّرعةِ، وعملياتِ التّرجمةِ وما لها منَ المُنافسة، علماً أنّ العالَمَ أضحى قريةً يسعَى فيها الإعلامُ المُهيمنُ أن تنالَ لُغتُه كلَّ المَواقعِ للتّأثيرِ والتّوجيهِ والهَيمنةِ والتّبعيّةِ، ومُحاربةِ كلِّ اللُّغاتِ التي تخرجُ عنِ التّنميط.

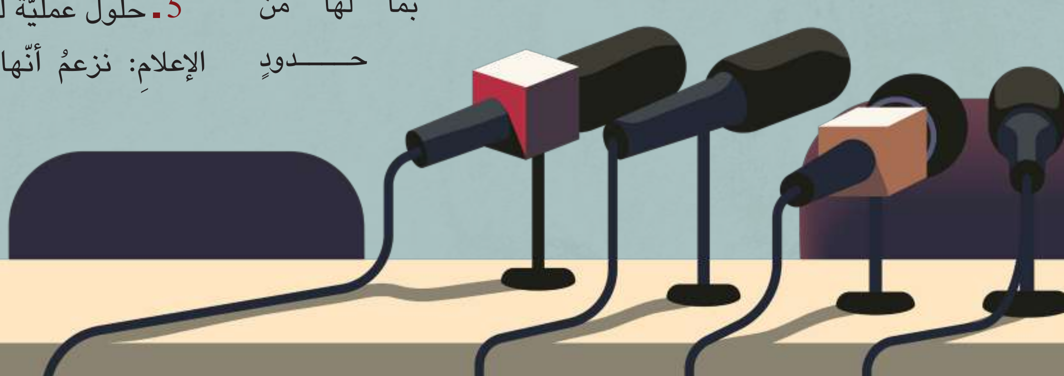
2/4 ـ علاجُ أسبابِ غيابِ الفُصحَى: وهذا عاملٌ مُهمٌّ كان علينا علاجُه بطريقةٍ علميّةٍ؛ تخرجُ من مخابرِ اللُّغاتِ، والحديثِ عنِ المُستوياتِ اللّغويّةِ، ومراعاةِ المقامِ والحالِ، ومُتعلّقاتِ الخطابِ وقواعدِ الاقتضاءِ اللُّغويِّ في توجيهِ الرّسالةِ الإعلاميّةِ بما لها من حـــــدودٍ لُغويّةٍ مَسموحٍ بها، وما هو منَ المَمنوعِ اللُّغويِّ.

3/4 ـ النّظرُ في إيجادِ الوصفةِ اللّازمةِ للتّقليلِ منِ استعمالِ العامّيَّات: إنّ استعمالَ العامّيَّاتِ ظاهرةٌ مُتَفَشِّيَةٌ بشكلٍ قَويٍّ، عدا في نشراتِ الأخبارِ، بل إنّ الإعلامَ يُروّجُ للعامّيات في التّمثيليّاتِ، وفي المُسلسلاتِ، وفي الأفلامِ ، حتى مسّتْ بعضَ الأمورِ الثّقافيّةِ والتّربويّةِ.

4/4 ـ النّظرُ في مُحاربةِ التّهجينِ اللُّغويِّ: وهي كارثةٌ أخرَى تمسُّ صُلبَ اللُّغاتِ التي تدخلُ فيها أنماطٌ ليست من جسم ذاتِ اللُّغة، فيحدثُ الهجينُ الذي يَقلَعُ اللّغاتِ من جذورها، بدعوى: المُهمُّ الفهمُ.

ومن وراء هذا يُمكنُ تلخيصُ الوضْعِ في جهل بعضِ الإعلاميين أو تسامُحِهم بأهميّة العربيّةِ الفُصحى، والانبهارِ بلُغةِ الآخَر، والتّكاسُلِ في التّرجمةِ والتّعريبِ، وسُوءِ تقديرِ الفُصحى في الحفاظِ على شخصيتِنا، وعدمِ ثقةِ قومٍ ممّن مالَ انتماؤُهم الحضاريُّ إلى لُغَةٍ حضاريّةٍ علميّةٍ وفنٍّ وثقافةٍ، ومنَ الواضحِ أنّ هذه العواملَ تقعُ في دائرة سُوءِ الظنِّ بمقامِ العربيّةِ الفُصحَى.

5 ـ حلولٌ عمليّةٌ لحُسنِ استعمالِ الفُصحى لدى وسائلِ الإعلامِ: نزعمُ أنّها حلولٌ يكونُ لها وقعٌ في الاعتزازِ بالفُصحَى لدى أهلِ الإعلام، ويكونُ ذلك عاملاً من عواملِ حُسن



الأداءِ اللُّغويِّ للعربيّةِ الفُصحى. ولقد بَصُرْتُ بمجموعةٍ منَ الأفكار، إليكمُوها في هذه المقتضَبات:

1/5 ـ أهميّةُ الإعلامِ في غرسِ الاعتزازِ اللُّغويِّ: هي من مُتعلّقاتِ الوعيِ اللُّغويِّ المَنوطِ بأهميّةِ العربيّةِ لِمَا لها من موقعٍ في الوعيِ الجمعيِّ لدى العربِ والمسلمين، ويُضاف لذلك ما تعملُ على تحقيقِه من وحدةٍ انسجاميّةٍ لا توجدُ في العامّيات، وهي الكفيلةُ بوسيلةِ اتّصالٍ ناجعةٍ لتحقيقِ الوحدةِ داخليًّا وخارجيًّا، ومنَ المُؤسفِ أن نخوضَ معركةَ العولمةِ دون سلاحٍ أو بسلاحٍ قديم، ومن هنا نحتاجُ إلى أرمادَةٍ من تشريعاتٍ وقوانينَ واستعمالٍ لهذه اللُّغة لتكونَ في مستوَى معركةِ العصر، ومعركةُ العصرِ لا تكونُ دون الاعتزازِ بالذّاتِ اللُّغويّةِ الفُصحى والانتماءِ العربيِّ الإسلاميّ، فاللُّغةُ العربيّةُ الفُصحَى هي التي تصنعُ العقولَ البنّاءَة، واستعمالُ الفُصحَى في لُغةِ الإعلامِ ليس مَطلباً عسيرَ المنالِ، فلُغةُ الإعلامِ هي الفُصحَى المبسّطةُ في مُستواها العِلْميِّ وفي المرونةِ والعُمق.

5 /2ـ الانغماسُ اللُّغويُّ في محيطِ العولمةِ الإعلاميَّةِ بما يحفظُ لنا الخُصوصيَّاتِ الهُوياتيّةِ: وإنّها لازمةٌ ننأى بها عن قَبولِ ما يأتينا منَ الفضائياتِ الغربيّةِ، ونكونُ تُبّعاً لا غيرَ، فكان منَ الضّروريِّ حُسنُ التّخلُّصِ السّلسِ، باستعمالِ القُوّةِ النّاعمةِ في التّعامُلِ النّفعيِّ بين مِطرقةِ الفضائياتِ وسِندانِ العولمةِ؛ لتكونَ العربيّةُ الفُصحَى في وسائلِ إعلامِنا قادرةً على تربيَةِ المَلَكاتِ اللُّغويّةِ ورعايتِها بما ينعكسُ إيجاباً على الإعلامِ نفسِه، ويتأسّسُ هذا بالفُصحَى فقط؛ بوصفِها الوحيدةَ القادرةَ على المواجهةِ بما لها من مرونةٍ وعُمقٍ وخصائصَ تنبضُ بصلاحيتِها لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وأؤكّدُ بأنّ الفُصحَى هي المُؤهَّلةُ لمواجهةِ عصرِ التّفجيرِ المَعرفيِّ المُتنامي لثورةِ الاتّصالاتِ والسّماءِ المفتوحةِ، وأداةٌ للاتّصالِ الإعلاميِّ المعرفيِّ، ومن هنا فإنّ الفُصحَى هي الوسيلةُ الوحيدةُ التي تُحفّزُ وسائلَ الإعلام من قُوّةِ الدّفعِ للوُقوفِ ندًّا للنّدّ أمام اللُّغاتِ القويّةِ.

لا يمكنُ جحدُ دورِ بعضِ الصّحافيّين الذين كانوا لُمَّعًا في تأديَةِ الفُصحى خيرَ أداء بما لِلِسانهم من فذلكة ناجعةٍ في الازدهارِ اللُّغويّ

2/5 ـ حُسنُ التّخلُّصِ منَ العامّيات: ليس المطلوبُ منَ الإعلاميِّ التّقعّرَ اللُّغويَّ؛ بالمبالغةِ في التّفاصُحِ، وإنّما أقصَى ما يُطلبُ منه احترامُ قواعدِ الفُصحى والمَعاييرِ المُنظِّمةِ لها؛ ممّا يُضفي على أسلوبِها مسحةً منَ الأناقة، وينأَى بها عنِ الإسفافِ والرّداءةِ، وتكونُ العامّيات سَندًا في ترقيتِها، وتعودُ إلى وضعِها، واحترامِ مقاماتِها، فالعامّياتُ لها حصصُها ومقاماتُها التي لا بدَّ منها، وهنا لا يمكنُ أن نُنكرَ ما يرتبطُ بالتّأثيرِ والتّأثُّرِ المُتبادلِ بين مُستوى الفُصحى والعامّيّة، فالعُرفُ اللّسانيُّ يؤكّدُ أنّ المُستوى الفصيحَ ينحُو مَنحى التّكيّفِ مع المُستوى التّعبيريِّ اليوميِّ؛ بمعنى أنّ التّلاقيَ والتّفاعلَ يَحدُثان انطلاقاً منَ المستوى الفصيح، وُصولاً إلى المستوى العامّيّ، ويعني استعمال الإعلاميّ هو شكلٌ من أشكالِ الفصيحِ، وعليه فقط أن يعملَ على ترقيتِه.

3/5 ـ عدمُ التّساهُلِ مع الأخطاءِ الشّائعةِ: لقد أدّى طُغيانُ العامّيّةِ في الكثيرِ من برامجِ الموادِّ الإعلاميَّةِ وسياساتِها إلى تفشّي الأخطاءِ الشّائعةِ في الرّسائلِ الإعلاميّةِ، وهذا ما نجدُه في كتاباتِ ومُراسلاتِ الصّحافيّين والكُتّاب في الصُّحفِ وفي المجلّاتِ وفي الدّوريات التي نتصفَّحُها، فالكثيرُ منَ الكلماتِ التي أُدْرِجَتْ لا تمتُّ بأيِّ صلةٍ ـــــــــ لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ ـــــــــ



إلى المعنى المرادِ توصيلُه، ولاحظنا الكثيرَ منَ العُدول عنِ المعنى الصّحيحِ للاستخدامِ الفصيحِ الذي يُعدُّ وعاءَ اللُّغةِ العربيّةِ، وهنا يجدرُ القولُ بأنّ الضّرورةَ اللّغويّةَ تَستدعِي عدمَ التّساهُلِ في تلك الأخطاءِ التي تُصبحُ يوماً ما منَ الصّواب بفعل التّسامُحِ، وفي كلٍّ هذا منَ الضّروريِّ الحَزْمُ اللّغويُّ من قِبَل الإعلاميّين، وهي مسؤوليَّتُهم الكُبرى التي يتحمّلون وِزرَ هذه الأخطاء التي تعلَقُ بالعربيّة وهي بريئةٌ منها، وكم دعوْنا إلى إدراج مادّةٍ تصحيحِ الأخطاءِ الشّائعةِ وقواعدِ النّحو في أثناءِ التّكويناتِ التي ألقيناها في نَدواتنا، ورأينا أنّه العلاجُ السّليمُ لضَعفِ الأداءِ اللُّغويِّ لدى رجالِ الإعلام.

5/4 ـ اللُّغةُ العربيّةُ وضعٌ واستعمالٌ:

إنّ اللُّغةَ عُملةٌ أبديّةٌ أزليّةٌ مُتداوَلةٌ بين النّاس، وإذا كانت الدّولُ تُنشِئُ القوانينَ وتسُنُّ التّشريعاتِ لحمايةِ العُملةِ منَ التّزوير؛ فمن بابٍ أولَى أن تُصان اللُّغةُ منَ التَّدنيسِ والتَّدليسِ، حتى لا يتعرّضَ العلمُ والفكرُ الذي تحملُه إلى الإفلاس، واللُّغةُ العربيّةُ بِعَدِّها مُكوّنًا ارتكازيًّا للثّقافةِ العربيّة، كان علينا صيانتُها باستعمالِها الذي يعملُ على سلاستِها وتواصُلِها عبْرَ مُختلفِ التّطوُّراتِ التي تعرفها سُنَنُ التّطوّرِ، ومن ثمّةَ فحياةُ اللُّغةِ العربيّةِ وحيويّتُها رهنُ استعمالِنا لها وقدرتِنا على توسيع مجالِها، وحمْلُها على الاستجابةِ لحاجاتِنا لا يتوفّرُ إلا بقدْرِ ممارستِنا لها وتحميلِها لتجاربَ بشريةٍ جديدةٍ.

6 ـ اقتراحات لحُسنِ أداءٍ لُغويٍّ سَهْلٍ في العربيّة: ويُمكنُ توضيحُ ذلك عبرَ هذه المَحطّات:

1/6 ـ استغلالُ الرّسالةِ الإعلاميّةِ لقنواتِنا بما يخدمُ اللُّغةَ العربيّةَ، ويُسهمُ في الارتقاءِ بها، من خلالِ ضبطِ نشاطِ البثِّ، وإخضاعِه للسياسةِ التّربويّةِ الشّاملةِ.

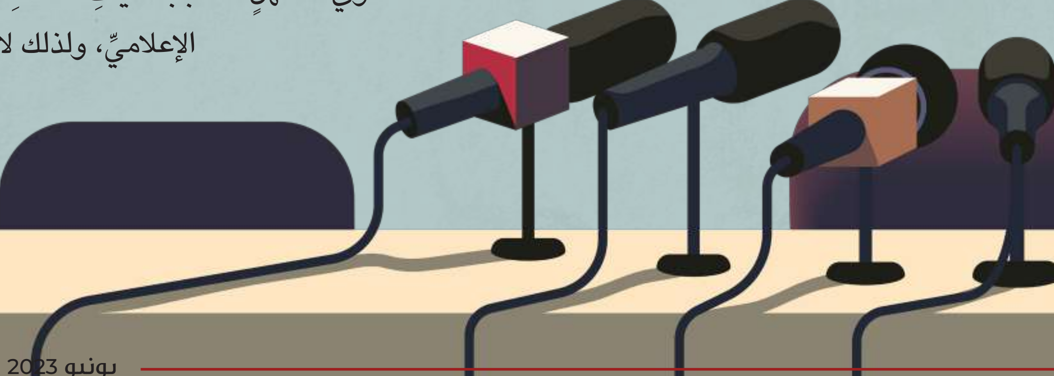
2/6 ـ إنتاجُ المُصطلحاتِ العربيّةِ في لُغة الإعلام، ومتابعةُ منتوجِ المجامعِ والمُؤسّساتِ العلميّةِ التي تعملُ على حمايةِ اللّغةِ العربيّةِ، والعملِ على تطبيقِ قراراتِها.

3/6 ـ نقلُ الوعي والاعتزازِ بالعربيّةِ من مُستوى الأفكارِ إلى مُستوى التّطبيقِ، ودفعُ العربيّةِ إلى الجماهيرِ لتحتضنَها؛ لتصبحَ العربيّةُ لغةَ الجماهير، ولُغةَ تفكيرٍ إعلاميٍّ يتكيّفُ مع التّحوّلاتِ وتفِي بغرضِ الواقع.

> **ليس المطلوبُ منَ الإعلاميِّ التّقعّرَ اللُّغويَّ؛ بالمبالغةِ في التّفاصُحِ، وإنّما أقصَى ما يُطلبُ منه احترامُ قواعدِ الفُصحى والمَعاييرِ المُنظّمةِ لها**

4/6 ـ استثمارُ التّفجيرِ الإعلاميِّ أحسنَ استثمارٍ في تعزيزِ المُواطنةِ اللُّغويّةِ، وبعْثِ الانسجامِ للنّسيجِ اللُّغويِّ المُتراصِّ، من خلال استثمارِ قُدراتِ رجالِ الإعلام على الاستفادةِ منَ القنواتِ الأجنبيّةِ دون الذَّوبان فيها.

ـ خاتمةٌ: تظلُّ العربيّةُ الفُصحَى مرآةً صادقةً تُعبّرُ عن ديوانِنا، وهي إحدى القلاعِ الحصينةِ المُتأبّيةِ على الاستسلام، وتستنفرُ أهلَها للنّهوضِ والتّقدّم، ويحسنُ بنا الإقرارُ بأنّ اللُّغةَ العربيّةَ لم تَنل حقَّها بإنصافٍ على رَكْحِ وسائلِ الإعلامِ، على الرُّغم من أنّ عددَ القنواتِ الفضائيّةِ العربيّةِ يصل إلى 2000 قناة بين عامّةٍ وخاصّةٍ، إلَّا أنّ البرامجَ التي تُقدّمُ بالفُصحى قليلةٌ، وأغلبُها سيّءُ التّنفيذِ والإخراج، ويغيبُ فيه الاهتمامُ بجمالياتِ اللُّغةِ العربيّةِ، ويفتقدُ عُنصرَ التّشويقِ الإعلاميِّ، ولذلك لا نبالغُ إذا قلنا: إنّ تفصيحَ لُغةِ وسائلِ الإعلام لا بدَّ أن تتجسَّدَ لحُسنِ أداءٍ لُغويٍّ جيّدٍ.



روابطُ التّركيبِ وأثرُها في المعنى دَاخِلَ النَّصِّ القُرآنِيِّ

مِنْ خِلالِ كِتابِ نظْمِ الدُّررِ للبِقاعيِّ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمين: سيّدِنا محمّدٍ، وعلى آله وصحبِه أجمعينَ.
أمّا بعدُ، فإنّ أيَّ دراسةٍ نصّيَّةٍ تهدفُ للوصولِ إلى دَلالة النّصّ لا بدَّ أن تنطلقَ من مُراعاةِ الجانبِ النَّحويّ داخلَ هذا النّصّ؛ لأنَّ الكلماتِ التي يتكوّنُ منها أيُّ نصٍّ لا يصبحُ لها معنى مفهومٌ إلّا من خلالِ ارتباطِها ببعضِها وَفقَ النّظامِ النّحويِّ للّغة، أمّا إذا رُتِّبَتْ هذه الكلماتِ بصورةٍ عَشوائيةٍ لا تتّبعُ النّظامَ النَّحويَّ المتعارَفَ عليه فإنّها لا تُؤدّي إلى معنى مفهوم، يقول عبدُ القاهر: «وإنّك إنْ عمدْتَ إلى ألفاظٍ فجعلتَ تُتبعُ بعضَها بعضًا من غيرِ أن تتوخّى فيها معانيَ النَّحو لم تكنْ صنعتَ شيئًا تُدعَى به مُؤلِّفًا» (1).



د.السيد أحمد عبد الراضي
دكتوراه في النّحو والصّرف والعروض/جامعة القاهرة.

والرّبطُ لغةً يعني: الشّدّ(2)، وفي الاصطلاح: ظاهرةٌ تركيبيّةٌ تنشأُ بين مجموعةٍ منَ الكلماتِ بوسائلَ معيّنةٍ إمّا ملفوظةٍ أو ملحوظةٍ تتضافرُ مع قرائنَ لفظيّةٍ أخرى لأداء المعنى الوَظيفيّ للتّركيب ولتحقيقِ الغايةِ منَ اللّغة، وهي فهمُ المعنى وإفهامُه (3)، أمّا الرّوابطُ فهي: ألفاظٌ دالّةٌ على معنى الاجتماع بين الموضوعِ والمحمول، وبتعبيرٍ آخرَ هي: وسائلُ لُغويةٌ تصلُ بين العناصرِ المكوِّنةِ لجزءٍ منَ السّياقِ(4).

فيتّضحُ ممّا سبقَ أنّ هذا الارتباطَ بين الكلماتِ نوعانِ: ارتباطٌ معنويٌّ يَنْعَقِدُ بواسطةِ وسائلَ ملحوظةٍ (معنويةٍ)،

---

1 – الجُرجاني: أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد (ت471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: د.محمد التنجي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1995، ص370، 371 .

2 – انظر: ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، 2000م، 9 /162، وابن منظور: محمد بن مكرم بن علي جمال الدين (ت711هـ)، لسان العرب، طبعة دار صادر – بيروت، 302/7.

3 – انظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية 1979م، ص205.

4 – انظر: الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت1094هـ)، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م، 2 / 396، د/ محمد خطابي، لسانيات النص لمحمد خطابي مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي – بيروت، الطبعة الأولى 1991م، ص5، 14 .

وارتباطٌ لفظيٌّ يُبْنَى من خلال وسائلَ ملفوظةٍ (لفظيةٍ).

أما الارتباطُ المعنويُّ بين الكلماتِ فيكونُ من خلال ما يسمَّى بالعلاقاتِ النَّحويةِ، وهي علاقاتٌ تركيبيّةٌ معنويّةٌ «تنشأُ في عالَم التَّجريد، وتحديدًا بين المعانِي والأفكارِ، وهي تتحوّلُ في النّهاية إلى عالَم المحسوسِ نُطقًا وكتابةً؛ لأنّ اللّغةَ قبْلَ أن تصبحَ حروفًا وكلماتٍ وجُملًا تبدأُ على شكلِ معانٍ وأفكارٍ يحوّلُها المتكلِّمُ إلى شِقِّها المنطوقِ حسبَما تواضعَ عليه النّاسُ وحسبَ نظامِ كلِّ لُغةٍ»(5).

وتتمثّلُ هذه العلاقاتُ النَّحويةُ في أربعِ علاقاتٍ كُبرى هي: علاقةُ الإسناد، وعلاقةُ التّخصيص، وعلاقةُ الإضافة، وعلاقةُ التّبعيةِ، وتتفرّعُ هذه العلاقاتُ إلى علاقاتٍ فرعيّةٍ، فعلاقةُ الإسناد مثلُ علاقةِ المبتدأ بالخبر، وعلاقةِ الفعل بالفاعل أو نائبِ الفاعل، وعلاقةُ التّخصيص كعلاقة المفاعيلِ والحالِ والظّروفِ بالفعل، وعلاقةُ الإضافة كعلاقة المضافِ بالمضاف إليه وعلاقةِ الجار والمجرور بمتعلَّقِهما، وعلاقةُ التّبعيةِ كعلاقة التّوابع بمتبوعاتِها.

وأمّا الارتباطُ اللّفظي فيكونُ من خلالِ روابطَ لفظيّةٍ تربطُ الكلامَ اللّاحِقَ بكلامٍ سابقٍ داخلَ النّصّ، ومن هذه الروابط: الضميرُ، واسمُ الإشارة، واسمُ الموصول.

وتتعدّدُ الرّوابطُ اللّفظيّةُ داخلَ التّركيب، إذْ تُعدُّ ذاتَ أهميّةٍ كبيرةٍ، فهي تعملُ على تماسُكِ النّصّ وترابُطِه، وإذا كان فهمُ العلاقاتِ النّحويةِ داخلَ التّركيب أمرًا في غاية الأهميّة في التّحليلِ النّصّي من أجل التوصُّلِ إلى دَلالة النّصّ ـ حيث تتوقّفُ معرفةُ دَلالته على معرفةِ العلاقاتِ النّحويةِ النّاشئةِ بين الكلماتِ وَفَهْمِهَا ـ فإنّ معرفةَ الرّوابطِ اللّفظيةِ داخلَ التّركيب وتحديدَها أمرٌ ذو أهميّةٍ كبيرةٍ أيضًا، فالكلماتُ التي ترتبطُ ببعضِها بِوَسَاطَةِ العلاقاتِ النّحويةِ لا بدَّ منَ اشتمالِها على روابطَ، فالمبتدأ والخبرُ يرتبطان بعلاقةِ الإسنادِ، وقدِ اشترطَ النُّحاةُ اشتمالَ الخبرِ على رابطٍ يربطُه بالمبتدأ، كما ترتبطُ الحالُ



5 – انظر: سليمة عياض، العلاقات النحوية وأثرها في بناء الأسلوب (رياض الصالحين نموذجا)، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح – الجزائر 2010م، ص26 .

بالفعل بعلاقة التَّخصيصِ، ولا بدَّ مِن اشتمالِها على رابطٍ يربطُها بصاحب الحالِ، والنّعتُ يرتبطُ بالمنعوت بعلاقةٍ معنويةٍ هي التَّبعيّةُ، ويرتبطان أيضًا بِوَسَاطَةِ الضّميرِ الذي يكونُ في النّعت ويعودُ على المنعوت، وهكذا، فالرّبطُ ـ إذن - « علاقةٌ سياقيّةٌ تتحقّقُ في النّصّ، تؤدِّي وظيفةَ إنعاشِ الذّاكرةِ لاستعادةِ مذكورٍ سابقٍ عبرَ وسيلةٍ لفظيةٍ تعينُ على الوصولِ إلى الغاية العامّة مِنَ السّياق»(6)، أي أنّ الرّبطَ يمثّلُ علاقةً بين طرفَيْن، حيث يُعينُ الطّرفُ الثّاني ـ وهو الرّابطُ ـ على تذكُّرِ الطّرف الأوّلِ.

وتشتركُ هذه العلاقةُ ـ أي: علاقةُ الرّبطِ اللّفظيِّ ـ مع الرَّبطِ المعنويِّ الذي يتمثّلُ في العلاقاتِ النّحويةِ الأربعِ في أنّها جميعًا تؤدِّي إلى ترابُطِ أجزاءِ الكلامِ ليؤدِّيَ معانيَ مفهومةً معيّنةً وَفقًا لنوعِ هذه العلاقاتِ، والفارقُ بينَهما هو أنّ علاقةَ الرّبطِ علاقةٌ لفظيّةٌ، أي تَكُونُ بِوَسَاطَةِ روابطَ لفظيّةٍ، أمّا العلاقاتُ الأربعُ: الإسنادُ والتّخصيصُ والإضافةُ والتّبعيّةُ فهي علاقاتٌ معنويّةٌ.

كما يمكنُ القولُ بأنّ علاقةَ الرَّبطِ اللّفظيِّ تُعدُّ بمنزلةِ تأكيدٍ للعلاقاتِ المعنويّةِ القويّةِ بين الكلماتِ والجُملِ في السّياق النّحويّ، كما أنَّ لها أهميّةً بالغةً في فهم العلاقاتِ القائمةِ بين الجُمل والتّراكيبِ(7).

ويُعدُّ الضّميرُ أحدَ أهمِّ الأدواتِ التي يقومُ عليها ترابُطُ النّصّ وتماسُكُه نحويًّا، يقول الرّضِي مُوضِّحًا أهميّةَ الضّمير في الرَّبط بين الجُمل: « الجملةُ في الأصل كلامٌ مستقلٌّ، فإذا قصدتَ جعلَها جزءَ الكلام فلا بدَّ من رابطةٍ تربطُها بالجُزء الآخَر، وتلك الرّابطةُ هي الضّميرُ؛ إذ هو الموضوعُ لمثلِ هذا الغرضِ»(8).

فمن خلالِ نصِّ الرّضِي يمكنُ أن نستنتجَ أنّ الضّميرَ يمثّلُ وسيلةً لفظيّةً تُرْبَطُ بِهَا أجزاءِ الكلام، فبيْنَه وبين الكلامِ السّابقِ علاقةٌ نحويّةٌ، حيث يكون هذا السّابقُ مفسّرًا ومُوضِّحًا ومَرجعًا للضّمير، ويكونُ الضّميرُ إحالةً إلى هذا

> **الارتباطُ المعنويُّ بين الكلماتِ يكونُ من خلال ما يسمَّى بالعلاقاتِ النَّحوية**



6 – د/ مها عبد العزيز إبراهيم، الربط النحوي ووسائله اللفظية، مجلة كلية الآداب – جامعة سوهاج – العدد الخامس والثلاثون – أكتوبر 2103م، ص131 .

7 – د.خليل عبد الله، العلاقات الفعلية في كتاب سيبويه: دراسة في التراث النحوي وعلم اللغة الحديث، دار النهضة العربية – الطبعة الأولى 2015م ص72 .

8 – الرضي: محمد بن الحسن (ت684هـ)، شرح الرّضي على كافية ابن الحاجب، نشر جامعة قار يونس – ليبيا، 1 / 238 .

السّابق جِيءَ به اختصارًا بدلًا من تكرار هذا السّابق.

وتحليلُ النّصّ يقتضي مُراعاةَ معرفةِ دَلالة الضّمير، ومعرفةِ مرجعِه ؛ والوقوفِ على الدّلالات التي تنتجُ عن وضع الظّاهرِ موضعَ المُضمَر، وكلُّ هذه الأمورِ اهتمّ بها البِقاعيُّ في تفسيره للقرآن من خلال كتابه (نظْمُ الدُّرَرِ في تناسُبِ الآيات والسُّوَرِ)، من ذلك ما نجدُه عنده من ذكرِه لدلالةِ ضميرِ الغائب في قوله تعالى:﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٥١ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾(9)فقد استُخدم أوّلًا ضميرُ المتكلّم (إياي) ، ثم عُدل إلى استخدام ضمير الغائب في قوله تعالى:﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ﴾ ، وقد بين البِقاعيُّ دلالةَ هذا العدول إلى ضمير الغيبةِ فقال: « ولما كان أسلوبُ الغيبة منَ الحاضر دالًّا على التّردّي بحجاب الكِبْر المُؤذِنِ بشدّةِ البطشِ وسرعة الانتقامِ وبعدِ المقام ، رجع إليه فقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ﴾، فأعاد الضّميرَ على الله الاسم العلَم الجامعِ لجميع الأسماء الحسنى»(10).

ومن ذلك أيضا ما نجدُه عنده من تعليله لاستخدام ضميرِ الغائب بدلًا من اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾ (11).

فعندما سألَ زكريا مريمَ ـ عليهما السلام ـ عن مصدر الرِّزقِ قال: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ﴾ باستخدام اسم الإشارة (هذا) الذي يفسّرُه موجودٌ حاضرٌ، فكأنّه سألها عن مصدر الرِّزق المُشاهَد أمامَه، ولكنَّ السيدةَ مريمَ ـ عليها السلامـ أجابت فقالت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ باستخدام ضميرِ الغائب (هو)، ولم تقل: (هذا من عند الله)، وذلك لأنّها لو قالت (هذا) لدلّ ذلك على أنَّ الرّزقَ المُشاهَدَ أمامَه فقط من عند الله، ولكنّها أرادتْ أنَّ النِّعمَ كلَّها سواءٌ المُشاهدُ منها أو الغائبُ من عند الله، وهذه الدّلالةُ يفيدُها ضميرُ الغائب (هو)، يقول البِقاعيّ: « وفي ذكرِ الضّمير في قوله: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ إيذانٌ بنظرها إلى مجموعِ حقيقةِ ذلك الرّزق لا إلى أعيانه، فهو إنباءٌ عن رؤية قلبٍ، لا عن نظرِ عينٍ؛ لأنّ (هو) كلمةُ إضمارٍ جامعةٌ لكلّ ما تفصّلت صورتُه ممّا اتّحدَ مضمرُه»(12).



ومن ذلك أيضا عنايتُه بتحديد مرجعِ الضّمير وربطِ ذلك بالدّلالة في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ﴾(13)، فقد ذكر البِقاعيُّ وجهين لمرجعِ الضّميرِ المُستترِ الواقعِ في محلِّ رفعِ فاعلٍ في قوله تعالى ﴿لِيُرِيَهُۥ﴾: الأول: أن يكونَ مرجعُه (الغراب)، والثاني: أن يكونَ مرجعُه لفظَ الجلالة (الله) ، ولكنه جعل « الأول أولى »، ودلالة ذلك كما يقول : « توقيفه على عجْزِه وجهلِه بأنّ الغرابَ أعلمُ منه وأقربُ إلى الخير»(14) .

---

9 – النحل: 51، 52 .

10 –البقاعي: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر(885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية –بيروت– 1415 هـ – 1995 م، 4 / 277 .

11 – آل عمران: 37 .

12 – نظم الدرر: 2 / 74 .

13 – المائدة: 31 .

14 –البقاعي: نظم الدرر 2 / 447 .

ومثلُ ذلك قولُه تعالى: ﴿أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾ (15)، حيث يرى البِقاعيُّ أنّ الضّمير في ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ يعود على (خنزير)، يقول: « فإنّه - أي: الخنزيرُ- رجسٌ »(16)، وعلّل كونَ مرجعِ الضّمير هو كلمةُ (خنزير) بقوله: « ليُفيدَ نجاسةَ عينِه وهو حيٌّ، فلحمُه وكذا سائرُ أجزائه بطريق الأولى، وكلُّ ما وافقه في هذه العلّة كان نجِسًا »(17)، ويرى أنّه « لا يُعادُ الضّميرُ على اللّحم؛ لأنّه قد عُلمتْ نجاستُه من تحريمِه لعينِه، فلو عاد عليه كان تكرارًا» (18) .

ومنَ الآياتِ التي عُنيَ فيها البِقاعيُّ ببيان دلالةِ وضعِ الظّاهر موضعَ المُضمَر قولُه تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ (19)، فقد أعاد هنا ذكرَ كلمةِ (المحيض) على الرُّغم من ذكرها قبْلَ ذلك، ولم يقل: (فاعتزلوا النساء فيه) ، وقد بيّن البِقاعيُّ دلالةَ ذلك فقال: «وأظهرَه لئلّا يلبسَ لو أضمرَ بأنّ الضّميرَ لمطلق المُرادِ بالأذى منَ الدّم فيشملُ الاستحاضةَ وهي دمٌ صالحٌ يسيلُ من عِرقٍ ينفجرُ من عنُقِ الرَّحِم فلا يكونُ أذًى كالحيض الذي هو دمٌ فاسدٌ يتولّدُ من طبيعة المرأةِ من طريقِ الرّحِم ولو احتبسَ لمرضتِ المرأةُ ، فهو كالبَولِ والغائطِ فيحلُّ الوطءُ معه دونَ الحيض »(20).

ومن ذلك أيضا قولُه تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ (21)، فقد بيّن البِقاعيُّ هنا أيضا دلالةَ وضعِ الظّاهر (كل) بدلًا منَ المُضمر، حيث لم يقل: (هو من عند الله)؛ لأنّ (هو) حينئذ سيعودُ على ما عاد إليه الضّميرُ في (به)، وهذا الأخيرُ يحتملُ العودةَ على المُحكم فقط ، فجاء الاسمُ الظّاهرُ بدلًا منَ المُضمر ليرفعَ هذا الاحتمالَ، ويشملَ كلًّا مَن المُحكَم والمتشابِه، يقول البِقاعيُّ: « ولمّا كان هذا الضّميرُ محتمِلًا للمُحكم فقط قال : (كل)، أي منَ المُحكَم والمُتَشَابِهِ »(22).

ومن وسائلِ الرَّبطِ اللَّفظيِّ أيضا: اسمُ الإشارة، وهو: ما دلَّ على مُسمّى وإشارةٍ إليه(23)، « والمُشارُ إليه إمّا واحدٌ، أو اثنان، أو جماعةٌ، وكلُّ واحد منها إمّا مذكّرٌ وإمّا مؤنّثٌ، فللمُفرد المذكّر (ذا)، وللمفرد المؤنث عشرةٌ، وهي: ذي، وتي، وذه، وته، وذه، وته، وذه، وته وذات، وتا، وللمثنى ذان، وتان رفعًا، وذَين وتَين جرًّا ونصبًا ... ولجمْعِهما: (أولاء) ممدودًا، وإذا كان المشارُ إليه بعيدًا لحقتْه كافٌ حرفيّةٌ تتصرّفُ تصرّفَ الكاف الاسميةِ غالبًا، ومن غير الغالب: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ (24)، ولك أن تزيدَ قبْلها لامًا، ويُشارُ إلى المكان القريبِ بهنا أو هاهنا، نحو: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾(25)، وللبعيد بهناك أو ههناك أو هنالك أو هنا أو هنت أو ثَمّ، نحو: ﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤﴾(26)»(27).

ويقومُ اسمُ الإشارة مَقامَ الضّميرِ في القيام بعمليةِ الرَّبط بين أجزاءِ الكلام، ولذلك نجدُ النّحاةَ القُدماءَ قدِ اعترفُوا بما يؤدّيه اسمُ الإشارة من ربطِ جُملة الخبرِ بالمبتدأ في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾(28)، فـ (ذلك) في قوة (هو خير) (29)، ولذلك عدَّ الدكتورُ تمَّامُ حسّان الضَّميرَ قسمًا من أقسام الكلامِ العربيّ وأدرجَ تحته أسماءَ الإشارة والموصول، وأطلق عليها: ضمائرُ الإشارةِ وضمائرُ الموصول(30).

وهو ــ مثلُ الضّمير – يحتاجُ إلى مرجع يُفسّرُه ، والأصلُ

15 –الأنعام :145 .
16 –البقاعي: نظم الدرر 2 / 732 .
17 –السابق: 2 / 732 .
18 –السابق :2 / 732 .
19 –البقرة :222 .
20 – البقاعي: نظم الدرر 1 / 421 .
21 –آل عمران :7 .
22 –البقاعي: نظم الدرر 2 / 25 .
23 –ابن مالك: محمد بن عبد الله الطائي الجياني (ت672هــ)، شرح الكافية الشافية، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 2000م، 1 / 315.
24 – المجادلة: 12 .
25 – المائدة: 24 .
26 –الشعراء: 64 .
27 – ابن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري (المتوفى: 761هــ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1 / 139 – 142 .
28 –الأعراف: 26 .

في هذا المرجع أن يكون متقدّمًا، فتتحقّقُ عمليةُ الرّبط من خلال إحالةِ اسمِ الإشارة إلى هذا المتقدّم، وحينئذٍ يُغني عن إعادةِ هذا المتقدِّم ممّا يُؤدّي إلى الإيجازِ والاختصارِ بجانب عمليةِ الرّبط(31) ، كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١١﴾ (32)، فاسمُ الإشارة أحالَ إلى كلِّ ما خلق الله في هذا الكونِ والذي جاء في قولِه تعالى في الآية السابقة: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١٠﴾ (33)، ممّا أغنى عن تكرارِ ذكرِ هذه المخلوقات، أي أنَّ اسمَ الإشارة حقّقَ الرّبطَ والاختصار.

وقد يكونُ مفسِّرُ اسمِ الإشارة متأخّرًا كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ﴾.(34).

وقد يكونُ مفسّرُه مُتصيَّدًا منَ الكلام كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ٤٣﴾ (35) ، فـ (ذلك) إشارةٌ إلى الصّبر والغُفران المفهومَيْن من قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾(36).

ومنَ الآيات التي عُني فِيها البِقاعيُّ ببيان دورِ اسم الإشارة في الرّبط قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ (37)، ففي هذه الآية الكريمةِ اهتمّ البِقاعيُّ ببيان ما يدلُّ عليه اسمُ الإشارة، فقال:

«ولمّا كان اسمُ الإشارة لا دلالةَ له على حقيقة الذّاتِ افتقَر إلى بيان ذاتِ المُشار إليه فقال: (الشّجرة) »(38)، فاسمُ الإشارة فُسِّر هنا بـ(الشّجرة)، ولذلك تُعربُ لفظةُ (الشّجرة): بدلًا أو عطفَ بيانٍ من اسم الإشارةِ، فهنا علاقةٌ تبعيّةٌ بين لفظَيْ: (هذه) و(الشجرة) حيث بيّنتِ الثانيةُ الإشارةَ في اللّفظة الأُولى، وأيضًا حقّقَ اسمُ الإشارة الرّبطَ بالإشارة إلى المذكورِ (الشّجرة)، ومرجعُ الإشارة هنا متأخِّرٌ.

ويُعدُّ الضّميرُ أحدَ أهمِّ الأدواتِ التي يقومُ عليها ترابُطُ النّصّ وتماسُكه نحويًا

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ﴾ (39)، فقد عُني البِقاعيُّ في هذه الآية ببيانِ ما أحالَ إليه اسمُ الإشارة (تلك)، وهي إحالةٌ إلى شيءٍ سابقٍ، فقال: «(وتلك) أي: وهذه الحُجّةُ العظيمةُ الشّأنِ التي تلونَاها عليكم ، وهي ما حاجَّ إبراهيمُ عليه السلام به قومَه »(40)، فهي إشارةٌ إلى جميع ما احتجَّ به إبراهيمُ عليه السلام على قومِه من قولِه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ إلى ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ٨٢﴾ (41)»(42).

ومن هذه الوسائلِ اللّفظيّةِ للرّبطِ أيضًا اسمُ الموصول، وهو ذو أهميّةٍ كبيرةٍ في ربطِ أجزاءِ التّركيبِ وجعْلِه متماسِكًا، ولذلك أدرجَه علماءُ اللّغة المُحدَثون ضِمْنَ وسائلِ التّماسُك النّصّيِّ، وقد بيّن الدّكتورُ مصطفى عبدُ العليم الكيفيّةَ التي يتحقّقُ بها الرّبطُ وتماسكُ النّصّ من

---

29 - د/ تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، ط. أ 1427 هـ - 2006م، 1/ 198، 199 .
30 - د/ تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناها، ص:87، 88 .
31 -انظر: د/ محمود عكاشة، الربط في اللفظ والمعنى: تأصيل وتطبيق في ضوء علم اللغة النّصي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي – الطبعة الأولى 2010م، ص241.
32 - لقمان: 11 .
33 -لقمان: 10 .
34 - البقرة: 2 .
35 - الشورى: 43 .
36 -ابن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري (المتوفى: 761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه وفصله وضبط غرائبه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ص774 .
37 – البقرة: 35 .
38 –البقاعي: نظم الدرر :1 / 104 .
39 – الأنعام :83 .
40 –البقاعي: نظم الدرر: 2 / 664 .
41 –الآيات: من 76 إلى 82 .
42 – النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود تفسير النسفي: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، د. ت: 2/21.

خلالِ اسمِ الموصول إذ يقول: « يُعدّ الاسمُ الموصولُ وسيلةً من وسائلِ التّماسُكِ النّصيّ؛ لأنّه يستلزمُ وجودَ جملة بعدَه، وعادةً ما تكونُ هذه الجملةُ فعليةً، وقد يُعطفُ على هذه الجملة بعدّة جُملٍ فيطولُ الكلامُ، ويكونُ نصًّا كاملًا، ويظلُّ مُرتبطًا كلُّه بالاسم الموصولِ الأول. ومن جهةٍ أُخرى يُعدُّ الموصولُ أداةً من أدواتِ الإحالةِ فيرتبطُ بمذكورٍ سابقٍ، وقد يتكرّرُ بصورة واحدةٍ، ويظلُّ مرتبطًا بهذا المذكورِ السّابق مُحدِثًا نسقًا واحدًا للنّصِّ كلِّه »(43).

فالرّبطُ باسم الموصول يتحقّقُ من خلالِ عطفِ جُملٍ متعدّدةٍ على جملةِ الصّلةِ التي يستلزمُ وجودُها اسمَ الموصول، ويكونُ اسمُ الموصول في هذه الحالة هو نواةَ النّصّ(44) الذي ترتبطُ به جملةُ الصّلةِ وما عُطِف عليها، وقد مثّلَ الدكتورُ مصطفى عبد العليم لذلك بالآيات الأولى في سورة (المؤمنون) التي تكرّر فيها اسمُ الموصول سبعَ مرّاتٍ، ومثلُها الآياتُ من 22 ـ 35 من سورة المعارج فقد تكرّرت فيها كلمةُ (الذين) ثمانيَ مرّاتٍ، وكلُّها يرجعُ إلى الاسمِ الأولِ (المصلين) الذي هو محورُ النّصّ.

وكذلك الآياتُ الأخيرةُ من سورة الفرقان فقد تكرّرت كلمة (الذين) في هذه الآيات ثمانيَ مرّات أيضًا. وفي الوقت ذاتِه فإنّ اسمَ الموصول أحالَ القارئَ أو المستمعَ إلى مذكورٍ سابقٍ، ففي آيات سورةِ الفرقان نجدُ أنّ أسماءَ الموصول التي تكرّرت كلُّها يُحيلُ إلى مذكورٍ سابقٍ هو (عبادُ الرحمن).

ومثلُ ذلك قولُه تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾(45)، فاسمُ الموصول الذي تكرّر مرّتين هنا يُحيلُ إلى كلمة (المتّقين).

والدّليلُ على كون اسمِ الموصول رابطًا هو أنّه يَحلُّ محلَّ الضّمير في الرّبط، وقد تناولَ البلاغيّون ذلك تحت عنوان: (الإظهارُ في مكان الإضمار)، فالملحظُ الذي لحظَه البلاغيّون الذين استعملوا هذا المصطلحَ كان مُرتبطا بفكرة المُعاقبة؛ إذ يحلُّ شيءٌ في مكان شيءٍ آخرَ، كحلولِ (هل) محلَّ الهمزةِ مثلًا، وهنا لفتَ الدكتور/ تمامُ حسان النّظرَ إلى ما في الموصول من طاقةِ الرَّبط بين أوصالِ الجُملةِ أو السّياقِ القائمِ على أكثرَ من جُملة، والمقصودُ هنا جميعُ الموصولاتِ، ومنها: (مَنْ، وما، وأي، وأل)، والدّليلُ على أنّ الموصولَ رابطٌ أنّه ـ كما قال البلاغيون ـ حلَّ محلَّ الضّمير، فلو عدلتَ عنِ الموصول، واستعملتَ الضّميرَ المطابقَ له لحدثَ الرّبطُ المطلوبُ، ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ﴾ (46)، أي: به وبغيره، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (47)، أي: (لا نضيعُ أجرَهم)(48).

ومنَ الآيات التي جاء فيها الرّبطُ بالموصول أيضًا قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (49)، فقد حلَّ اسمُ الموصول في قوله: ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ محلَّ الضّمير،

إنّ للرّوابط اللّفظيّةِ مثلِ الضّميرِ واسمِ الإشارة واسم الموصول دورًا كبيرًا في تماسُكِ النّصّ

43 - الدكتور مصطفى عبد العليم العلاقات النصية في القرآن الكريم- دراسة نحوية لجهود المفسرين، بحث منشور بمجلة الشريعة والقانون - جامعة الإمارات المتحدة - كلية القانون - العدد 205، 2007م ص:17 .

44 -نواة النص: هي كلمةٌ واحدةٌ أو جملة واحدة منها يتطور النّصُّ وتتعلق بها جُملٌ كثيرةٌ تالية من خلال الرّوابط. انظر: علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، د/ صبحي إبراهيم الفقي: 1/ 168 .

45 -البقرة : 2 - 4 .

46 - العنكبوت: 32 .

47 -الكهف: 30 .

48 - د/ تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب :1/ 200، 201، وانظر: د/ أحمد محمد عبد الراضي، المعايير النصية في القرآن الكريم، نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة 2010م، ص102.

49 -الأنعام: 7 .

وقام مقامَه في عملية الرَّبط، يقول البِقاعيّ: «وأظهرَ ولم يُضمر تعليقًا للحُكم بالوصف، وتنبيهًا على أنّ منَ الموجودين من يسكتُ ويؤمنُ ولو بعد ذلك فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي حكمًا بتأبُّدِ كفرِهم سترًا للآيات عنادًا ومكابرةً»(50).

ومن إحلالِ اسمِ الموصول محلَّ الضّمير أيضًا ومن ثمَّ قيامُه بعمليَّةِ الرّبط ما نجدُه في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٣٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ (51)، ففي هذه الآية حلّ الموصولُ وصِلتُه محلَّ الضّمير في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ، إذِ الأصلُ: وقالوا، وقد ذكر البِقاعيُّ دلالةَ هذا العدول فقال: « ولمّا دلّ سبحانه بملازمتِهم للاستهزاء بهذا الإنذارِ على أنّهم غيرُ منفَكّين عن مذاهبِ الكفّار، ذكر تصريحَهم بذلك وحالَهم في بعضِ الأوقاتِ المنطبقةِ عليها الآيةُ السّالفةُ في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ حيث عبّر بالموصول وصِلتِه في موضع الضّمير، قطعاً للأطماعِ عن دعائِهم »(52).

وهكذا فإنّ للرّوابط اللّفظيّةِ مثلِ الضّميرِ واسمِ الإشارة واسمِ الموصول دورًا كبيرًا في تماسُكِ النّصّ، ولا بُدّ من مراعاةِ هذه الرَّوابط من حيث معرفةُ دَلالاتها وما أحالتْ إليه في تحليل النّصوصِ من أجل الوصولِ إلى المعنى.



50 –البقاعي: نظم الدرر :2 / 591 .
51 –سبأ :29 – 31 .
52 –البقاعي: نظم الدرر 6 / 182 .

عَيْنٌ فِي الْقَلْبِ

شعر/د. أحمد محمد عبد الراضي
أستاذ متفرّغ بقسم النّحو والصّرف والعروض/جامعة الفيّوم.

لَقَدْ شَاءَتِ الْأَقْدَارُ أَنْ تُذْهِبَ الْبَصَرْ   وَتَجْعَلَنِي تَحْتَ السَّمَا لَا أَرَى الْقَمَرْ
وَلَا يَلْمَحُ الْأَشْيَاءَ إِنْسَانُ مُقْلَتِي   وَلَا أَرْتَدِي غَيْرَ الَّذِي أَلْبَسَ الْقَدَرْ
غَدَتْ أَعْيُنِي يَخْلُو مِنَ الْبَدْرِ لَيْلُهَا   وَصَارَتْ غُصُونِي فِي خُلُوٍّ مِنَ الثَّمَرْ
وَأَصْبَحْتُ لَا أَسْطِيعُ رُؤْيَةَ كِلْمَةٍ   تُخَطُّ بِقِرْطَاسٍ وَلَا رُؤْيَةَ الْبَشَرْ
غَدَوْتُ أَسِيرًا فِي الظَّلَامِ مُقَيَّدًا   غَدَوْتُ سَجِينًا فِي الْحَيَاةِ بِلَا وَطَرْ
غَدَوْتُ بَعِيدًا فِي الْحَيَاةِ عَنِ السَّنَا   بَعِيدًا عَنِ الدُّنْيَا وَعَنْ كُلِّ مُفْتَخَرْ
أَلَسْتُ أُبَالِي إِنْ وُلِدْتُ كَمَا أَنَا   أَلَيْسَتْ حَيَاتِي فِي عَنَاءٍ وَفِي كَدَرْ
بَلَىٰ؛ فَفُؤَادِي يَشْتَكِي لَوْعَةَ الْأَسَىٰ   وَدَمْعِي عَلَى الْخَدَّيْنِ يَقْطُرُ كَالْمَطَرْ
وَلَكِنَّنِي مَا زِلْتُ بِاللّٰهِ صَابِرًا   وَمَا زِلْتُ أَوَّابًا إِلَيْهِ كَمَا أَمَرْ
شَكَرْتُكَ يَا رَبَّاهُ فِي كُلِّ حَالَةٍ   وَمَاذَا عَلَى الْإِنْسَانِ لَوْ أَنَّهُ شَكَرْ
فَخَيْرُ عِبَادِ اللّٰهِ مَنْ كَانَ شَاكِرًا   وَمَنْ إِنْ أَتَاهُ الدَّهْرُ بِالضُّرِّ قَدْ صَبَرْ
حُرِمْتُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ لَا مِنْ بَصِيرَةٍ   وَلَا مِنْ ذَكَاءٍ نَيِّرِ الْفِكْرِ وَالْعِبَرْ
إِذَا حَكَمَ اللّٰهُ الْحَكِيمُ عَلَى الْفَتَى   فَلَيْسَ لِحُكْمِ اللّٰهِ فِي الْمُلْكِ مِنْ حَذَرْ
فَحُكْمُكَ رَبَّ الْكَوْنِ فِي الْخَلْقِ نَافِذٌ   وَأَمْرُكَ فِينَا لَا يُرَدُّ وَيُزْدَجَرْ
رَضِيتُ بِأَمْرِ اللّٰهِ مَا دُمْتُ مُؤْمِنًا   فَقَدْ خَضَعَ الْإِيمَانُ لِلّٰهِ وَاصْطَبَرْ
وَمَنْ يَأْبَ أَنْ يَرْضَىٰ بِحِكْمَةِ رَبِّهِ   فَقَدْ عَاشَ فِي أَيَّامِهِ وَهْوَ مُحْتَقَرْ
أَيَا عَيْنُ، إِنَّ اللّٰهَ يَحْكُمُ قَادِرًا   عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فَهْوَ ذُو الْأَمْرِ إِنْ أَمَرْ
عَلِيمٌ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَتَحْتَوِي   خَبِيرٌ بِمَا أَخْفَى اللِّسَانُ وَمَا جَهَرْ



لَهُ حِكْمَةٌ لَا يَعْلَمُ النَّاسُ كُنْهَهَا   تَعَالَيْتَ رَبِّي عَنْ فُؤَادٍ بِهَا كَفَرْ
فَلَوْ كُنْتُ أَعْمَى الْقَلْبِ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ   تُجَاهَ حَيَاتِي هَلْ يُسَاعِدُنِي النَّظَرْ؟!
وَلَكِنْ بِنُورِ الْقَلْبِ مَا ضَلَّ عَابِرٌ   طَرِيقَ الْهُدَى وَالْحَقِّ؛ إِنْ فِيهِمَا عَبَرْ
وَمَا حَادَ عَنْ عِلْمٍ تَوَجَّهَ رَاغِبًا   إِلَيْهِ لِأَنَّ النُّورَ فِي قَلْبِهِ انْتَشَرْ
يَقُولُونَ: أَعْمَى! لَا يَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ!   وَلَا يُدْرِكُ الْأَزْهَارَ وَهْيَ عَلَى الشَّجَرْ!
وَلَا يُدْرِكُ الْحَسْنَاءَ حَتَّى يُحِبَّهَا!   وَلَا يَرْتَوِي طَعْمَ الْجَمَالِ وَمَا ازْدَهَرْ!
كَذَبْتُمْ؛ فَأَنْتُمْ لَا تَرَوْنَ كَمَا أَرَى   وَلَا تُدْرِكُونَ الشَّيْءَ إِلَّا إِذَا ظَهَرْ
وَلَكِنْ أَنَا الْغَوَّاصُ فِي كُلِّ مَائِجٍ   لِأَحْيَا بِإِشْرَاقِ اللَّآلِئِ وَالدُّرَرْ
أَنَا الشَّاعِرُ الْجَوَّالُ فِي أُفْقِ الْمُنَى   أُفَتِّشُ عَنْ مَجْدِي وَعَنْ سُبُلِ الظَّفَرْ
أُحِسُّ جَمَالَ الشَّيْءِ حَيْثُ لَمَسْتُهُ   وَأُدْرِكُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يُدْرِكُ الْبَصَرْ
نَسِيمُ الصَّبَا يُهْدِي إِلَيَّ عَبِيرَهُ   بِلَيْلٍ طَوِيلٍ فِيهِ يَحْلُو لِيَ السَّهَرْ
فَمَنْ خَالَ أَنَّ الْحُبَّ خَاصَمَ مُهْجَتِي   فَذَاكَ الَّذِي أَعْمَى وَبِالْحُبِّ قَدْ كَفَرْ
وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الشَّوْقَ لَيْسَ سَجِيَّتِي   فَتَقْدِيرُهُ زَيْفٌ وَتَفْكِيرُهُ هَدَرْ
نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ بَصِيرَتِي   فَبَانَتْ أَمَامَ الْقَلْبِ مُشْبِهَةَ الْقَمَرْ
أَتَتْنِي وَفِي طَيَّاتِهَا الْعِلْمُ كَامِنٌ   فَإِنِّي رَأَيْتُ الْجَهْلَ سُرْعَانَ مَا انْدَثَرْ
فَصِرْتُ طَلِيقًا لَا سُجُونَ تَضُمُّنِي   وَلَا قَيْدَ يَلْتَفُّ الْحَيَاةَ وَلَا كَدَرْ
سَأَطْرُقُ بَابَ الْعِلْمِ مَا دُمْتُ عَائِشًا   فَمَنْ عَاشَ بَيْنَ الْعِلْمِ قَدْ فَازَ وَانْتَصَرْ
وَأَسْلُكُ بِالْأَخْلَاقِ دَرْبَ مَعِيشَتِي   فَمَنْ عَاشَ بِالْأَخْلَاقِ مَا جَاءَهُ الضَّرَرْ
وَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يُحَقِّقَ مُنْيَتِي   وَيَغْفِرَ ذَنْبِي فَهْوَ أَعْظَمُ مَنْ غَفَرْ

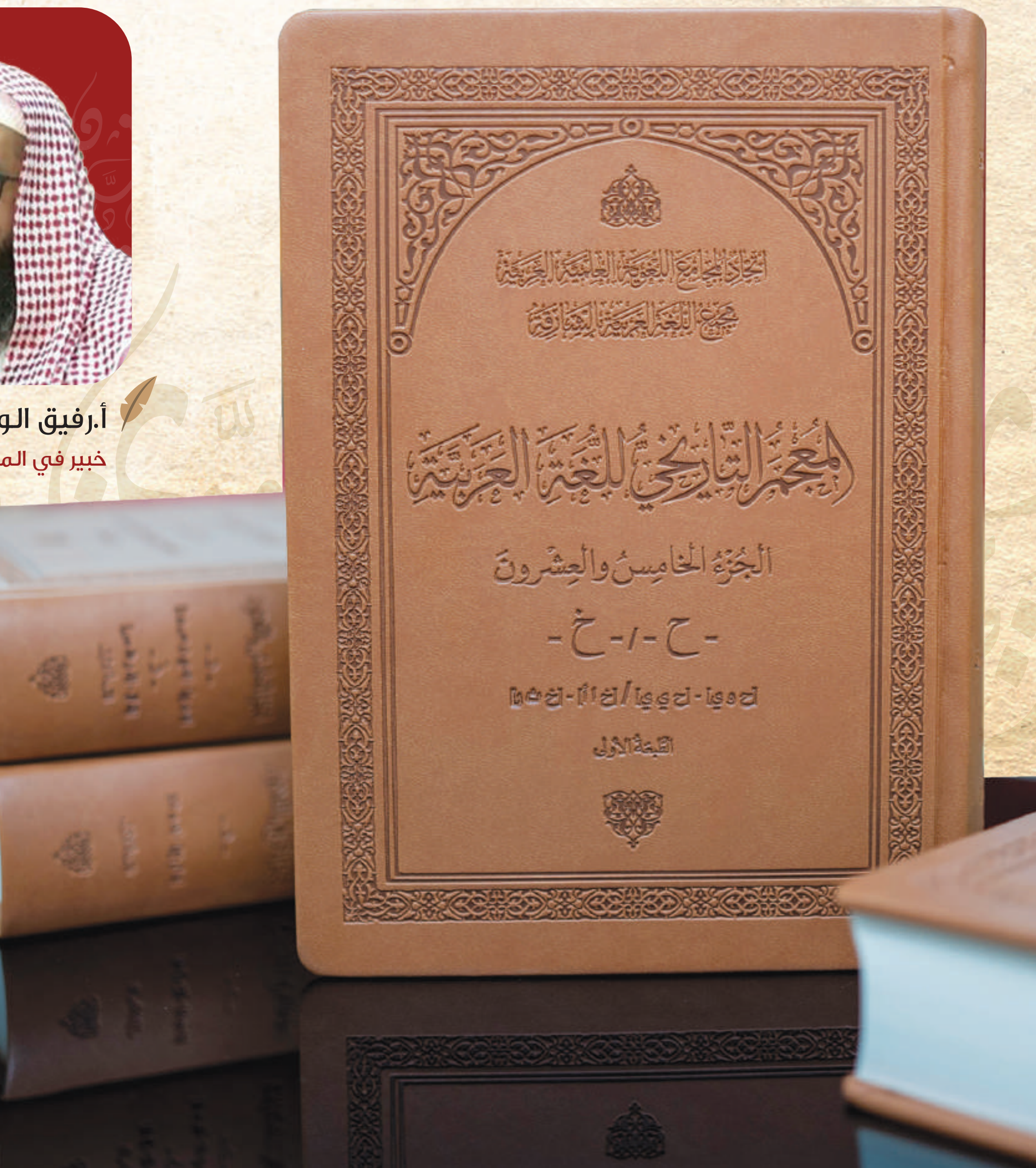
مِنْ وَحْيِ المُعْجَمِ التَّارِيخِيِّ

التَّأْرِيخُ للمُتَمَحِّضِ مِنَ الصِّفاتِ وَالمَصادِرِ



أ.رفيق الونشريسي

خبير في المعجم التاريخي/الشارقة





يتميَّزُ المُعْجَمُ التّاريخيُّ للُّغَةِ العَرَبِيَّةِ عن غَيْرِهِ منَ المعاجِمِ بالتَّأْريخِ لكَلامِ العَرَبِ، والبَحْثِ عَنْ أَوَّلِ اسْتِعْمالٍ للكَلِمَةِ سَواءً كانَتْ فِعْلًا، أوِ اسمًا مُتَمَحِّضًا، لذَا يَحْتاجُ هذا العَمَلُ إلى دِقّةٍ بالغِةٍ إذْ هُناكَ أَلْفاظٌ يَدورُ مَعْناها بَيْنَ الوَصْفِيَّةِ والاسْمِيَّةِ، ولا يُمْكِنُ تَبَيُّنُها إلّا بتَتَبُّعِ السّياقِ، واسْتِقْراءِ مَعاجِمِ اللُّغَةِ قَبْلَ ذلك فيما ذَكروه تَفْسيرًا لتِلْكَ الأَلْفاظِ



فلذلك لا نُـــؤَرِّخُ في مُعْجَمِنا لمشتَقّات الفِعْلِ ومَصْدَرِهِ، فإنّهُ حَيْثُ وُجِدَ اسْمُ الفاعِلِ، واسْمُ المفْعولِ، وأَفْعَلُ التَّعَجُّبِ ونَحْوُها أَنْبَأَ عَنْ وُجودِ الفِعْلِ، والعَكْسُ صَحيحٌ، فلا يُعقَلُ أَنَّ العَرَبَ ـ في زَمَنٍ ما ـ قالَتْ: كَتَبَ عَمْرٌو الرِّسالَةَ، ولم تَقُلْ: هُوَ كاتِبُ الرِّسالَةِ، أو هَذِهِ رِسالَةٌ مَكْتوبَةٌ، أو كَتَبَها كِتابَةً صَحيحَةً، ونَحْوَ ذَلِكَ، ولَكِنْ بَعْضُ المشتَقّاتِ والمصادِرِ قَدْ تَتَمَحَّضُ للاسْمِيَّةِ، وتَغْلُبُ عَلَيْها، فتَصيرُ دالَّةً على وَصْفٍ أو حَدَثٍ غَيْرِ مُقْتَرِنٍ بزَمَنٍ، فمِثْلُ هذا يُؤَرَّخُ له في مُعْجَمِنا، ونَبْحَثُ له عن شَواهِدَ تُوافِقُ ما دَلَّ عليه من مَعْنًى لازِمٍ غَلَبَ حتّى صار اسْمًا كالعَلَمِ على مَوْصوفِهِ، يقول ابنُ قُتيبة الدِّينَوَرِيُّ في كتابِهِ (إصلاحُ غَلَطِ أبي عُبَيْدٍ) يُفَسِّرُ كَلِمَةَ الرَّمّازَة:

«فالرّمّازَةُ: صِفَةٌ من صِفاتِ الفاجِرَةِ، ثُمّ صار اسْمًا لها، أو كالاسْمِ، وكذلك قيل لها: هَلوكٌ، لأَنَّها تَهالَكُ على الفِراشِ وعلى الرَّجُلِ، ثُمّ صار اسْمًا لها دون غَيْرِها مِنَ النّساءِ، وإنْ تَهالكَتْ على زَوْجِها،

وقيلَ لها: خَريعٌ للِينِها وتَثَنِّيها، ثُمَّ صار ذلك اسْمًا لَها دون غَيْرِها مِنَ النّساءِ، وإنْ لانَتْ وتَثَنَّتْ، ونَحْوُهُ قَوْلُهُم للبَعيرِ: أَعْلَمُ للشَّقِّ في مِشْفَرِهِ الأَعْلى، ثُمَّ صار كالاسْمِ لَهُ، وكذلك قَوْلُهُم للذِّئْبِ: أَزَلُّ للرَّسَحِ ثُمَّ صار كالاسْمِ لَهُ، وقَدْ ذَكَرْنا هذا ونَحْوَهُ في مَوْضِعٍ آخَرَ».

وقال في مَوْضِعٍ آخر: «والذِّئْبُ يُوصَفُ بالرَّسَحِ، ولذَلِك قيل لَهُ: أَزَلُّ أي: أَرْسَحُ، وهِيَ الرَّسْحاءُ،

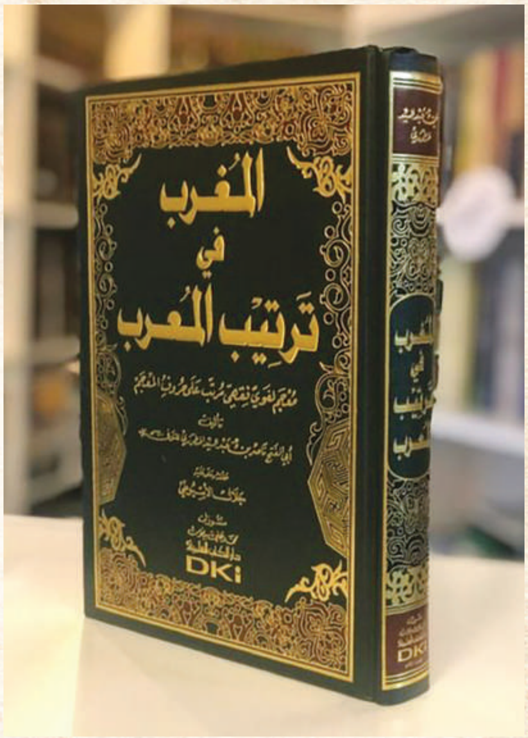
وقَدْ غَلَبَ هَذا الوَصْفُ على الذِّئْبِ حَتَّى صار كالاسم لَهُ. قالَ الشَّاعِرِ يَصِفُ فرسًا:

أَزَلُّ إِنْ قِيدَ وإِنْ قامَ نَصَبْ

أَي: هُوَ ذِئْبٌ إِنْ قيدَ، ولم يُرِدْ أَنَّ الرَّجُلَ أَرْسَحُ لأَنَّ الرَّسَحَ عَيْبٌ فيهِ».

قلتُ: وهذا تَفْريقٌ دَقيقٌ مُفيدٌ في تَحْريرنا الـمُعْجَمِيِّ، وبهذا تُعرَفُ كَيْفِيَّةُ التَّفريقِ بين الصّفةِ الّتي تَمَحَّضَتْ وغَيْرِها، وضابِطُها أَنْ تَصيرَ مُلازِمَةً لمَوْصوفِها حَتَّى يُتَناسى الـمَوْصوفُ، وانْظُر قَوْلَهُ في التَّفْريقِ: "دونَ غَيْرِها منَ النّساءِ، وإنْ تهالَكَتْ على زَوْجِها، وإنْ لانَتْ وتَثَنَّتْ، وهكذا". أي يَكونُ وَصْفُ (هَلوكٍ) اسْمًا لامْرَأَةٍ دون أُخْرى بحَسَبِ السِّياقِ، فقَدْ تُسَمّى امْرَأَةٌ هَلوكًا والحالُ أنّها لا تَتَهالَكُ، وتوصَفُ أُخْرى بهَلوكٍ ولا تُسَمّى بِهِ، وهِيَ تَتَهالَكُ على زَوْجِها في زَمَنِ الحالِ، فلْيُتَأَمَّلْ فإنَّهُ غايَةٌ في الدِّقَّةِ.

فنَحْنُ نُؤَرِّخُ للهَلوكِ على أنّهُ مُتَمَحِّضٌ للاسْمِيَّةِ، ولكن نَبْحَثُ عَنِ السّياقِ الّذي يَدُلُّ على ذلك، ونُؤَرِّخُ للفِعْلِ الـمُناسِبِ لَهُ، أوِ الـمُشتَقِّ بنَفْسِ الـمَعْنى، ولكنْ نَخْتارُ لَهُ الشّواهِدَ الّتي تَدُلُّ على أنَّ الصِّفَةَ لَيْسَتْ لازِمَةً، أي أنْ تكونَ الصِّفَةُ مُقْتَرِنَةً بزَمَنٍ كالفِعْلِ تمامًا.



كذلك ممّا يَلْحَقُ بهذا الباب - أعْني الـمُشْتَقّاتِ الّتي يُؤَرَّخُ لها لشَبَهِها بالاسْمِ - ما يُعَبَّرُ عَنْها بَعْدَ ذِكْرِها بقَوْلِهِمْ: «على النَّسَبِ»، إذا لم يَقَعْ فيها خِلافٌ كقَوْلِهِمْ: «وأَرْضٌ فَرِقَةٌ، كفَرِحَةٍ: في نَبْتِها فَرَقٌ بالتَّحْريكِ على النَّسَبِ، لأَنَّهُ لا فِعْلَ لَهُ إذا كانَ النَّبْتُ متَفَرِّقًا».

وكقَوْلهم أَيْضًا: «لبَنٌ مَذِقٌ، ككتِفٍ على النَّسَبِ: مخْلوطٌ بالماءِ»، فإنّهم قالوا: مَذَقَ فُلانٌ اللّبَنَ أي خلَطَهُ بالماءِ، فهو مَذيقٌ، ولم يَشْتَقُّوا للوَصْفِ (مَذِقٍ) فِعْلًا على وَزْنِ (فَعِلَ) فلَمْ يقولوا: مَذِقَ اللّبَنُ، فهو مَذِقٌ، ومِثْلُ هذا الوَصْفِ يُؤَرَّخُ لَهُ كما هُوَ، فيُقالُ مَثَلًا: **الـمَذِقُ مِنَ اللّبَنِ: الممْزوجُ بالماءِ.**

لأنّ المقْصودَ بقَوْلِهم: مَذِقٌ أي مَنْسوبٌ إلى الـمَذَقِ، فلْيُتَأَمَّلْ، فإنَّهُ بابٌ عَظيمٌ في التَّفْريقِ بَيْنَ ما يُشْتَقُّ له فِعْلٌ، وما لا.

وما قيلَ في الأَوْصافِ يقالُ أَيْضًا في المَصادِرِ، فكذلك يُؤَرّخُ للمَصْدَرِ المُتَمَحِّضِ للاسْمِيَّةِ دون غَيْرِهِ لأَنَّهُ صارَ حينَئِذٍ دالًّا على حَدَثٍ غَيْرِ مُقْتَرِنٍ بزَمَنٍ، وهو ما يُعَبَّرُ عنه بقَوْلِهِمْ: «تَسْمِيَةٌ بالمَصْدَرِ» أي: سُمِّيَ بالمَصْدَرِ، قال الـمُطَرِّزِيُّ في كتابه (الـمُغْرِب في تَرْتيبِ الـمُعْرِب): "ويُقالُ لما يُحْمَلُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّوابِّ في الهِبَةِ خَاصَّةً حُمْلانٌ ويَكونُ مَصْدَرًا بِمَعْنى الحَمْلِ واسْمًا لأُجْرَةِ ما يُحْمَلُ، (وقَوْلُهُ) لَيْسَ لِلإِمامِ أَنْ يُعْطِيَها

نَفَقَةً ولا حُمْلانًا يَحْتَمِلُ الوَجْهَيْنِ الدَّابَّةَ المَحْمولَ عَلَيْها وأُجْرَةَ الحَمْلِ، وكَذا قَوْلُهُ ما أُنْفِقَ عَلَيْها وفي كِسْوَةِ الرَّقيقِ وحُمْلانِهِمْ، (وأَمَّا قَوْلُهُ) في بابِ الاسْتِئْجارِ ولا أَجْرَ لَهُ في حُمْلانِهِمْ فالمُرادُ بِهِ المَصْدَرُ، وكَذا قَوْلُهُ اسْتَأْجَرَ إبِلًا بِأَعْيانِها فَكَفَلَ لَهُ رَجُلٌ بِالحُمْلانِ يَعْني بِالحَمْلِ، (وحُمْلانُ) الدَّراهِمِ في اصْطِلاحِهِمْ ما يُحْمَلُ عَلَيْها مِنَ الغِشِّ تَسْمِيَةٌ بِالمَصْدَرِ».

قلتُ: فهُنا جَعَلَ حُمْلانًا مَصْدَرًا في سِياقاتٍ، ومُصْطَلَحًا في سِياقٍ آخَرَ: إذا سُمِّيَ بِهِ، فلا يُؤَرَّخُ لحُمْلانٍ بمعْنى الحَمْلِ لأَنَّهُ مَصْدَرٌ، ولكن يُسْتَشْهَدُ به على الفِعْلِ (حَمَلَ)، ويُؤَرَّخُ لحُمْلانٍ بمعنى أُجْرَةِ ما يُحْمَلُ؛ لأنّهُ تَمَحَّضَ حينَئِذٍ للاسْمِيَّةِ، فتَأَمَّلْ ذلك، فإنَّهُ دَقيقٌ.

وأمّا ما وَقَعَ فيه الخِلافُ فلا بَأْسَ بالاشْتِقاقِ لَهُ بضوابِطَ دَقيقَةٍ يَعْرِفُها أَهْلُ التَّصْريفِ على أَنْ يُجْتَنَبَ الإِتْيانُ بنَفْسِ الشّاهِدِ للفِعْلِ المُشْتَقِّ، ولِلوَصْفِ المُشْتَقِّ مِنْهُ، أَوِ المَصْدَرِ إذا عُدَّا مُتَمَحِّضَيْنِ للاسْمِيَّةِ.



ابْنَةُ العَرَبِ



شعر/ مشاري فهد الدخيل
موجِّه فنّي بإدارة الدّراسات الإسلاميّة- وزارة الأوقاف/الكويت

أَرَاكِ وَحْدَكِ فِي الصَّحْرَاءِ بَاسِقَةً ... أَذَاكَ مِنْ حَسَبٍ أَمْ ذَاكَ مِنْ نَسَبِ
يُلَاعِبُ الرِّيحُ شَعْرًا فِيكِ مُنْتَشِرًا ... وَزَيَّنَتْكِ عَرَاجِينٌ مِنَ الذَّهَبِ
أَعْيَى البَتُولَ مَخَاضٌ ثُمَّ أَلْجَأَهَا ... إِلَيْكِ خَائِفَةً تَشْكُو مِنَ التَّعَبِ
فَلَانَ جِذْعُكِ حَتَّى اهْتَزَّ مِنْ يَدِهَا ... وَطَابَ مِنْكِ الَّذِي أَعْطَيْتِ مِنْ رُطَبِ
فَكَانَ عِيسَى نَبِيُّ اللهِ مُعْجِزَةً ... وَكُنْتِ مُؤْنِسَةَ العَذْرَاءِ فِي الكُرَبِ
تُدْنِينَ لِلْخَلْقِ قِنْوَانًا جَعَلْتِ بِهَا ... طَلْعًا نَضِيدًا هَضِيمًا عَزَّ فِي الرُّتَبِ





رَمَى بِكِ اللهِ جُوعًا لِلْفَقِيرِ وَمَنْ   رَمَى بِغَيْرِكِ دُونَ اللهِ لَمْ يُصِبِ
عَجِبْتُ للشَّمْسِ تُلْقِي حَرَّهَا لَهَبًا   وَأَنْتِ صَابِرَةٌ فِينَا عَلَى اللَّهَبِ
كَرِيمَةٌ لَا تَرُدُّ السَّائِلِينَ إِذَا   جَاؤُوا لَهَا انْقَلَبُوا فِي خَيْرِ مُنْقَلَبِ
كَأَنَّ للسَّعَفِ الأَقْلَامَ كَاتِبَةٌ   بِالظِّلِّ تَارِيخَنَا وَالرَّمْلُ كَالكُتُبِ
إِنْ تُسْقِطِ الوَرَقَ الأَشْجَارُ عَاتِبَةً   رَأَيْتِ فِي الوُدِّ مَا يُغْنِي عَنِ العَتَبِ
عَلَوْتِ قَدْرًا وَذِكْرًا فِي جَزِيرَتِنَا   وَدُمْتِ فَخْرًا وَذُخْرًا يا بْنَةَ العَرَبِ



فعلُ الأمْرِ «اقرأ» بين الإعجازِ اللُّغويِّ والإعجازِ الصَّوتيِّ



د. بوخاري خيرة
رئيسة تحرير مجلّة اقرأ وارتق التّعليميّة

يَهْدفُ البَحثُ إلى تسليطِ الضَّوء على أهميَّة الإعجَازِ اللُّغويِّ لفعْلِ الأمر (اقرأ)، وعلاقتِه بالصَّوت الفيزيائيِّ وإدراكِ المَعاني الجليّةِ والمَباني الخفيَّةِ التي يحملُهَا في طيَّاته، لِكَوْنِ هذا الفعل ثُلاثيَّ الأبعاد في إعجازِه الصّوتيِّ والبيانيِّ والبلاغيّ، فالأفعالُ في اللُّغة العربيَّة تتميَّزُ بميزة الحركيَّة التي تبعثُها الأزمنةُ عبرَ تغيُّراتِها وتقلُّباتِها، وهذا الفعلُ تميّزَ بأوّليَّته في طلب كلِّ العلوم المُتعلِّقة بالإنسان والكونِ والحيوانِ، حتّى في مجال مُوازَنَتِه بشَكْلِ الأفعال في اللّغات الأخرى فإنّه يختلفُ اختلافًا تامًا في المبنى والمعنى، وما أكثرَ الدّلالات التي يكتنزُهَا، سواءً تعلَّق الأمرُ بمخارج الحُروفِ أوصفاتِها، فقد حاولنا تدبُّرَ معانيه في التّموّجات الصّوتيّة وموازنته بالحركة الزّلزاليَّة التي يُحدثُها، لندركَ أنّه من أعظمِ الأفعالِ في اللُّغة العربيّة، وَذلكَ لِكَوْنِه مُعجزًا في تفكيك حروفِه وفهمِ معانِيه.

لا يزالُ الإعجازُ اللُّغويُّ يُحيّرُ البلغاءَ والفُصحاءَ، فاللّغةُ العربيَّةُ في حدِّ ذاتِها تفرّدتْ وتربّعتْ على عرش اللُّغات، وذلك لكثرة اشتقاقاتِها. فَحِينَ تَجْتَمِعُ حُروفها في فعلٍ أو اسم فإنّها تُعطيك من تقلُّبات حركتِها ما يُعبّرُ عن لغة العِلْم والمشاعرِ، ومن فعْلِها الثلاثيِّ يُولدُ بيتُ المسمّيات كأن نقول: كتبَ (فعل) يتّسمُ بالحركة، ومكتَبٌ (اسم) يتّسمُ بالجمادِ، وكاتبٌ اسمُ فاعلٍ، وإذا قُلبتْ أماكنُ الحروف نفسِها تُعطيك معنى آخرَ يختلفُ عنِ المعنى الأوّلِ، وما زادَ اللُّغةَ العربيَّةَ رَونقًا وبهاءً هُوَ اقْتِرَانُهَا بمعجزةِ القرآن الكريم، فكلُّ فعلٍ إلَّا وتجدُه يتّسمُ بالحركةِ والمعنى والعُدولِ، فحينما تطوّرتِ التّكنولوجيا أصبحنا نسمعُ بتقنيَّاتِ ثلاثيّةِ الأبعاد، إلَّا أنّ اللّغة العربيَّة فيها ما فيها منَ الأفعال الثُّلاثيّة الأبعاد، كونُها سمعيّةً، حركيّةً، بصريةً، ومن بين هذه الأفعال فعلُ الأمر: (اقرأ)، الذي أخذناهُ من آيِ القرآن إلى مَخبر الميدان، فأمَّةُ (اقرأ) لابدَّ لها أن تدرك المعانيَ الجليَّةَ للحروف والأصواتِ والدّلالاتِ التي يتكوّن منها فعلُ الأمر (اقرأ)، لتعودَ

1 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسّسة الرسالة، ج1، ص71.

لفعلِ القراءة وتصبحَ بحقٍّ أمّةَ (اقرأ).

يُعدُّ الفعلُ (اقرأ) أوّلَ فعلِ أمرٍ أُنزل على البشريَّة جمعاءَ، كان أمرًا إلهيًّا بفعل القراءة: اقرأ، من أعلى إلى أدنى، فأوّلُ أمرٍ لم يكن في العباداتِ ولا الجهادِ ولا الصَّوم ولا الحجِّ، وإنّما جاء مُخصَّصًا لفعل القراءةِ، حَتَّى يَقْرَأَ الإِنْسانُ كيف يعبدُ الله، ويقرأُ كيفيَّةَ الجهاد في سبيل الله، ويقرأ كيف يصومُ؛ لا من طلوعِ الفجرِ إلى المغيبِ فقط، بل يُشارك اللّسانُ والجوارحُ في الصِّيام، ويقرأُ أركانَ الحجّ فلا يُسقطُ رُكنًا ولا يُهملُ أداءً؛ لأنَّ القراءةَ هي مفتاحُ العلوم، كأنّ كلَّ تلك الأفعال بغُرفةٍ مظلمةٍ مُقفلَة: جاهدَ، صامَ، حجَّ، تصدّقَ... تنتظرُ النُّورَ أن يشعَّ من خلالِها، ولا يمكنُ أن تُفتحَ غرفُ كلِّ الأفعالِ الدّنيويّةِ والأخرويةِ إلَّا بفعل القراءةِ، لذلك تربّعَ هذا الفعلُ على عرشِ الأفعالِ، وحمَل في طيَّاته آلافَ المعاني التي لَمْ تُفَسَّرْ وَلَمْ تُفْهَمْ إِلَى الآن إلَّا ما تيسّرَ للعلماء بتوفيقٍ منَ الله.

لم يأمرْنا المولَى عزَّ وجلّ بالقراءةِ دون تحديدٍ أو إسنادٍ لمهامَّ معيَّنةٍ، وإنّما بتحديدِ اسمٍ من أسمائه الحسنى، وهو القراءةُ باسم الله، القراءةُ في تأمّل الخَلْق، وأوّلُ الخَلق المعنيِّ بالتّأمل هو الإنسانُ، وقد ذكرَ القُرطبيُّ في الجامع لأحكام القرآن ما رواه مُسلم عن أبيّ بن كعب، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ كانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، فأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ، فقالَ: إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القُرْآنَ علَى حَرْفٍ، فَقالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطِيقُ ذلكَ». ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القُرْآنَ علَى حَرْفَيْنِ، فَقالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطِيقُ ذلكَ». ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القُرْآنَ علَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطِيقُ ذلكَ». ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ



تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القُرْآنَ علَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فأيُّما حَرْفٍ قَرَؤُوا عليه فقَدْ أَصَابُوا» (1). فحتّى الحروفُ لها مدلولاتُها، سواءٌ تعلّق الأمرُ بمبناها أو معناها، فالحرفُ له صفةٌ ومخرجٌ، في أيّهم بحثْت وجدتَ علمًا خاصًّا وعامًّا.



الإعجازُ اللُّغويُّ لفعلِ الأمر: (اقرأ)

تتميَّزُ الأحرفُ في اللّغةِ العربيَّةِ بأصواتِهَا وصفاتِها ومخارجِها، فالأصواتُ منها العامُّ والخاصُّ، ومنها ما تعلَّقَ بعلم الأصواتِ النُّطقيِّ، ويُقصدُ به مكانُ إصدارِ الصّوتِ وإنتاجِه، ومنها ما تعلّقَ بعلمِ الأصواتِ الفيزيائيِّ، ويُقصدُ به دراسةُ الصّوتِ في الهواء على شكل موجاتٍ صوتيّةٍ، ومنها ما هو سمعيٌّ وهو ما تعلَّقَ بطريقة استقبال الصّوتِ عن طريق أُذن السّامعِ، وهو ما سنراه مع الفعل: (اقرأ).

مخارجُ الحُروفِ وصفاتُها:

جمعُ مخرَجٍ، وهو محلُّ الخروجِ، وموضعُ ظهورِ الصّوت، وتمييزِه عن غيره منَ الأصوات، إذِ المخرجُ نقطةٌ يحدثُ فيها حبسُ الهواء، أو تضييقُ مخرَجِه، بحيث يحدثُ الصّوتُ الذي نسمعهُ، وهذه المخارجُ موزّعةٌ على المدرّجِ الصَّوتيّ الذي يمتدُّ منَ الحنجرةِ إلى الشّفتَين، وَالحُرُوفُ جَمْعُ حرفٍ، وهو رمزٌ مكتوبٌ للصّوت اللُّغويِّ المنطوقِ، الذي ينشأُ من ذبذباتٍ، مصدرُها ـ في الغالب ـ اهتزازُ الوَتَرين الصّوتيّين، وَالصِّفاتُ جَمْعُ صفة، وهي الكيفيةُ العارضةُ للصّوت، عند حصوله في المَخرج، من جهرٍ وهمسٍ وشدّةٍ ورخاوةٍ، وإطباقٍ وانفتاحٍ، واستعلاءٍ وانسفالٍ، ومدٍّ ولينٍ، وصفيرٍ وتفشٍّ واستطالةٍ وتكريرٍ وانحرافٍ وغُنّةٍ وقلقلةٍ ونفخٍ (2).

- همزةُ الوصل: الهمزة فيها انحباسُ النَّفَس في أَثْنَاءِ النُّطق بها، «فأقصى الحلق يخرجُ منهُ حرفان هما الهمزةُ والهاء» (3).

- حرفُ القاف: حرفٌ جَهوريٌّ منقوطٌ أعلاه بنقطتين تدُلَّانِ على العينين، وهي دلالةٌ على أهميّةِ القراءةِ البَصَرية؛ لأنّ القراءةَ بالبصر تجعلُ القارئَ يقومُ بنسخ المُفردة نسخًا تامًّا، وَمِنْ ثَمَّ تحضرُ الذّاكرةُ البَصَرية لتخزين تلك النّسخة منَ المُفردة، وكلّما احتاجَها القارئُ للكتابةِ، فإنّه يكتبُها دونَ أخطاءٍ إملائيّةٍ، وهذا ما يُسمّى بعمليّةِ نسخِ المُفرداتِ أو الألفاظِ عن طريقِ الذّاكرةِ البَصَريّةِ، وخيرُ مثالٍ على ذلك: لو طلبْتَ من طفلٍ أو شخصٍ قارئٍ للكتُب بلُغةٍ مّا أن يتخيَّلَ لك مفردةً منَ المفرداتِ (هؤلاء، ذلك، مسؤولٌ...) فإنّه لن يعودَ للقاعدة وإنّما سيتخيّلُها كما مرّتْ به في الكتُبِ التي قرأها، ثمّ يكتبُها مباشرةً دونَ أخطاءٍ إملائيّةٍ.

ب - حرفُ الرّاء: حرفٌ جَهوريٌّ مكرّرٌ في أَثناءِ نُطقه، فطرفُ اللّسانِ عِنْدَ نُطق حرفِ الرّاءِ يُلامسُ الثّنايَا العُليا، وحِينَ عمليّةِ الضّغط يرجعُ اللّسانُ إلى وضعِه الأوّلِ ليحدِثَ تكرارًا، فإذا كان الحرفُ في فعل القراءة حرفًا مكرّرًا حتى في نُطقه، فهذا دلالةٌ على وجوبِ القراءةِ المتكرِّرةِ خصوصًا أنّه توسّطَ الفعلَ، قد شبَّهه الشّعراءُ قديمًا بالهِلال والخنْجر.

ت - حرفُ الألف: حرفُ الألف حرفٌ قائمٌ بذاته، له منَ الفضائل ما له، لِكونِه أوّلَ حرفٍ كُتبَ على اللّوح المحفوظِ لمّا أمرَ الله القلمَ أن يكتبَ ما هو كائنٌ إلى يوم

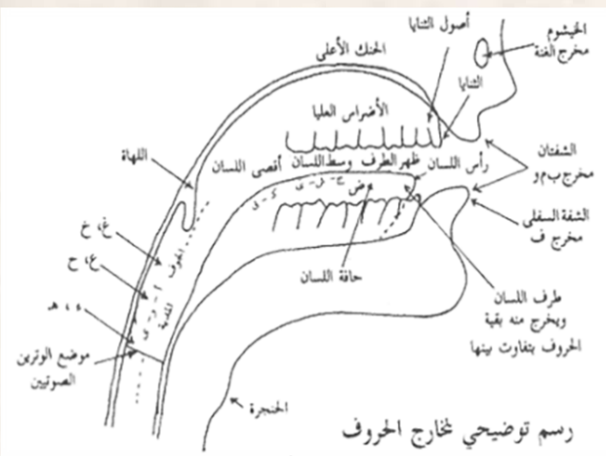
2 – ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها، تح: محمد يعقوب تركستاني، 1984، ط1، السعودية، ص77.

القيامةِ، فساحتْ منه نقطةٌ منَ النّور (4) ، ودَلالةُ حرفِ الألف القوامةُ والرّفعةُ لمن مكّن نفسَه من غذاءِ العَقلِ، فوقوفُ حرفِ الألف كذلك دَلالةٌ على وقوفِ الإنسانِ المتعلِّم، فالقراءةُ والمطالعةُ في حدّ ذاتِها يجبُ أن تكونَ بذكاءٍ وليس بنَهم، قد تقرأُ كتابًا يغيّرُ مجرَى حياتِك من ألفِها إلى يائِها، وقد تقرأُ العشراتِ دونَ جدوَى، فالاختيارُ الصّائبُ للكتُبِ من أهمِّ النِّقاطِ المُحفِّزةِ إلى القراءة، وعليه؛ يجبُ تعويدُ الأطفالِ على القراءة منذ الصِّغرِ.

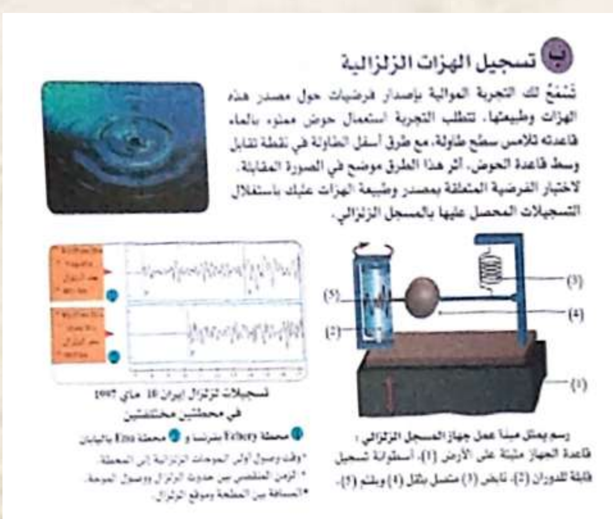
صورة اللّفظ وصورة الدّلالة للفعل (اقرأ):

من خلال مُحاكاةِ هذا الفعلِ (اقرأ) في اللُّغةِ العربيّةِ بعيدًا عن تفسيرِه في القرآن الكريم، لأنَّ التّفسير له علماؤه المُخْتَصُّونَ، وَانْطِلاقًا من نظْرتِنا إلى هذا الفعلِ في مخارِجه وصِفاتِه وشكْلِ حركاتِه وفهْمِ معانِيه المُرْتَبِطَةِ بِفَهْمِ دقائقِ اللّغةِ العربيّةِ، نَجِدُهُ أَنَّهُ فعلٌ ثلاثيُّ الأبعادِ، فعلٌ سمعيٌّ، بصريٌّ، حركيٌّ، فعلٌ موجَّهٌ إليك أنت أيّها الإنسانُ أينما كنتَ، فعلٌ يلخِّصُ لك مراحلَ حياتِك . انظرْ إلى همزةِ الوصلِ في بدايته وإلى الألفِ في آخرِه كيف شكّلتْ خطّين متوازيين، فالهمزةُ والألفُ يُشكِّلان خطّين مُتوازيين، يَسيران في اتّجاهٍ واحدٍ، لكنّهما لا يلتقيان، فيستحيلُ التقاؤُهما أو تقاطُعُهما مهما كان امتدادُهما مع أنّ المسافةَ بين الخطّيْن المتوازِيَين تكونُ ثابتةً، كأنّهما البدايةُ والنّهايةُ . ففي بدايتِه جاءتِ الألفُ بدون همزةٍ، أو كما يُصطلحُ عليها بهمزةِ الوصْلِ، كأنّها تدلُّ على الإنسان في بدايةِ مراحلِ حياته (الولادة)، واقفةٌ وَحْدَهَا دونَ سندٍ، وبحركةِ الكسرةِ التي جاءت لتدلَّ على البدايةِ، ثمّ يجاورُهَا حرفُ القاف المنقوطُ أعلاه بنُقطتين للدّلالةِ على القراءةِ بالعينَيْن، لتأتِيَ مرحلةُ التعلّمِ بالبَصرِ والبَصيرةِ، وما تلك الدّائرةُ المتشكّلةُ من حرف القافِ إلّا دَلالةٌ على المضمونِ والأسرارِ التي يحملُها فعلُ القراءةِ في حياتِنا، فالقارئُ دومًا يكتشفُ الجديدَ والمفيدَ، كما أنّ حرفَ القاف يدلُّ على القراءةِ الجَهريّة لكونِهِ حرفًا جَهوريًّا، وهنا نُحدّدُ نوعَ القراءة التي تنقسمُ إلى قسمين: قراءةٍ صامتةٍ تعتمدُ على البَصرِ وقراءةٍ جهريّةٍ تعتمدُ على الصّوت والاستماعِ، ثمّ يتوسّطُ الفعلَ حرفُ الرّاء الدّالُّ على التّكرارِ، فكما يتكرّرُ معنا الغذاءُ لابدّ من غذاء الرُّوح والعقل بالقراءة المتكرِّرة، كأنّه نداءٌ من حرف الرّاء للإنسان، فكما يتكرّر معك فعلُ الأكل والشُّرب لابدَّ من تكرار فعلِ القراءةِ، ثمّ تأتي الألفُ بالهمزة للدَّلالةِ على القوامةِ والرّفعةِ.

رسم توضيحي لمخارج الحروف (5):



رسم بياني لزلزال (6) :



أوّلُ حَرْفٍ يُنْطَقُ في فعل الأمر (اقرأ) هو الهمزةُ، تَشعر بحُبسة عِنْدَ نُطقِها، ثمّ تنطلقُ إلى حرف القاف، ثمّ حرفِ الرّاء لتشكّل دائرةً بعد انفجارِ حرفِ الرَّاء.

التّصورُ الفيزيائيُّ لفعلِ الأمرِ (اقرأ):

يَكمُنُ الإعجازُ الصَّوتيُّ لفعلِ الأمرِ (اقرأ) في ذلك التّشابُهِ بين التّتابُعِ الخَطِّيّ لكلمةِ (اقرأ) وبين صَيرورةِ الزَّلازل، كيف تبدأُ وكيف تنتهي؟ فهو في صوتِه أشبهُ بالطَّبقة التّكتُونيّةِ تحتَ الأرضِ تتجمَّعُ فيها الرَّواسبُ من عظامٍ وغيرِها، وتسمَّى هذه المرحلةُ: مرحلةَ التَّكوينِ، حيثُ تتمركزُ في منطقةٍ معيَّنةٍ تُسمّى البُؤرة، وهو الأمرُ نَفْسُهُ مع الفعل: (اقرأ) الذي يبدأ بهمزةِ وصلِ الأولى وهي نقطةُ الانطلاق التي تعدُّ أشبهَ بتكوُّن المادَّةِ أسفلَ الأرض، فَمَرْحَلَةُ التّكوين تُكَوَّنُ المادّةُ في الطّبقةِ التّكتونيّةِ، و عِنْدَ تَكَاثُرِها يَحْدُثُ ما يُسمّى بالضَّغطِ عند نُقطةِ البُؤرة.

صوتُ القاف فيزيائيًّا صوتٌ انفجاريٌّ، صوتٌ وقْفِيٌّ، صوتٌ انسداديٌّ، معناه الانسدادُ قبْل الانفجار، كما يُوجدُ انحباسٌ، وهنا نتساءلُ: انحباسُ ماذا؟ نجدُ حُبسَةً في أَثْناءِ النُّطقِ بالحرف، وهي أشبهُ بترسُّباتٍ تُمارسُ الضَّغطَ في نُقطةِ البُؤرةِ، وهنا نربطُ نقطةَ البُؤرةِ القاف عندَ اللّهاةِ حَيْثُ الهواءُ يتلاحقُ حتَّى يصلَ إلى منطقةِ اللَّهاة، فينحبسُ الهواءُ كما تنحبسُ التّرسُّباتُ عند نُقطة البُؤرة، ويحدثُ قبْلَ الانفجارِ الظّاهريّ ما يُسمَّى بالانفجارِ الباطنيّ أي الدّاخليّ، ونُقطةُ البُؤرة في الفعل: (اقرأ) عند صوتِ القافِ وصوتِ همزةِ الوصلِ، وهذا يُماثِلُ تجمُّعَ الرّواسبِ في الطَّبقةِ التّكتونيّةِ أسفلَ طبقةِ الأرض، وبذَلِكَ ينحبسُ الهواءُ خلفَ اللّهاة، ولمَّا ينزلُ طرفُ اللِّسان يُمارسُ ضغطًا رهيبًا جدًّا، فيخرجُ ذلك الانحباسُ مُنفجرًا ليصبح انفجارًا. وهذا التَّقابلُ بينهُما يُكَوِّنُ تجمُّعًا عند نُقطة البُؤرةِ، فيُحدثُ انفجارًا باطنيًّا.

في حينِ أنّ الزِّلزالَ انفجارٌ ظاهريٌّ؛ وهنا نستنتجُ أنَّ المسافةَ بين القاف والرّاء قصيرةٌ، لذلك يكون الانفجارُ قويًّا، كالزِّلزالِ يكونُ قويًّا، وَبَاطِنِيًّا فِي بِدَايَتِهِ ، ثمّ يُصبحُ خارجيًّا . وفي أَثْنَاءِ التّنفُّس الخارجيّ وبين بداية القافِ مسافةٌ قصيرةٌ، وهنا نستحضرُ مقولةَ القانونِ الفيزيائيّ: كلَّما كانَ الزِّلزالُ قريبًا منَ البُؤرة كانَ مُدمِّرًا قويًّا، وكلَّما كان بعيدًا كان أقلَّ ضررًا، يُحدثُ تصدُّعاتٍ، فَتَنْفَتِحُ الأرضُ، مُشْبِهَةً انفتاحَ حرف الرّاء، كما أنَّ عددَ الطَّرقات خمسةٌ أشبهُ بطَرقاتِ البابِ، فَطرفُ اللِّسان يصعدُ إلى أصولِ الثَّنايَا التي فيها تجاعيدُ أصول الثَّنايا ثمّ يعودُ إلى مكانِه، وكلّما رَجَعَ اللِّسانُ إلى الخلف خَرَجَ الهواءُ بالتَّدْرِيجِ ، مع نُطقِ حرفِ الرّاءِ؛ لأنّه يُشبهُ خروجَ الهواء عدّةَ مرّاتٍ، مع حرفِ الرّاء. الآن نَجدُ الأرضَ استقرَّتْ فَنرجعُ إلى الهمزة التي هي عبارةٌ عن حُبسةٍ، أي انحباسٌ للهواء في منطقةِ الحَنجرة، فَتَحْدُثُ قوّةٌ في النُّطق، لكنها ثابتةٌ، وَكأَنَّ التّغيّراتِ التي حدثت داخلَ الأرض تُؤثّرُ في تغيّرِ القشرةِ الأرضيّةِ ، وَهَذا الثَّبَاتُ يُشبهُ ثباتَ الهمزةِ، التي لَمْ يتغيَّر مخرجُها ولا صفاتُها، فهي الصوتُ الوحيدُ الذي مخرجُه منَ الوَترَيْن، من منتصف الحلْق، والوَتران عادةً يُسبّبان الجهرَ، وَهَذَا يمثّلُ الثباتَ الذي تَستوي عليه الأرضُ.

كذلك القراءةُ وفعلُها تُحدثُ زلزالاً على مستوى حياةِ الإنسانِ الفكريّةِ والعقديةِ، الثَّباتُ هنا عبارةٌ عنِ استقرارٍ في الفهمِ والاستيعابِ، فكُلّما ثبتَ الإنسانُ على القراءةِ زادتْه غذاءً روحيًّا، وبناءً ذاتيًّا وتطوّرًا تكنولوجيًّا.

من خلال هذا الرّسمِ البيانيّ لتسجيل هزّاتِ الزّلزالِ يُمكنُنا العودةُ إلى الرَّسمِ البيانيّ لمخارجِ أصواتِ الحروفِ لندركَ أنّ

---

3 – أحمد بن ممدوح الشرقاوي، مخارج الحروف وصفاتها، شبكة الألوكة، قسم الكتب، ص11.
4 – https://alrai.com/article/11962عمان وليد سليمان، أسرار-الحروف-في-العربية.
5 –أحمد بن ممدوح الشّرقاوي، مخارج الحروف وصفاتها، ص20.
6 –مخلوف بلقرين، بن مشتة السعيد، علوم الطبيعة والحياة، كتاب السّنة الثالثة من التّعليم المتوسط، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص13.
7 –منال أبو الحسن، الصّوتيات علم وفنّ تدريب وممارسة، دار النّشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2014، ص29.

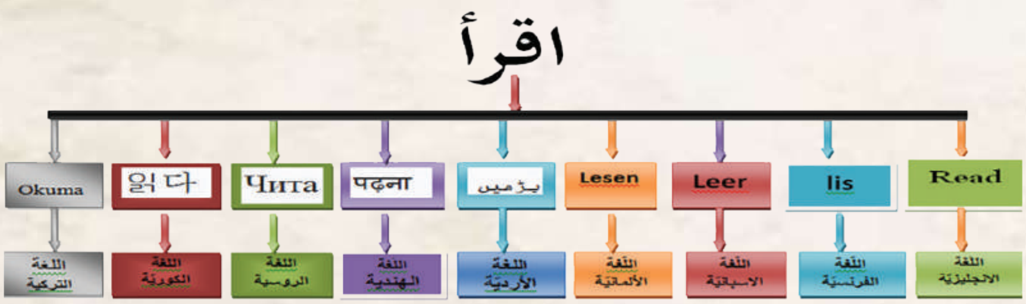
فعلَ الأمرِ (اقرأ) يُحدثُ زلزالًا أشبَهَ بالزّلزالِ الحقيقيّ، إلّا أنّ الفرقَ بَيْنَهما يَكْمُنُ في ارْتباطِ الزّلزالِ الأوّلِ بالجهازِ الصَّوتيّ المُعجزةِ الرّبانيّةِ التي حبانا الله بها، وأما الزِّلزالُ الثّاني فهو طبيعةٌ يَحدثُ نتيجةَ ظواهرَ طبيعيّةٍ معيَّنةٍ. فكما تظهرُ الينابيعُ وتنضبُ بعدَ الزِّلزالِ الطَّبيعيّ، يكتسبُ الإنسانُ معارفَ من كلِّ بُستانٍ ومن كلّ بحرٍ.

التّمييزُ بين الصَّوتِ والحرفِ:

«إنّ الحرفَ ما يُكتبُ، وهو رسمٌ تعارفَ النّاسُ على كتابتهِ باليدِ، ويُدرَكُ بالعينِ المجرّدةِ، ويُكتبُ على الورقِ بالقلمِ والحِبرِ، فهو كمٌّ مادّيٌّ وشكلٌ هندسيٌّ، يرسمُهُ كلُّ فردٍ تعلّمَ القراءةَ والكتابةَ، ويَفهمُه كلُّ من أُوتيَ حظًّا من ذلك ولو يسيرًا، أمّا الصّوتُ فهو الذي يُنطقُ، وهو لا يُدركُ بالعينِ، وإنّما يُدرَكُ بالسّمعِ، وهو لا يُرَى؛ لأنّ تموُّجاتٍ صوتيّةً تُرسلُها عضلاتُ الجهازِ الصّوتيّ» (7)

موازنةٌ بين تَشكُّلات فعلِ القراءةِ بالحروفِ العربيّةِ وباللُّغاتِ الأُخرى:

منذُ القِدمِ واللُّغاتُ تُحاكِي عالَمَ الإنسانِ، إلّا اللّغةَ العربيّةَ فقد وصلتْنا كاملةً ناضجةً، فإذا نظرْنا إلى صفاتِ الحروفِ العربية والشّكل الهندسي لرسمها والرّسم الهندسي للّغات الأخرى وصفاتِها، نجدُ بينهما فرقًا شاسعًا، فكلُّ الحروفِ والأصواتِ الفيزيائيّةِ الأجنبيّةِ عاديةٌ لا تربطُها علاقةٌ بالمعنى الدّلاليِّ أو الصّوتيِّ أو البلاغيّ للمقصود منَ الفعل في حدِّ ذاتِه ما عدا الفعلَ النّاطقَ باللُّغةِ العربيَّةِ: (اقرأ) الذي يتميّزُ بحروفِهِ ومَخارجِه وصفاتِه ودَلالتِه.



-خاتمة:

* لا يزالُ الإعجازُ اللُّغويُّ في القرآن يُبهرُ القُرّاءَ والمُفسِّرينَ والباحِثين، فكلُّ آيةٍ لها معنى ودَلالةٌ، وكلُّ اسمٍ وفعلٍ له وسْمُهُ ورسْمُه.
* تدبّرُ معانِي الأفعالِ في القرآنِ الكريمِ يفتحُ آفاقًا أمامَ الباحثِين لإدراكِ المعانِي الجَليّةِ.
* إنّ الرّبطَ بين الإعجازِ الصّوتيِّ والإعجازِ اللُّغويِّ يُمكّنُنا مِن استنباط المعانِي الخفيّةِ والدّلالاتِ العميقةِ لهذا الفعلِ المُعجزةِ، وقد تساءلْنا نحنُ وتساءلَ من سبَقنا، كيف نقرأُ وماذا نقرأُ؟

اقرأْ باسمِ ربِّك كيف لهذه النّبتةِ أن تتنفَّسَ؟ كيف لها أن تأتِي ألوانُها؟ اقرأ باسم ربّك عن هذا البحرِ.

* اقرأْ باسمِ ربِّك الذي خلَق عن هذه النّبتةِ الصَّغيرةِ، من بذْرةٍ صغيرةٍ وجعَلَ منها أشجارًا كبيرةً وجعل منها غذاءً للإنسانِ والحيوانِ، وبعضَها الآخَر للزّينةِ، كالوُرودِ ذاتِ الألوانِ المُختلفةِ، فحتّى النّباتاتُ تُشكّلُ عالَمًا قائمًا بذاتِه.
* اقرأْ باسمِ ربِّك عن أنواعِ هذه الفواكهِ، اقرأْ عن لونِها، من ميّزَها بشكْلِها وطعْمِها؟
* اقرأْ باسمِ ربِّك عنِ الشَّجرِ وشكْلِه، وعن ترامِيه لجُذورِه في أعماقِ الأرض، منْ علّمَه؟ منْ أرشَدَه؟
* اقرأْ باسمِ ربِّك عن هذا الهواءِ الذي نَستنشقُه كلَّ يومٍ، بربِّك مِن الذي أمرهُ؟

مِنْ سِيرَةِ الْغُفْرَانِ



شعر / د.محمد محمد عيسى
شاعر وناقد/مصر

تَرَى فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ مَسَالِكْ   إِذَا مَا قُلْتَ: يَارَبِّي بِبَالِكْ
مَنِيعٌ لَا يُصَدُّ وَلَا يُبَارَى   وَيُخْضِعُ رَغْمَ عِزَّتِهَا الْمَمَالِكْ
يَصُبُّ الْخَيْرَ بَيْنَ يَدَيْكَ يَسْعَى   وَيَمْنَعُهُ إِذَا مَا شَاءَ ذَلِكْ
يُجِيبُ دُعَاءَكَ الْمُضْطَرَّ إِمَّا   دَعَوْتَ وَكُنْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ هَالِكْ
تَبَارَكَ فِعْلُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ   وَجَلَّ كَمَالُهُ. يَا لَاكْتِمَالِكْ!!
أَشَارَ إِلَيْكَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ   فَقُمْتَ- كَمَا يَشَاءُ- عَلَى رِحَالِكْ
يُسَابِقُ خَطْوُكَ الْأَخْطَاءَ حَتَّى   ظَنَنْتَ بِأَنَّ نَصْرَكَ فِي مَآلِكْ!!
تُبِيحُ لِنَفْسِكَ الْحَرَّى هَوَاهَا   وَيُمْهِلُ، لَيْسَ يُهْمِلُ فِي فِعَالِكْ
يُؤَخِّرُ فِيكَ حُكْمًا إِثْرَ حُكْمٍ   لَعَلَّكَ قَدْ تَعُودُ إِلَى عِقَالِكْ
وَجِئْتَ وَفِي فُؤَادِكَ أُمْنِيَاتٌ   وَحَوْلَكَ كَانَ شَكْلُ الدَّرْبِ حَالِكْ!!
فَجَلَّى عَطْفُهُ الْحَانِي سَرِيعًا   عَوَائِقَ لَمْ تُعِنْكَ عَلَى نَوَالِكْ
وَأَخْلَفَكَ الْبِلَادَ سَمًا، وَأَرْضًا   وَأَسْلَمَكَ السَّبِيلَ إِلَى غِلَالِكْ
فَسِرْتَ، وَسِيرَةُ الْغُفْرَانِ تَمْشِي   قُبَالَةَ مَا مَشَيْتَ إِلَى مَنَالِكْ
تَرَى يَا ظَامِئًا حُجَجًا، وَشَمْسًا،   وَأَجْوِبَةً تَرُدُّ عَلَى سُؤَالِكْ
وَبَابُ الرِّزْقِ مَفْتُوحٌ وَيَحْظَى   بِأَنْ لَا يُجْتَبَى أَحَدٌ هُنَالِكْ
وَآخِرُ شَرْبَةٍ - لَا شَكَّ فِيهَا -   سَتَشْرَبُهَا وَلَوْ مَنَعُوكَ ذَلِكْ



أَصَالَةُ عِلْمِ الأَصْوَاتِ عِنْدَ عُلَمَاءِ أُصُولِ اللُّغَةِ

يتناولُ البحثُ موضوعَ: (أَصَالَةُ عِلْمِ الأَصْوَاتِ عِنْدَ عُلَمَاءِ أُصُولِ اللُّغَةِ)؛ حيث يُبيِّنُ أبرزَ علماءِ اللُّغةِ اهتمامَهُمْ بعلمِ الأصواتِ في ثنايا كُتُبِهم، أَوْ في رسائلَ مُستقلَّةٍ، إِذْ إِنَّ عِلْمَ الأصواتِ هو أساسُ الدِّراساتِ الأُخرى ويُبنَى عليه دلالاتٌ متغايرةٌ بحسبِ توظيفِه وسياقاتِه؛ لذا كان الاهتمامُ به محلَّ تركيزٍ عندَ العلماءِ القُدماءِ بشتّى اتِّجاهاتِهم، حتَّى لو كانُوا أدباءَ.



د./ محمَّد رزق شعير (1)
أستاذ مساعد في كليّة الإلهيّات- جامعة هيتيت/تركيّا

تناول البحثُ مبحثين، وُضِّح في المبحث الأوَّل (عنايةِ القدماءِ بعلمِ الأصوات)، وجاء المبحثُ الثّاني ليتحدَّثَ عن ثلاثةِ علماءَ كبارٍ؛ همُ الجاحظُ - من خلال كتابه (البيان والتَّبيين)، وابن جِنِّي من خلال أوَّلِ كتابٍ متخصِّصٍ في علم الأصوات (سرُّ صناعةِ الإعراب)، وأخيرًا ابنُ سينا من خلال رسالته (أسبابُ حدوثِ الحَرْفِ).

المَبحثُ الأوَّلُ: عنايةُ القُدماءِ بعلْمِ الأصواتِ:

إنَّ الهدفَ الرَّئيسَ لعلْمِ الأصواتِ هو معرفةُ مواضعِ النُّطقِ الصَّحيحِ، ودراسةُ صفاتِ الأصواتِ والتّغيّراتِ الَّتي تعتريها في أثناءِ الكلامِ.

إنَّ البحثَ الصَّوتيَّ العربيَّ لم يضمَّه مصدرٌ واحدٌ، ولم يتناولْه عالِمٌ واحدٌ، ولكنَّه تناثرَ بين طيَّاتِ مُصنَّفاتِ علوم العربيَّةِ المختلفة، الصَّوتيَّةِ منها والنَّحويَّةِ الصَّرفيَّة، والبلاغيَّةِ، والتَّجويديَّة، وإعجازِ القرآن والمعاجم، «وتَعَدُّدِ العلماءِ الَّذين شاركُوا في إقامةِ صرْحِه وتوطيدِ بُنيانِه» (2)، وكلُّ ذلك يدلُّ على «عنايةِ القُدامى وتعلّقِهم بهذا الميدان لأهمِّيَّتِه وأثرِه الفعَّالِ في تفسيرِ كثيرٍ من الظَّواهرِ اللُّغويَّةِ»(3)، فعلى الرُّغم من

(1) Mohamed Rızk Shoeir
mrsheer2000@gmail.com : البريد الإلكترونيُّ
Dr. Öğr. Üyesi, Hitit Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Arap Dili ve Belagati Anabilim Dalı
Asst. Prof., Hitit University, Faculty of Theology,
Department of Basic Islamic Studies, Department of Arabic Language and Rhetoric
Orcid: 00000012-5545-0002-

(2) عبد المنعم، عبد الله محمَّد، المقطع الصَّوتيُّ في ضوء تراثنا اللُّغويِّ، مطبعة الجبلاويِّ، القاهرة، 1988م، ص17.

(3) المرجع السَّابق، نفس الصَّفحة.

تناثرِ الدِّراسةِ الصَّوتيَّةِ في مصادرَ مختلفةٍ منَ التُّراثِ العربيِّ، وكثرةِ العلماءِ والباحثِين في هذا الميدان، إلَّا أنَّه لم يظهرْ مصدرٌ مستقلٌّ يجمعُ شتاتَ القضايا الصَّوتيَّةِ ويضمُّ متفرّقاتِها إلَّا في فترةٍ متأخّرةٍ من مسيرة البحثِ اللُّغويِّ العربيِّ، وذلك على يد ابنِ جِنِّي في كتابه «سرُّ صناعةِ الإعراب»، ولدى ابنِ سينا في رسالته الشَّهيرة «أسبابُ حدوثِ الحُروفِ».

وقد يرجع سببُ هذا التَّأخّرِ إلى «طبيعةِ المنهجِ اللُّغويِّ قديمًا في معالجة جوانبِ الدَّرسِ اللُّغويِّ بين دفّتَي المصدرِ الواحدِ، إذ لم يكن هناك فصلٌ دقيقٌ بين فروعِ الدِّراساتِ اللُّغويَّةِ» (4).

المبحثُ الثاني: علْمُ الأصواتِ عند علماءِ أصولِ اللُّغةِ:

أوَّلًا: الجاحظُ، عمْرُو بنُ بحرٍ أبو عُثمانَ، (ت 255 هـ)

يمكنُ الإشارةُ إلى إسهامِ الجاحظِ في كتابه «البيانُ والتَّبيينُ»، حيث تعرَّض لعيوبِ النُّطقِ، كما تناولَ بناءَ الكلمةِ العربيَّةِ ولاحظ أنَّ بعضَ الحروف لا يمكنُ أن تجتمعَ مع بعضِها في كلمةٍ واحدةٍ، كما ذكرَ أكثرَ الحُروفِ تردادًا من خلال استقرائه عدَّةَ خُطبٍ وعدَّةَ رسائلَ، وكان بذلك متَّبعًا أحدثَ المناهجِ الَّتي تعتمدُ على أخذِ عيِّنةٍ منَ المادَّة اللُّغويَّةِ ودراستِها لاستخلاص النَّتائجِ والأحكامِ الَّتي يمكنُ تعميمُها.

«وقِوامُ اللَّفظ الصَّوتُ، فكلُّ لفظةٍ تتألَّفُ من مجموعةِ مقاطعَ، وكلُّ مقطعٍ يتألَّفُ من مجموعةِ حروفٍ، وكلُّ حرفٍ عبارةٌ عن صوتٍ، والصَّوتُ يَنتجُ عن حركات اللِّسانِ في الفَمِ. يقولُ الجاحظُ موضِّحًا ذلك: «والصَّوتُ هو آلةُ اللَّفْظِ والجوهرُ الَّذي يقوم به التَّقطيعُ وبه يوجدُ التَّأليفُ، ولن تكونَ حركاتُ اللِّسان لفظًا ولا كلامًا موزونًا أو منثورًا إلَّا بظهورِ الصَّوت، ولا تكونُ الحروفُ كلامًا إلَّا بالتَّقطيعِ والتَّأليفِ».

ويعتني الجاحظُ بملاحظة العِلل الَّتي تعترِي البيانَ وأهمُّها الحُبسة واللُّثغةُ واللَّكنةُ واللَّحنُ.

«والحُبسةُ عقدةٌ تصيبُ اللِّسانَ فلا يستطيع المرءُ النُّطقَ بسهولةٍ، ويثقلُ عليه الكلامُ، فينتجُ عن ذلك عدمُ القدرةِ على التَّعبير جيّدًا عن أفكارِه وإفهامِ الآخرين، وكان موسى عليه السلامُ يعانِي من هذه العقدةِ فسأل الله حين بعثَه إلى فرعونَ بإبلاغ رسالتِه أن يحلَّ تلك العقدةَ الَّتي كانت في لسانِه أو الحُبسةَ الَّتي كانت في بيانِه» (5).



(4) عبد المنعم، عبد الله محمَّد، المقطع الصَّوتيُّ في ضوء تراثنا اللُّغويِّ، ص18.
(5) الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان، البيان والتَّبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ج1/ ص12.



«أمَّا اللَّثغةُ فأكثرُ شيوعًا وأقبحُ مظهرًا، وتقوم بإبدال حرفٍ بحرفٍ آخرَ، وقد أحصى الجاحظُ الحروفَ الَّتي تدخلُها اللّثغةُ فوجدها أربعةً هي القاف والسِّين واللَّام والرَّاء، فاللَّثغة الَّتي تعرضُ للقاف يجعلُ صاحبُها القافَ طاءً فيقول: طُلتُ بدل قُلتُ، واللثغة الَّتي تعرضُ للسين يجعلُ صاحبُها السَّين ثاء، فيقول: أبو يكثومَ بدل أبي يكسومَ، ويقول: بثم الله بدل باسم الله، أمَّا اللَّثغة الَّتي تقعُ في اللَّام، فيجعل بعضُ أصحابها اللَّام ياء ويقول: اعتييت بدل اعتللت، وجَمَيٌ بدل جَمَلٌ، ويجعلُ بعضُهم الآخرُ اللَّام كافًا فيقول مَكْعِكّة في هذا بدل: ما العلّة في هذا، وأمَّا اللّثغةُ الَّتي تقع في الرَّاء فتتمُّ بأربعة أحرُفٍ هي الياء والغين والذَّال والطَّاء، ويقول أصحابُها: عمْي بدل عمرو، أو يقول: عمغ بدل عمرو، أو يقول مَذَّة بدل مرَّة، أو يقول مَطَّة بدل مرَّة.

واللُّكنةُ هي إدخالُ حروفِ العَجم في حروفِ العربِ، وهي علَّةٌ تقعُ للأعاجم الَّذين يتكلَّمون العربيَّةَ، فالنّبطيُّ الَّذي نشأَ في سواد الكوفةِ مثلًا قد يتكلَّمُ العربيَّةَ المعروفةَ ويتخيَّرُ ألفاظَه وتجودُ معانِيه، ومع ذلك يعلمُ السَّامعُ لكلامهِ ومخارج حروفِه أنَّه نبطيٌّ، وكذلك الخُراسانيُّ والأهوازيُّ، والسِّنديُّ الَّذي تعلَّمَ العربيَّةَ كبيرًا يجعلُ الجيمَ زايًا، والنَّبطيُّ يجعلُ الزَّاي سينًا فيقول: سَورق بدل زورق، ويجعلُ العينَ همزةً، وهذه اللّثغةُ الَّتي تعتري الأعاجمَ تختلفُ عنِ اللّثغةِ الَّتي تعتري الصِّبيانَ أو الشُّيوخَ ومن ينشأُ منَ العرب مع العجم، وأهمُّ مظاهرِ هذه اللّكنة إبدالُ السِّين شينًا والطَّاء تاءً والحاءِ هاءً. قال فيل مولى زياد لسيّده مرَّة (اهدُوا لنا همارَ وهْشٍ) يريد حمارَ وحْشٍ، فقال زياد: ما تقول ويلك! قال: اهدُوا إلينا أَيْرًا، يريدُ عَيْرًا، فقال زياد: الأوَّلُ أهونُ، وفهمَ ما أراد.

ومن عللِ اللِّسان التَّمتمةُ والفأفأةُ واللَّففُ واللّجلجةُ والحكلة، والتّمتامُ هو الَّذي يتعتعُ في التَّاء، والفأفاءُ هو الَّذي (6) يتعتع في الفاء، والألَفُّ هو الَّذي يدخلُ بعضَ كلامه في بعض، واللّجلاجُ هو الَّذي يُبطىءُ في كلامه ويُنقصُ منه، وذو الحكلة هو الَّذي لا يبيّنُ كلامَه ويعجزُ عنِ اللَّفظ حتَّى لا تُعرفَ معانيه إلَّا بالاستدلال.

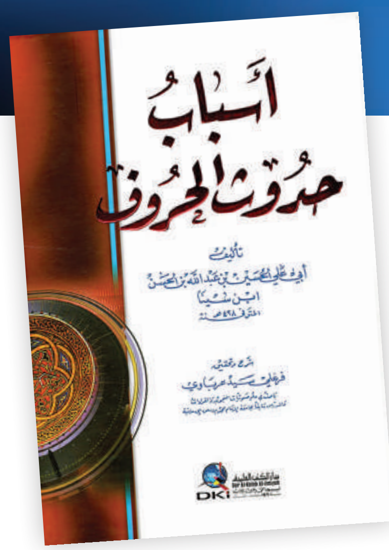
أمَّا اللَّحن فهو الخطأُ في تحريك حروفِ الكلمة من ضمٍّ وكسرٍ وفتحٍ وسكونٍ، وقد شاع اللَّحنُ في العصرِ العبّاسيِّ بسببِ اختلاطِ العرب بغيرهم منَ الشُّعوبِ الأعجميَّةِ الَّتي أرادت أن تتكلَّمَ العربيَّةَ فلم تستطعِ المحافظةَ على سلامتِها منَ الخطأ في اللّفظ والحركات، وقد أورد الجاحظُ أمثلةً كثيرةً على هذه الظَّاهرةِ اللُّغويَّةِ، يقول: قال بشرُ بنُ مروانَ، وعنده عمرُ بن عبد العزيز لغلام له: ادعُ لي صالحًا. فقال الغلامُ: يا صالحًا. فقال له بشر: ألق منها ألف. قال له عمر: وأنت فزد في أَلِفِكَ أَلِفًا.

ولم يقتصرِ اللَّحنُ على الأعاجم الَّذين تكلَّموا العربيَّةَ ولا على المدنِ الَّتي كثرَ فيها الاختلاطُ بين العربِ والأعاجمِ، بل فشا بين العربِ الأقحاحِ وبين أهل الأمصارِ الَّتي تُعَدُّ معقلَ العربيَّةِ مثلَ المدينةِ، ثمَّ اعلمْ أنَّ أقبحَ اللَّحن لحنُ أصحابِ التَّقعيرِ والتَّقعيبِ والتَّشديقِ والتَّمطيطِ والجَهورةِ والتَّفخيم، وأقبحُ من ذلك لحنُ الأعاريبِ النَّازلينَ على طرقِ السَّابلةِ، وبقربِ مجامعِ الأسواقِ.

ولأهل المدينةِ ألسنٌ ذلقةٌ، وألفاظٌ حسنةٌ وعبارةٌ جيّدةٌ،

(6) المصدر السَّابق، ج1/ ص13.





واللَّحنُ في عوامِّهم فاشٍ، وعلى من لم ينظرْ في النَّحوِ منهم غالبٌ.

لم يكتفِ الجاحظُ بملاحظةِ وجوهِ الخطأِ الَّتي تقعُ في اللَّفظِ، بل راحَ يبحثُ - بفضولِه العلميِّ - عن علاقتِها باللِّسانِ والأسنانِ والتَّنفسِ والشِّفاهِ الَّتي تشتركُ في إخراجِ الحروفِ مُعتمدًا على السَّماعِ والملاحظةِ والتَّجربةِ.

فالشَّفَةُ الفلحاءُ أو العَلماءُ تُؤثِّرُ في حُسنِ التَّلفُّظِ، يقول الجاحظ مُشيرًا إلى ذلك «وقال عمرُ بنُ الخطَّاب - رحمه الله - في سُهيل بنِ عمرٍو الخطيبِ (7): يا رسولَ الله، انزع ثَنِيَّتَيْهِ السُّفْلَيَيْنِ حتَّى يدلعَ لسانُه، فلا يقومُ عليك خطيبًا أبدًا، وإنَّما قال ذلك لأنَّ سُهيلًا كان أعلمَ من شفتِه السُّفلَى» (8).

وأثرُ الأسنانِ في البيانِ أوضحُ وأقوَى، فسقوطُ بعضِ الثّنايا يشوّهُ اللَّفظَ وخيرٌ من سقوطِها جميعا إذا استحال وجودُها جميعا، وتدلُّ الملاحظةُ والتَّجربةُ "على أنَّ سقوطَ جميعِ الأسنانِ أصلحُ في الإبانةِ عنِ الحروف منه إذا سقط أكثرُها، وخالفَ أحدُ شطرَيْها الشّطرَ الآخرَ، وقد رأينا تصديقَ ذلك في أفواهِ قوم شاهدَهم النَّاسُ بعد أن سقطت جميعُ أسنانِهم وبعد أن بقي منها الثُّلثُ أو الرُّبعُ.

أمَّا اللِّسان فهو آلةُ الكلامِ الرَّئيسةُ، وكلَّما كان سليمًا جاء اللَّفظُ صحيحًا، وكلّما ازدادَ حجمُه بحيث يصكُّ جوانبَ الفم ويَملأُه لم يتركْ خلاءً لمرورِ الهواءِ كان أوفَى بالغايةِ، وفي هذا الرَّأي يوافقُ الجاحظُ الفيلسوفَ اليونانيَّ أرِسطو، ويُطبّقُ ذلك على الإنسانِ والحيوانِ. يقول الجاحظ: "وقال أهلُ التَّجربةِ: إذا كَانَ في اللَّحمِ الَّذي في مغارز «الأسنان تشميرٌ وقصرُ سُمْك ذهبتِ الحروفُ وفسدَ البيانُ، وإذا وجدَ اللِّسانُ من

(7) المصدر السَّابق، ج1/ ص14.
(8) المصدر السَّابق، ج1/ ص15.

جميع جهاته شيئًا يقرعُه ويصكُّه، ولم يمرَّ في هواءٍ واسعِ المجال وكان لسانُه يملأُ جوبةَ فمِه، لم يضرَّه سقوطُ أسنانِه إلَّا بالمقدارِ المُغتفرِ، والجزءِ المُحتمَلِ، ويؤكِّدُ ذلك قولُ صاحبِ المنطق، فإنَّه زعمَ في كتاب الحيوانِ أنَّ الطائرَ والسّبُعَ والبهيمةَ كلَّما كان لسانُ الواحد منها أعرَضَ كان أفصحَ وأبيَنَ وأحْكَى لما يلقَّنُ ولما يسمعُ كنحوِ البَبَّغَاء والغُدَافِ وغُرابِ البَيْنِ ومَا أشبه ذلك» (9).

ويُقسِّم الجاحظُ اللَّفظَ إلى طبقاتٍ كما ينقسمُ النَّاسُ أنفسُهم إلى طبقاتٍ، فمنه الجَزْلُ والسَّخيفُ، ومنه المليحُ والحسنُ، ومنه القبيحُ والسّمجُ والخفيفُ والثَّقيلُ» (10).

ثانيًا: ابنُ جنِّي، أبو الفتح عثمانُ، (ت 392 هـ):

يُعدُّ ابنُ جنِّي أوَّلَ منْ نظرَ إلى المبحثِ الصَّوتيِّ على أنَّه علمٌ قائمٌ بذاتِه، وأنَّه أوَّلُ منِ استعملَ مُصطلحًا لُغويًّا للدّلالة على هذا العلمِ ما زلنا نستعملُه إلى الآن وهو علمُ الصَّوتِ، ويتعرَّضُ ابنُ جنِّي لِما يُعرفُ الآن بـ «الصَّوتِ في الكلام» (11)؛ ذلك أنَّ الأَصْواتَ في الكلماتِ أو في الكلام المتَّصلِ لا تحتفظُ بخصائصِها الَّتي تُعرفُ بها حين تكونُ أصواتًا مُسْتَقِلَّةً، بل تكتسبُ خصائصَ جديدةً.

وقد خصَّص كتابًا كبيرًا للحديثِ عنِ الأصوات بفرعَيْها- العامِّ والوظيفيِّ - ويُعدُّ أوَّلَ منِ انفردَ بالبحثِ في علم الأصوات في كتابٍ مستقلٍّ، حيث يُعدُّ كتابُه «سرُّ صناعةِ الإعراب» أوَّلَ مؤلَّفٍ في الدَّرسِ الصَّوتيِّ؛ فقد كان على حقٍّ حين قال: «وما علمتُ أنَّ أحدًا من أصحابنَا خاضَ في هذا الفنِّ هذا الخوضَ ولا أشبعَه هذا الإشباعَ» (12)؛ بمعنى أنَّ كتابَه لم يكن جمْعًا لآراء السَّابِقين وأفكارِهم فحسب، وإنَّما تميَّزَ بالإضافاتِ الجادَّة، تُعبِّرُ عن نظرتِه العلميَّةِ الصَّائبةِ ودقَّتِها الفائقةِ، «وتبيّنَ أنَّها دراسةٌ لُغويَّةٌ مهمَّةٌ يجبُ على عالِمِ اللُّغة أن يضعَها في الاعتبارِ» (13).

وقد اهتمَّ ابنُ جِنِّي بالجانبِ العمليِّ التَّطبيقيِّ، كما يُلاحظُ ذلك في المختبراتِ الحديثةِ المعتمِدةِ على الآلاتِ والأجهزةِ المتطوّرةِ؛ فقد شبَّه الحلْقَ بالنَّاي (المِزمارِ)، وشبَّه مدارجَ الحروف ومخارجَها بفتَحاتِه الَّتي توضعُ عليها الأصابعُ، فإذا وضعَ الزَّامرُ أناملَه على خروقِ النَّاي المنسوقةِ، وراوحَ بين أناملِه اختلفتِ الأصواتُ، وسُمِعَ لكلِّ خرقٍ صوتٌ لا يُشبهُ صوتَ صاحبِه، فكذلك إذا قُطعَ الصَّوتُ في الحلْقِ والفَمِ، باعتمادٍ على جهاتٍ مختلفةٍ، كان سببَ سماعِنا هذه الأصواتَ المختلفةَ (14).

كما توصّلَ ابنُ جِنِّي إلى مبدأ اللُّغةِ الصَّوتيِّ واعتمادِ التَّرتيبِ المستمدِّ منَ المخارج من تلقاءِ نفْسِه باستنادِهِ إلى التَّجربةِ الخاصّةِ وهي الَّتي دعاها بـ «ذوقُ الحروف»؛ فقد عرض أوَّلاً التَّرتيبَ الألفبائيَّ وأعرضَ عنه، ثمَّ نظر في الحروف على أساس صوتيٍّ منطوقٍ فكان ذَوَاقُه إيَّاها، ثمَّ وضعُه لتسلسلِها بدءًا منَ الحلق وانتهاءً بالشَّفتين (15).

ويربطُ ابنُ جنِّي بين علمِ الأصوات وعلم الموسيقى؛ فيقول: «إنّ علْمَ الأصوات والحروف له تعلّقٌ، ومشاركةٌ للموسيقى، لِما في صنعتِه الأصوات والنَّغم» (16).

---

(9) المصدر السَّابق، ج1/ ص15.

(10) المصدر السَّابق، ج1/ ص16.

(11) ابن جنِّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمَّد عليّ النَّجَّار، الطَّبعة الثَّانية، دار الهدى للطباعة والنَّشر، القاهرة، د.ت، ج3/ 120-121.

(12) ابن جنِّي، أبو الفتح عثمان، سرُّ صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطَّبعة الثَّانية، 1993م، ج1/ ص63. ينظر: فليش، هنري، "التَّفكير الصَّوتيُّ عند العرب في ضوء سرِّ صناعة الإعراب"، تعريب وتحقيق: عبد الصَّبور شاهين، بحث في مجلَّة مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة، العدد (23)، 1968م، ص42.

(13) حامد، عبد الغفَّار هلال، أصوات اللُّغة العربيَّة، مطبعة الجبلاويِّ، القاهرة، الطَّبعة الثَّانية، 1988م، ص10.

(14) ابن جنِّي، سرُّ صناعة الإعراب، ج1/ ص9.

ثالثًا: ابنُ سِينَا، أبو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بن عَبد الله (ت 428هـ):

لابن سينا أثرٌ واضحٌ في علمِ الأصواتِ من خلال رسالتِه: «أسبابُ حدوثِ الحرف»، حيث تحدَّثَ عن مخارجِ الأصواتِ ومَحابسِها وصفاتِها، وقدَّم تشريحًا للحَنجرةِ واللِّسانِ ووصفَ العمليَّةَ العُضويَّةَ مع كلِّ حرفٍ وصْفًا مفصَّلاً (17) ، كما تحدَّث ابنُ سينا عن ظاهرةٍ صوتيَّةٍ فريدةٍ، وهي الأصواتُ الشَّبيهةُ بحروفِ العربِ وليست في لُغةِ العربِ (18)

جعل ابنُ سينا رسالتَه ستَّةَ فُصولٍ (19)

الفصلُ الأوَّلُ: في سببِ حدوثِ الصَّوت.

الفصلُ الثَّاني: في سببِ حدوثِ الحروفِ.

الفصلُ الثَّالث: في تشريح الحَنْجَرَةِ واللِّسانِ.

الفصلُ الرَّابعُ: في الأسبابِ الجَزائيَّةِ لحرفٍ حرفٍ من حروفِ العربِ.

الفصلُ الخامسُ: في الحروفِ الشَّبيهةِ بهذه الحروفِ وليست في لُغةِ العربِ.

الفصلُ السَّادسُ: في أنَّ هذه الحروفَ من أيِّ الحَركات غيرِ النُّطقيَّة تُسمعُ.

الخاتمةُ:

* اهتمَّ العلماءُ القدماءُ - في تخصُّصاتٍ مختلفةٍ - بالبحثِ الصَّوتيِّ وإن لم يُضمَّ في مصدرٍ واحدٍ، ولكنَّه تناثرَ بين طيَّاتِ مُصنَّفاتِ علومِ العربيَّةِ المختلفةِ، الصَّوتيَّةِ منها والنَّحويَّةِ الصَّرفيَّةِ، والبلاغيَّةِ، والتَّجويديَّةِ، وإعجازِ القرآنِ والمَعاجمِ، وتعدَّدَ العلماءُ الَّذين شاركُوا في إرساءِ قواعدِه وبيانِ أُسُسِه وموضوعاتِه، وكلُّ ذلك يدلُّ على عنايةِ القُدامى وتعلّقِهم بهذا الميدان لأهمِّيتِه وأثرِه الفعَّالِ في تفسيرِ كثيرٍ منَ الظَّواهرِ اللُّغويَّةِ.

* تعرَّضَ الجاحظُ - في كتابه (البيانُ والتَّبيينُ)- لعيوبِ النُّطقِ، كما تناولَ بناءَ الكلمةِ العربيَّةِ ولاحظ أنَّ بعضَ الحروفِ لا يمكنُ أن تجتمعَ مع بعضِها في كلمةٍ واحدةٍ، كما ذكر أكثرَ الحروفِ ترداداً من خلال استقرائِه عدَّةَ خطبٍ وعدَّةَ رسائلَ، وكان بذلك متَّبعًا أحدثَ المناهجِ الَّتي تعتمدُ على أخذ عيِّنة منَ المادَّةِ اللُّغويَّةِ ودراستِها لاستخلاصِ النَّتائجِ والأحكامِ الَّتي يمكنُ تعميمُها.

* يعدُّ ابنُ جِنِّي أوَّلَ من نظرَ إلى المبحث الصَّوتيِّ على أنَّه علمٌ قائمٌ بذاتِه، وأنَّه أوّلُ منِ استعمل مُصطلحًا لُغويًّا للدّلالة على هذا العلم، وهو صاحبُ أوّلِ مُؤلَّفٍ مُستقلٍّ فريدٍ في علم الأصوات وهو كتابُ (سرُّ صناعة الإعراب)، فهو لم يكن جمْعًا لآراء السَّابقين وأفكارِهم، وإنَّما تميَّزَ بالإضافاتِ الجادَّةِ، تُعبّرُ عن نظرتِه العلميَّةِ الصَّائبةِ ودقّتِها الفائقةِ، وتبيّن أنَّها دراسةٌ لُغويَّةٌ مهمَّةٌ يجبُ على عالِمِ اللُّغة أن يضعَها في الاعتبار.

* لابنِ سينا أثرٌ واضحٌ في علم الأصواتِ في رسالتِه (أسبابُ حدوثِ الحرف) الَّتي بيَّن فيها: سببَ حدوثِ الصَّوتِ، وسببَ حدوثِ الحروفِ، وتحدَّثَ عن تشريح الحَنجرةِ واللِّسانِ، وبيَّن الأسبابَ الجُزئيّةَ لحرفٍ حرفٍ من حروف العربِ، وفي الحروفِ الشَّبيهةِ بهذه الحروفِ وليست في لُغة العرب، كما تحدَّث عن أنّ هذه الحروفَ من أيِّ الحركات غيرِ النُّطقيّةِ قد تُسمعُ.

---

(15) المصدر السَّابق، ج1/ ص 15.

(16) المصدر السَّابق، نفس الصَّفحة.

(17) ابن سينا، أبو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بنُ عَبد الله بنِ الحسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، أسبابِ حدوث الحروف، تح: محمَّد حسَّان الطيَّان- يحيى ميرعلم، تقديم ومراجعة: شاكر الفحَّام- أحمد راتب النَّفَّاخ، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، سورية، 1403هـ/ 1983م، ص 64- 71.

(18) المصدر السَّابق، ص86- 92.

(19) المصدر السَّابق، ص11- 12.

سَيِّدَةُ الْبَيَانِ



شعر/ عادل حمّاد سليم
شاعر وكاتب/مصر

قُلْ لِلْمَعَالِي بِوَجْهِهِ الْوَقَّادُ ... نُسُكُ الْهُيَامِ وَلِلْخَلاصِ عِمَادُ
لُغَةُ السَّماءِ عَلَى لِسَانِ مَشَاعِرِي ... لِحُرُوفِهَا أَلَقٌ تُسَمَّى الضَّادُ
لِيَ مِنْ عَطَاءِ اللهِ مُوسِيقَى السَّنَا ... إِيقَاعُهَا لِلْعَاشِقِينَ مِهَادُ
فِي عَبْقَرٍ لا جِنَّ يَسْكُنُ كَعْبَتِي ... هذا الْجُنُونُ الْعَبْقَرِيُّ رَشَادُ
الْعَامِرِيَّةُ إِذْ تُغَادِرُنِي ضُحًى ... وتُغَادِرُ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ سُعَادُ
فَأَنَا الْمُهَيَّأُ لِلصَّهِيلِ ... قَصِيدَتِي ... مَا رَامَهَا بَعْدَ الرَّحِيلِ سُهَادُ
قَشَّرَتْ عَنْ قَلْبِي الْكَآبَةَ فَازْدَهَتْ ... فِي نَبْضِهِ الآزَالُ وَالآبَادُ
قَالُوا: كَذُوبٌ. قُلْتُ: قَوْلٌ بَاطِلٌ ... أَشْدُو وَرَبُّ الصِّدْقِ لِي إِسْنَادُ
سَتَظَلُّ - سَيِّدَةُ الْبَيَانِ - فَرِيدَةً ... صَفَحَاتُها امْتَزَجَتْ بِهَا الأَضْدَادُ
الْخَوْفُ مَمْنُوعٌ عَلَيْهَا وِرْدُهُ ... وَتَقُودُ عَالَمَهَا وَلا تَنْقَادُ
خَطَّتْ عَلَى صَدْرِ الأَهِلَّةِ عِزَّهَا ... وَمَشَتْ وَرَاءَ لِوَائِهَا الأَمْجَادُ

لو قُلتُ فيها عَنْ جَزيلِ عَطَائِهَا ... خَجِلَ النَّدَى وَاسْترغَبَ الزُّهَّادُ
شمسٌ مَلاكٌ في المَسَاءِ تَزُورُني ... يَفْنَى عَلَى نَفَحَاتِهَا الإِجْهَادُ
قَمَرٌ رَسُولٌ بالنَّهَارِ مُتَوَّجٌ ... فَمُهُ المُنِيرُ شِعَارُهُ الإِسْعَادُ
عَنَتِ القُلُوبُ لِثَغْرِهَا ؛ فتَبَسَّمَتْ ... أَهْدَى إلَيْهَا عِطْرَهُ الإنْشَادُ
تَرتِيلَةٌ تَنْسَابُ فوق حُشَاشَتِي ... وَعَلَى سَجَاجِيدِ الرُّؤَى أَوْرَادُ
في حُبِّ من أهْوَى تُسَطِّرُ مُهْجَتي ... ودَمِي المُغَرِّدُ في السُّطُورِ مِدَادُ
أَوْدَعْتُ في رَحِمِ الحَيَاةِ كَرَائِمِي ... فَتَجَمَّلَتْ مِنْ حُسْنِها الأَعْيَادُ
وَتَرُ المَحَبَّةِ في فُؤَادِيَ وَارِفٌ ... رَغْمَ الْمَشِيبِ بِلَحْنِهِ جَوَّادُ
دُرَرُ الْمَعَانِي إِنْ تَمُدَّ سِرَاجَهَا ... قِمَمٌ تُوَلِّي شَطْرَهَا وَوِهَادُ
حَوْلِي مِنَ الغَاوِينَ رَبَّاتُ الشَّذَا ... مِنِّي إِلَى أَهْلِ الجَوَى عُوَّادُ
جَنَّاتُ عَدْنٍ فِي الضُّلُوعِ مَقَرُّهَا ... وَعَبِيرَهَا يَسْتَنْشِقُ الرُّوَّاد

المُخَصَّصُ لابْنِ سِيدَه أنموذجا

البَحْثُ الصَّرْفِيُّ فِي مَعَاجِمِ المَعَانِي وَدَوْرُهُ فِي صِيَاغَةِ المُصْطَلَحِ



عبد اللطيف الغزواني
باحث في المعجمية وعلم الدلالة

شكّلتْ معاجمُ المعاني مرحلةً متقدِّمةً في بَلْورةِ أُسُسِ الصّناعةِ المُعجميّةِ والمُصطلحيّةِ؛ إذِ اعتمدتْ تقسيماتٍ منهجيّةً، وتضمّنت جُملةً منَ الكفاياتِ الفنّيّةِ التي تُعينُ على صياغةِ مُصطلحاتٍ علميّةٍ تَستجيبُ لخصائصِ اللّغةِ العربيّةِ، وتُغنينا في كثيرٍ منَ الأحيانِ عن عملياتِ الاقتراضِ اللُّغويِّ والتّرجمةِ، ومن أهمِّ هذه المعاجمِ: المُخَصَّصُ لأبي الحسن عليّ بنِ سيدَه المُرسيّ المتوفى عام 458هـ.

والمخصَّصُ معجمٌ لُغويٌّ ضخمٌ يتألّفُ من سبعةَ عشرَ جُزءًا، (1) وضعَه ابنُ سيدَه مُرتَّبًا بحسبِ الموضوعاتِ بعد أن أتمَّ تأليفَ مُعجمِه الآخَرِ «المُحكَمُ والمحيطُ الأعظمُ»، والذي أقامَه على نظامِ الخليلِ. وقد آثرَ ابنُ سيده ألّا يكونَ المُخَصَّصُ مُعجمًا لُغويًّا صِرفًا، وإنّما أرادَ له أن يكون جامعًا لكلّ ما يَمتُّ إلى المادّةِ اللُّغويةِ بسببٍ، فكان أن وضعَ فيه مباحثَ وقضايَا صَرفيّةً، نثرَ بعضًا منها في ثنايا الشُّروحِ، وأفردَ للبعض الآخرِ أبوابًا مستقلّةً، فاستطاع بفضل ملَكتِه الصّرفيّةِ وحِسِّه الاجتهاديِّ أن يُوجِدَ إمكانياتٍ مُصطلحيّةً عديدةً، مُنطلقًا في ذلك ممّا اتّفق عليه الصّرفيّون من مبانٍ صَرفيّةٍ، بل ومُتجاوِزًا لها في بعض الأحيان.

1. منزلةُ المُصطلحِ في معاجمِ المعاني

لسْنا بحاجةٍ في هذا المقامِ إلى التّعريف بالمُصطلحات، وذكرِ ما يُميّزُها عن ألفاظِ اللُّغةِ العامَّةِ، غيرَ أنّه يجدرُ بنا أن نُشيرَ إلى أهمِّ هذه الفروقِ؛ وهي أنَّ المُصطلحاتِ ألفاظٌ ضيِّقةُ الدّلالةِ، لكلِّ واحدٍ منها مفهومٌ خاصٌّ وثابتٌ

1 – اعتمدنا في هذا البحث على طبعة المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق، الصادرة بمصر سنة 1904م.

في مجالٍ معيَّنٍ، بينما الألفاظُ مُتعدّدةُ الدّلالةِ، وتتغيّرُ معانِيها بحسبِ تغيُّرِ السّياقِ الذي تردُ فيه. وهذا يعني أنَّ المُصطلحاتِ ألفاظٌ عامَّةٌ في الأصل، تحدّدتْ دلالاتُها نتيجةَ اتّفاقِ الجماعةِ اللُّغويّةِ، مع بقاءِ العلاقةِ بين المعنى اللّغويِّ العامِّ لكلِّ لفظٍ، وما نتجَ عنه من مفهومٍ مصطلحيٍّ خاصٍّ، وتتدخلُ مجموعةٌ منَ الخصائص في دقّة المفهوم الذي يُعبِّرُ عنه كلُّ مصطلحٍ، أبرزُها خصائصُه الصّرفيّةُ والنَّحويّةُ.



ويتميّزُ المُخَصَّصُ، على غِرارِ سائرِ معاجمِ المعاني، بترتيبِه للمفرداتِ وَفْقَ حقولٍ دَلاليّةٍ، حيث يَشرعُ ابنُ سيدَه بذكرِ الحقلِ الدّلاليِّ ثم يُفرِّعُ عنه المفرداتِ والتّراكيبَ التي تنتمِي إليه وتتشعّبُ عنه، ضِمنَ أبوابٍ متفرّقةٍ ومواضيعَ كثيرةٍ، وهذا مُماثِلٌ إلى حدٍّ كبيرٍ لمنهجيةِ التّأليفِ في المعاجمِ المُختصّةِ التي وُضعت للمُصطلحاتِ، حيث يكونُ المنطلقُ في تعريفِ المُصطلحِ منَ المفهومِ إلى اللّفظ، خلافًا للمعاجمِ اللُّغويّةِ التي ينطلقُ التّعريفُ فيها منَ اللّفظ إلى الدّلالةِ المُعجميّةِ.

2. مظاهرُ البحثِ الصّرفيِّ في المُخَصَّص

منذُ الوَهلةِ الأُولى، تُطالعُنا مقدمةُ المُخصَّص بالعديدِ منَ المُؤشّراتِ الدّالَّةِ على شَغَفِ ابنِ سيدَه بعلم الصّرفِ؛ ومن ذلك: ما لاحظَه من قصورٍ للمعاجمِ اللّغويّةِ في الاعتناء بهذا العلم، إذ يقول: «ثم إني لمْ أرَ لهم فيها كتابًا مشتمِلًا على جُلِّها فضْلًا عن كُلِّها مع أنِّي رأيتُ جميعَ من مدَّ إلى تأليفِها يَدًا، وأعْمَلَ في توطِئَتِها وتصْنيفِها منهم ذِهْنًا وخَلَدًا، قد حُرِمُوا الارتياضَ بصناعة الإعرابِ، ولم يرفَعِ الزَّمَنُ عنهم ما أُسدِلَ عليهم من كثيفِ ذلك الحِجابِ (...) إلى غير ذلك من قوانين التَّصريف التي جَفَت أذهانُهم عن رِقَّتِها، وغَلُظَتْ أفهامُهُم عن

لُطفِها ودِقَّتِها». (2) ونجد الأمرَ نفسَه يتكرّرُ في مقدّمة المُحكَم، حينما أشارَ إلى وجودِ أخطاءٍ صَرفيّةٍ كثيرةٍ في مُصنّفات سابقِيه، وعقَّب عليها بنوعٍ منَ الفخرِ والعُجب قائلا: «وهل يقومُ بانتقاد هذا النّوعِ إلّا مِثلي، من ذوي الحفظِ الجليلِ، والاضطلاعِ بعلم النّحوِ وصناعةِ التّحليل، وإن كنتُ بين حُثالةٍ جَهلت فضْلِي، وأساءَ الدَّهرُ جَمْعَهُم بمِثلي» (3).

فضلًا عن ذلك، نجدُ في مقدّمةِ المخصَّص العديدَ منَ المصادرِ الصّرفيّةِ التي ارتضاها ابنُ سيدَه، وجمعَ منها مادّتَه، وجُلُّها عبارةٌ عن أصولٍ مشرقيّةٍ، ومن أهمِّ هذه المصادرِ: «كتابُ سِيبَويه» لأبي بِشر عَمرِو بنِ عثمان بنِ قَنبر (ت180هـ)، وكتابَا «الإبدال» و«المقصورِ والممدودِ» لأبي يوسف يعقوبَ بنِ السِّكّيت (ت244هـ)، و"الإيضاحُ" لأبي عليّ الفارسي (ت377هـ)، و«الإغفالُ» له أيضًا، وكتابَا «الخصائصِ» و«سرِّ صناعة الإعرابِ» لأبي الفتح عثمانَ بنِ جِنيّ (ت392هـ)، وغيرُها، فهذه أهمُّ مصادرِ علم الصّرفِ التي اعتمدَها ابنُ سيدَه، وعليها كان العملُ في متن مُعجمِه، وكلُّها مطبوعةٌ.

وعلى الرُّغم من أنّ ابنَ سيدَه لم يُؤلّفْ كتابًا خاصًّا بعلمِ الصّرفِ أوِ النّحوِ، فإنّ سيرتَه تكشفُ لنا تَلْمذتَه على بعضِ الشّيوخِ المَهَرةِ في هذا العلمِ، أوَّلُهم أبوه إسماعيلُ بنُ سيدَه الذي أخذَ بدوره النَّحوَ عن أبي بكرٍ الزُّبَيْدِيّ، وكان، كما يقول ابنُ بشكُوال في الصِّلَة: «ضريرًا، منَ النُّحاةِ، ومن أهل المعرفةِ والذَّكاءِ»(4)، ثمّ اللُّغويّ المَشرقيُّ أبو العلاء صاعدُ بنُ الحسن الرَّبَعِيُّ البغداديُّ (5)، الذي قدِمَ منَ المشرق إلى الأندلس أيّامَ هشامِ بنِ الحكَم المؤيَّدِ وولايةِ المنصور أبي عامر، في حدود الثّمانين وثلاثِمئة.

وبالإضافة إلى الأبوابِ التي أفردَها ابنُ سيدَه لمباحثَ من علمِ الصّرفِ، نجدُه قد تتبّعَ شواردَ العديدِ من المسائلِ الصّرفيّةِ وبثَّها في مُعجمِه، إما لتأصيلِ صِيغةٍ صَرفيّةٍ، أو تحريرِ مصطلحٍ، وذلك لِوَعْيِه بوثاقةِ العلاقةِ بين مباني المُفردات وبين معانِيها التي تدلُّ عليها، وكان أكثرَ نقْلِه عن سِيبَويهِ وأبي عليّ الفارسيّ وأبي سعيدٍ السّيرافيّ، فنحن نذكرُ بعضَ هذه المسائل، على سبيل المثال لا الحصرِ، مع الإشارة إلى مواطنِها في المُخصَّص.

2.1 - المِيزانُ الصّرفيُّ

المِيزانُ الصّرفيُّ مقياسٌ تُعرف به أحوالُ بِنية الكلمةِ؛ فإن تألّفت من ثلاثة حروفٍ أصولٍ جُعل مقابلًا لها (ف ع ل)، على أن يكون شكلُ الوزن موافقًا لشكلِ الكلمةِ الموزونةِ، ومتى ما زيدتِ الكلمةُ على ثلاثةِ أحرُفٍ، زيدَ في وزنها بحسبِ طبيعةِ الحروفِ المَزيدةِ، ومنَ الأوزانِ التي بيّنَها ابنُ سيده: أوْلَق "فَوْعَل" من أَلِقَ (ج3/53)، وزنُ كلمة «غُرْنَيْق» (ج8/163)، وزنُ كلمة «رِيحٌ» (ج9/83)، وزنُ كلمة «تَلَوَّى» (ج10/25)، أصلُ كلمة «شاةٌ» (ج7/176)، وزنُ كلمة «مَسيلٌ» (ج10/107)، الخ.

2.2 - الجُمُوعُ

الجمعُ في اللُّغة ما دلَّ على أكثرَ منَ اثنين، وهو ثلاثةُ أنواعٍ: جمعُ مذكرٍ سالمٌ، وجمعُ مؤنثٍ سالمٌ، وجمعُ تكسيرٍ تُكسر فيه الكلمةُ ويُغيّر أصلُها ولا يُعتمدُ في ذلك على قاعدةٍ ثابتةٍ، ومنَ الجموعِ الصّعبةِ التي بيّنَها ابنُ سيدَه في معجمِه: جمعُ

2 – علي بن سيده (أبو الحسن)، المخصَّص، ج1/7.

3 – علي بن سيده (أبو الحسن)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج1/37.

4 – الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدِّثيهم وفقهائهم وأدبائهم، لأبي القاسم خلف بن بَشكُوال، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2010، ج1/161.

5 – ترجم له الحميدي في جذوة المقتبس، ص345، والضبّي في بغية الملتمس، ص413، وابن بسام الشنتريني في الذخيرة، 8/4.



كلمةِ «عيرٌ» (ج7/131)، وجمعُ القلّة «جَدْيَةٌ» (ج7/143)، وجمعُ التّكسيرِ فَعيلٌ فُعَّلٌ (ج8/96)، وجمعُ كلمةِ «فُلْك» (ج10/23)، وجمعُ كلمةِ «أَصِيلٌ» (ج9/57)، وجمعُ كلمةِ «دَوْلَقٌ" على "أَدْقَال» (ج10/24).

2.3 - الإِبْدَالُ

تحدّثَ ابنُ سيدَه في مخصّصِه عنِ الحروف الثلاثةَ عشرَ التي يلحقُها الإبدالُ، وبيَّنَ لمَ كانت هذه الحروفُ أحَقَّ به من باقي حروفِ المعجمِ، مُؤثِرًا في ذلك الإيجازَ والاختصارَ، ومُعضِّدا له بأمثلةٍ عديدةٍ نذكرُ منها: كلمةَ «عِلِيانَةٌ» (ج7/60)، وإبدالُ الهاء همزةً في كلمة «ماء» (ج9/130)، وإبدالُ الهمزة واوًا في «الوِشاح» (ج4/98)، وإبدالُ الواو منَ الهمزة في "وزير" (ج3/137).

2.4 - القَلْبُ

بيّنَ ابنُ سيده الفرقَ بين القلْبِ والبدلِ، فقال: «والفرقُ بين البدَل والقلْبِ في الحروفِ أنّ القلْبَ يجري على التّقدير في حروفِ العلّةِ ومناسبةِ بعضِها لبعضٍ وشِدَّةِ تقارُبِها، فكأنَّ الحرفَ نفسَه انقلبَ من صورةٍ إلى صورةٍ، إذا قلت: قامَ، والأصلُ قَوَمَ، فكأنّه لم يُؤْتَ بغيره بدلًا منه؛ لأنّ شدّةَ المقاربة للنّفس بمنزلة النّفسِ، فهذا في حروفِ العلّة، فأمّا في غيرها فيُجرَى على البدَل لتباعُدِ ما بين الحَرفَيْن، فلم يجبْ أن يُجرَى مَجرَى ما يتقاربُ التّقارُبَ الشّديدَ، بل وجبَ فيما تقاربَ أن يُقَدَّرَ أنّه لم يخرجْ منَ التّغيير عنه، فلذلك أُجرِيَ على طريقةِ القلب، فأمّا ما تباعدَ فيقتضِي الخروجَ عنه في التّغيير، وهذه الفروقُ الدقيقةُ بين هذه المعاني لا تكادُ تجدُ من يقِفُ عليها ويُذاكِرُك بها، فلا يُوحِشْك ذلك منها، فإنَّ من جهل شيئا عاداه» (6). ومنَ الأمثلةِ التي ساقَها في مُعجمِه: قلبُ الواو ياءً في «شَغْيَاء» (ج1/150)، وقلبُ الياءِ ألِفًا في «فَتَى» (ج1/37)، وشاةٌ مقلوبٌ عن شَائِهٍ (ج1/116)، ومَهْوٌ فَلْعٌ مقلوبٌ عن مَوْهٍ (ج5/46)، الخ.

3 - أثرُ البحثِ الصّرفيِّ في صياغةِ المُصطلح

قد لا نعجبُ منَ النّظرةِ المُصطلحيّةِ المتقدّمةِ لابن سيدَه إذا ما علمْنا أنه أقامَ مُعجمَه الآخرَ "المُحكَم والمحيط الأعظم" على نظام الخليل بنِ أحمد (ت175هـ)، ونحنُ نعلمُ أنّ الفراهيديَّ كان يرمِي من تأليف مُعجمِه "العَيْن" إلى ضبطِ اللغة وحصْرِها، مُعتمدًا في استقصاءِ جميعِ كلماتِ اللُّغةِ على ما اصطلحَ عليه بالمُهمَل والمُستعمَل، ومن ثمّةَ يكون ابنُ سيدَه على وعيٍ بضرورةِ حصْرِ جميعِ الصُّورِ الصّرفيّةِ المُمكنةِ، والتي تندرجُ في إطارِ

6 – المخصَّص، ج13/267.

«المُهمَل» مِنَ الصِّيَغ، وتوظيفِها في الصّناعةِ المُصطلحيّة كلّما دعتِ الضّرورةُ إلى ذلك.

وسنسوقُ في هذا المبحثِ ما نقيمُ به الدّليلَ على أهميّةِ المباحثِ الصّرفيّةِ التي أشار إليها ابنُ سيدَه في صياغةِ المُصطلحِ، لاسيما ما تعلّق منها بمسألةِ الاشتقاقِ، ومدى قُدرةِ الأوزانِ الصّرفيّةِ العربيّةِ على تأديةِ المعانِي والمفاهيمِ العلميّةِ الحديثةِ، والانتقالِ بالمفرداتِ من ألفاظِ اللّغةِ العامّةِ إلى المُصطلحاتِ.

3.1 - حصرُ الإمكانيّاتِ الصّرفيّةِ في بابِ المقصورِ والممدودِ

استهلّ ابنُ سيدَه بابَ المقصورِ والممدودِ بالحديثِ عن تفريعاتِه، فجعلَه على ضَربيْن: قياسِيّ وسماعِيّ. فأمّا الأوّلُ، فإما مقصورٌ فقط، أو ممدودٌ فقط، وليس فيه ما يُمَدُّ ويُقْصَرُ معا، وأمّا الثاني، فعلى ثلاثةِ أضْرُبٍ: مقصورٌ لا يُمَدُّ، وممدودٌ لا يُقصَر، وضربٌ ثالثٌ يُمدّ ويُقصَر معا، ثمّ شرع في الحديثِ عن مقاييسِ استعمالِ كلِّ بناءٍ من هذه الأَبْنِيَةِ الصَّرفيّةِ، بعد أن أحصَاها وعَدَّها عدًّا، وهي ثمانون بناءً من أبنيةِ المقصورِ، وخمسون بناءً من أبنيةِ الممدودِ، ليوفِّر بذلك قاعدةَ معطياتٍ صَرفيّةٍ كبيرةٍ تساعدُ على صياغةِ مصطلحاتٍ جديدةٍ وَفْقَ الأصولِ الصَّرفيّةِ العربيّةِ (7).

3.2 - إقرارُ بناءِ "فَعَّالٍ« للدّلالة على الصّنائعِ والحِرَفِ، و"فاعِلٌ« لما ليس كذلك

يقول ابنُ سيدَه: «وقد فرّقَ حُذّاقُ النّحويّينَ بينهما



ابن السكيت

تفريقًا لطيفًا (أي بين فَاعِلٍ وفَعَّالٍ)، فقالوا: البابُ فيما كان ذا شيءٍ وليس بصَنعةٍ يعالجُها، أن يجيءَ على فاعلٍ؛ لأنّه ليس فيه تكثيرٌ، كقولنا لذي الدِّرْعِ دَارِعٌ، ولذي النَّبْلِ نَابِلٌ، ولذي النُّشَّابِ ناشِبٌ، ولذي التَّمْرِ واللَّبَنِ تَامِرٌ وَ لابِنٌ، وقالوا لذي السّلاحِ سالِحٌ ولصاحب الفَرَسِ فارِسٌ، وقالوا لصاحبِ النَّعْلِ نَاعِلٌ، ولصاحبِ الحِذاءِ حَاذٍ، ولصاحبِ اللّحم لَاحِمٌ، ولصاحب الشَّحم شَاحِمٌ. والبابُ فيما كان صَنْعةً ومُعالجةً أن يجيءَ على فَعَّالٍ، لأنَّ فعَّالًا لتكثير الفعلِ، وصاحبُ الصَّنْعَةِ مُداوِمٌ لصنعتِه، فجُعِلَ له البناءُ الدَّالُّ على التّكثير كالبَزَّارِ والعَطَّارِ وغيرِ ذلك ممّا لا يُحصَى كثرةً» (8)، ثم نبَّهَ ابنُ سيدَه إلى ضرورةِ التّحوُّطِ في استعمالِ وزنِ «فَعَّالٍ» عند إرادةِ التَّعبير عن الصّنائعِ والحِرَف، مُستدلًّا بقول سيبَويه: «وليس في كلِّ شيءٍ من هذا قيلَ هذا؛ ألا ترى أنّك لا تقولُ لصاحبِ البُرِّ: بَرَّارٌ، ولا لصاحبِ الفاكهةِ : فَكَّاهٌ، ولا لصاحبِ الشَّعيرِ: شَعَّارٌ، ولا لصاحبِ الدّقيقِ : دَقَّاقٌ، وإنّما يُقالُ لصاحب الدّقيقِ: دَقيقِيٌّ» (9).

7 – المرجع نفسه، ج15/96.
8 – المرجع نفسه، ج15/70.
9 – نفسه.

3.3 - إقرارُ صيغةِ «فُعِلَ» للدّلالةِ على الأمراضِ التي تصيبُ النّباتَ

أفردَ ابنُ سيدَه في مُعجمِه بابًا لِما جاء منَ الأفعال على صِيغةِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه، وهذا البابُ على ضَربَيْن: «فمنه ما لا يُستعملُ إلّا على تلك الصِّيغةِ كعُنيتُ بحاجتِك، ونُفِسَت المرأةُ، ومنه ما تكون عليه هذه الصّيغةُ أغلبَ، وقد يُستعملُ بصيغةِ ما سُمِّيَ فاعلُه، كَزُهِيتَ علينا، فإنّ ابنَ السِّكِّيت حَكَى: زَهَوْت» (10)، ثم ذكرَ ما استُعمِل منَ الضّربيْن معا للدّلالة على ما يصيبُ الإنسانَ والدَّوَابَّ منَ الضّعفِ والأسقام، ومن ذلك (11): وُعِكَ الرجلُ: حُمَّ، وعُقِمَت المرأةُ: إذا لم تَحْبَلْ، وفُلِجَ الرّجلُ: منَ الفالِج، ولُقِيَ الرّجلُ: منَ اللَّقْوَة، وعُدِسَ الرّجلُ: أصابتْه عَدَسَةٌ، وهي بَثْرَةٌ قاتلةٌ كالطاعون، وسُعِفَ الرّجلُ: أصابته سَعْفَةٌ، وهي قُرْحَةٌ، ورُمِعَ الرجلُ: أصَابَه الرُّمَاعُ وهو داءٌ في البطن يصْفَرُّ منه الوجهُ، وحُصِيَ الرجُلُ: أصابتهُ الحَصاةُ: وهو داء يقعُ في المثانة.

هكذا إذًا تنبَّه ابنُ سيدَه إلى الدّلالةِ الوظيفيّةِ التي يفيدها هذا البناءُ، فاستخدمَه في صياغةِ مُصطلحاتٍ تدلُّ على الأمراضِ التي تصيبُ النّباتَ، ومن ذلك قولُه: شُقِرَ النّباتُ، ورُسِعَ الزّرعُ، وهُدِلَ اللّوزُ، وكُشِتَ الكتّانُ، الخ. وهذا يدلُّ على إمكانيةِ توظيفِ الأبنيةِ الصّرفيّةِ المُتوفّرةِ في اللُّغةِ العربيّةِ من أجل تسميةِ المفاهيمِ للمُصطلحاتِ الطّارئةِ؛ لأنَّ المُصطلحَ، كما يقولُ الفاسِي الفِهريّ، «لا يُخلَقُ، بل يُستعادُ من مكمونِ اللُّغة ليصبحَ متداوَلًا ومُستعمَلًا بالفعل» (12).

3.4 -إقرارُ صِيغةِ «مُفَعْلَلَة» للدّلالةِ على أسماءِ الأماكنِ التي تكثرُ فيها الحيواناتُ والنّباتاتُ

من بين الطّرقِ المُعتمَدةِ في توليدِ مُصطلحاتٍ جديدةٍ، ما اصطُلِحَ عليه في الدّراساتِ المُصطلحيّةِ الحديثةِ بالتَّوليدِ الشَّكليِّ أو الصُّوريِّ، ويُقصدُ به خلقُ شكلٍ أو دالٍّ لُغويٍّ جديدٍ يحملُ معنًى مُعجميًّا جديدًا، طِبقًا للإمكانياتِ التي يُتيحُها النّظامُ اللُّغويُّ للعربيّةِ، وبتوظيفِ أدواتٍ لسانيّةٍ مُتعدّدةٍ كالاشتقاق والتّعريبِ والنّحتِ. وهو قسمان: التّوليدُ الصّرفيُّ، والتّوليدُ التّركيبيُّ (13).

وقد اعتمدَ ابنُ سيدَه التَّوليدَ الصَّرفيَّ في صَوْغِ مُصطلحاتٍ جديدةٍ من خلال تغييرِ البِنيةِ الصّرفيّةِ للكلمةِ عن طريقِ الاشتقاقِ، فعلى سبيلِ المثالِ، نجدُ أنّ الصّرفيّين قدِ اتّفقُوا على اشتقاقِ أسماءِ الكثرةِ منَ الأسماءِ الثّلاثيّةِ على صِيغةِ «مَفْعَلَةٌ»، وذلك نحوَ قولِ العرب: مَسْبَعَةٌ ومَأْسَدَةٌ ومَذْأَبَةٌ للدّلالةِ على الأرضِ التي تكثُرُ بها السِّباعُ والأُسْدُ والذِّئابُ، ولم يُقيمُوا نفسَ الصّيغةِ الصّرفيّةِ فيما جاوزَ ثلاثةَ أحرُفٍ منَ الأسماء، قال سِيبَويه: «ولم يجيئُوا بنظيرِ هذا - أي مَفْعَلَةٌ - فيما جاوزَ ثلاثةَ أصولٍ نحوَ الضّفدَع والثَّعْلَب؛ كراهيةَ أن يثْقُلَ عليهم، ولأنّهم قد يستغْنونَ بأن يقولُوا: كثيرةُ الثّعالبِ ونحوُ ذلك، وإنما اختصُّوا بها بناتِ الثّلاثةِ لخفَّتِها» (14)، أمّا ابنُ سيدَه، فاقترحَ فيما جاوز ثلاثةَ أحرُفٍ منَ الأسماء أن يجيءَ منه لفظُ المصدر على اسمِ المفعول؛ ليكونَ نظيرَ المَفْعَل الذي يجيءُ في

---

10 - المرجع نفسه، ج15/72.

11 - المرجع نفسه، ج15/73.

12 - عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر، البيضاء، ط1، 1998، ص142.

13 - يختلف التوليد الصوري عن التوليد الدلاليّ الذي يُقصد به إحياء الوحدات المعجميّة القديمة بعد إفراغها من مفهومها القديم الذي تحمله، وشحنها بالمفهوم الجديد.

14 - عَمرو بن عثمان بن قَنبر، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982، ج2/249.

الثّلاثيّ، فنقول بذلك: أرضٌ مُثْعَلَبَةٌ، وأرضٌ مُعَقْرَبَةٌ؛ أي كثيرةُ الثّعالبِ والعقاربِ، وبهذا تستطيعُ العربيّةُ العصريّةُ التي تحتاجُ إلى مُصطلحاتٍ حديثةٍ تدلُّ على أسماءِ الأماكنِ التي تكثرُ فيها الحيواناتُ والنّباتاتُ أن تتجاوزَ هذه العقبةَ الصّرفيّةَ اعتمادًا على ما أجازَه المُخصَّص.

3.5 -التّأصيلُ الدّلاليُّ لبعضِ الألفاظِ استنادًا إلى صِيَغِها الصّرفيّة

أبدى ابنُ سيدَه ملاحظاتِه على مجموعةٍ منَ الألفاظ، لافتًا النّظرَ إلى وجه الخطأِ والصّوابِ في صِيَغِها الصّرفيّةِ، وإلى اشتقاقاتِها السّليمةِ، ومُوضِّحًا في الآن ذاته دلالاتِها اللّغويّةَ، والتي تُشكّلُ مفهومَ المُصطلحِ المُتأتّي منها، وهذه بعضُ الأمثلة:

1 -فَيْئَةٌ

الفَيْئَةُ: «طائرٌ منَ الجوارح يُشبهُ العُقابَ، فإذا خاف البرْدَ انْحدَرَ إلى اليَمَن» (15)، وعزا ابنُ سيدَه سببَ التّسميةِ إلى الفيءِ، فقال: «هو منَ الفَيْءِ: وهو الرّجوعُ، وكأنّها مخفَّفَةٌ من فَيْعِلَة»(16).

2 - الطَّيْلَسَانُ

نقل ابنُ سيدَه تعريفَ ابنِ دُريدٍ للفظ «الطَّيْلَسَان" في باب «الطَّيالِسَة والأكسِيَة ونحوِهما»، فقال: «الطَّيْلَسَانُ بفتح اللّام وكسرِها والفتح أعلى: ضرْبٌ منَ الأكسِيَة، ويقال له في بعض اللُّغات طَيْلَس» (17)، لكنه ردَّ روايةَ الكسرِ قائلًا: «طَيْلِسان بالكسر نادر، وقد نفى سِيبَويه أن يكون فَيْعِلَ إلا في المُعتلّ، ولذلك لم يَرَ محمدُ بنُ يزيدَ أن يرخّم رجلًا اسمُه طَيْلَسان فيمن قال يا حارِ؛ لأنه يبقى طَيْلِس، والذي عندي أنّ الزّيادةَ التي فيه سوَّغَتْ ذلك؛ لأنه قد يجيءُ بالزّيادة ما لا يجيءُ دونَها، ألا ترَى أنّ سِيبَوَيه قال: ليس في الكلام فَيْعُل، ونحن قد رَوَيْنا قولَ الأعشى: ... ومَا أَيْبُلِيٌّ عَلَى هَيْكَلٍ» (18).

3 - الخُمَالُ

نفى ابنُ سيدَه أن يكونَ لفظُ الخُمال مشتقًّا من خَمُلَ، كما ذهب إلى ذلك أبو زيدٍ الأنصاريُّ، وإنما خُمِلَ، فقال: «أبو زيد: "الخُمالُ: داءٌ يأخُذ في مفاصل الإنسان، وقد خَمُلَ، (على) القياسِ خُمِلَ» (19)، وهذا صحيح؛ لأنّ داءَ الخُمال يُصيبُ مفاصلَ الإنسان، والقياسُ أن يكون الفعلُ المشتَقُّ منه مَبنيًّا للمجهول.

يتميّزُ المُخَصَّصُ، على غِرارِ سائرِ معاجمِ المعاني، بترتيبه للمفرداتِ وَفْقَ حقولٍ دَلاليّة

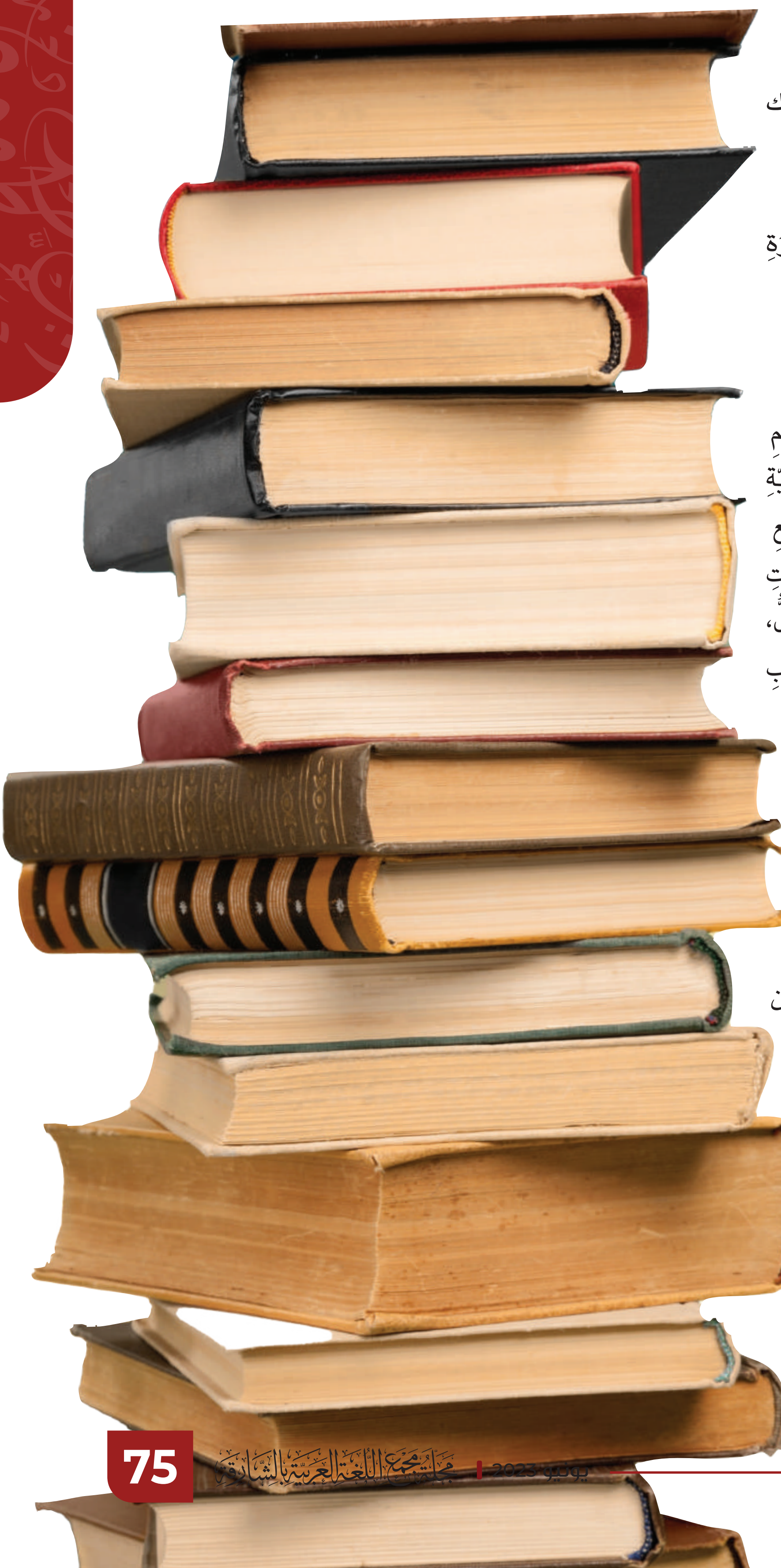
4 - الطُّحْلُبُ

الطُّحْلُبُ اسمٌ للخُضْرَة الرّقيقةِ التي تَعْلو الماءَ منَ القِدَمِ، وذكرَ ابنُ سيدَه أن ابنَ دُريدٍ جعلَ اشتقاقَ

---

15 – المخصَّص، ج8/148.
16 – نفسه.
17 – المرجع نفسه، ج4/78.
18 – نفسه. والبيت من ديوان الأعشى، وعجُزه: بَنَاهُ وَصَلَّبَ فيهِ وَصَارَا.
19 – المرجع نفسه، ج5/68.
20 – المرجع نفسه، ج2/452.

اسمَي الفاعلِ والمفعولِ منه على طَحِلٌ ومَطْحَلَةٌ، وليس مُطَحْلِبَةٌ ومُطَحْلَبَةٌ، لكنّه ردَّ ما ذهبَ إليه ابن دُريدٍ لمخالفتِه القياسَ، فقال: «هذا الذي قاله ـ أي ابن دريد ـ خطأ، لا يُستعملُ فَعِلٌ من ذوات الأربعةِ؛ لأنَّ في ذلك حذفَ الأصول، وقد حَجَرَ عليه سِيبَوَيه، فإذًا ليس المَطْحَلُ من الطُّحْلُبِ، كما ذهبَ إليه، وإنّما هو منَ الطُّحْلَةِ؛ وهو لونٌ بيْنَ الغُبْرَةِ والسَّوادِ» (20).



خاتمةٌ

كشفتِ الدّراسةُ عن مدى شَغَفِ ابنِ سيدَه بعلمِ الصّرفِ، وإيرادِه مجموعةً منَ المسائلِ الصّرفيّةِ في مخصَّصِه، والتي حاولَ استثمارَها في وضْعِ مُصطلحاتٍ جديدةٍ، ووُجودُ هذه المُصطلحاتِ ضِمْنَ مُعجمٍ لُغويٍّ يُعنَى بمعاني الألفاظِ لا يدلُّ، كما يقول محمّد رشاد الحمزاويُّ، «على اضطرابِ المؤلِّف، بل تُعتبرُ طريقةً يدعُو فيها ابنُ سيدَه المُختصّين من أهلِ اللُّغةِ والعلوم إلى التّنبيهِ إلى جميعِ الإمكانياتِ الصّرفيّةِ التي تستطيعُ أن تُساعدَهم على استعمال الصّيغِ والأوزانِ الصّرفيّةِ لوضعِ مُصطلحاتٍ علميّةٍ جديدةٍ لم يُعبِّرْ عنها المُخصّص نفسُه» (21)، ومن ثمّةَ، فالاستعانةُ بما وردَ في معاجمِ المعانِي من بحثٍ صرفيٍّ سيساعدُ حتمًا اللُّغةَ العربيّةَ على مواجهةِ العديدِ منَ الإشكالاتِ المُصطلحيّةِ التي تواجهُها في عصرِنا الرّاهنِ، لا سِيَما ما تعلّقَ منها بالمُصطلحاتِ العلميّةِ والتّقنيّةِ.

---

21 – محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1986، ص127.

صَخَبُ الشُّعُورِ

شعر/فاطمة عبد اللطيف
عضو اتّحاد الأدباء العامّ/السّودان

أصواتُ رِيحٍ لا تُريحُ القارِبَا ... نحتتْ على خدِّ الشُّعورِ مَسارِبَا
قد جفَّ لحنٌ في الكمانِ معلّقٌ ... مذ فرَّ من نوتاتِ صمتي هاربَا
منذ اقتنعتُ بأنّ حُسنَكَ نادرٌ ... طُفتُ المجازَ مَشارِقًا ومغاربَا
فوصلتُ للمعنى القَصِيِّ بفكرةٍ ... فيها المنابعُ تستفزُّ الشارِبَا
فيها الصبابةُ تنتشي من نظرةٍ ... تسري على الحسِّ البهيِّ كهاربَا
أستأنسُ الحزنَ الذي يجتاحني ... إنْ قَسَّتِ الدّنيا عليَّ أقاربَا



لن أكتفي بالصمتِ حرفي صاخبٌ … كم ذا ينالُ من البريقِ مآربا

أشعلتُ في هذا الشِّتاءِ حرائقًا … منذ ابتكرتُ معاطفًا وجواربَا

ألقيتني في اليَمِّ دون هَوَادةٍ … لم ألتقِ خِلًّا سواك مُحاربَا

أتخالني سأخافُ من موجٍ ولي … حوتٌ تعلّمَ من سوايَ تَجارِبَا

سَبَّحْتُ بالآمالِ شَفَّتْ مُهجتي … وأعدتُ بالأضواءِ حُلْمًا غاربًا

أجّلتُ إشراقي لِصُبْحٍ قادمٍ … حتى أبارزَ بالضِّيَاءِ عَقارِبَا

للبحر أهديتُ المدى وأحبّتي … لم يمنحُوا هذا الغريقَ قواربَا

البَلاغةُ العَربيةُ المُفترى عَلَيهَا

نحوَ قِراءةٍ مُتأمِّلةٍ في أصولِ البَيَانِ العَربيّ

سارتِ البلاغةُ العربيّةُ وَفقَ منهجِ البلاغةِ في تاريخ الأمم؛ حيثُ ارتبطتْ بالنّصوصِ المقدّسةِ، أو ما يُصطلحُ عليه بـ «البلاغةِ العاليةِ»، ولم تهتمَّ البلاغةُ عامّةً، والبلاغةُ العربيّةُ خاصّةً بالخِطاباتِ، التي اهتمَتْ بها بعضُ الدّراساتِ الأُسلوبيّةِ، مثلُ ما أسّسه «شارل بالي»... وغيرُهُ منَ الدّارسين المُهتمّين بتحليلِ الخطاب.

وظلَّ المُشتغلونَ الجُددُ بالدّرسِ البلاغيِّ يَتّهمون البلاغةَ العربيّةَ بالقُصورِ والبُؤسِ، داعينَ إلى مناهجَ تطوّرتْ في سياقٍ تاريخيٍّ وحضاريٍّ مُختلفٍ، ثم وضعُوا البَيانَ العربيَّ في قفصِ الاتّهام داعين إلى أنْ تُستَبْدَلَ بِهِ قوالبُ استوردُوها جاهزةً... وغيرِ ذلك من دعاوى تجديدِ البلاغةِ العربيّةِ.



د. عبد اللّه علمي
باحث أكاديمي/ المغرب

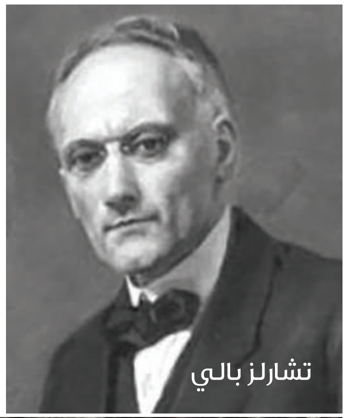
وانتهى بهمُ الأمرُ إلى أن أصدرُوا الحكمَ على البلاغةِ العربيةِ بالإعدام، ثمّ قدّمُوا في كُتبِهم مُقدّماتٍ نظريةً لحُججٍ تاريخيّةٍ تناصرُ وجهةَ نظرِهم، وظلُّوا يردّدون أنّ البلاغةَ العربيّةَ لم تعُدْ قادرةً على قراءةِ النّصّ بلْهَ تحليلَ الخطابِ، لكنَّ نظرتَهم تجاهلتْ أنَّ القالَبَ المُستورَدَ بدورِه أصبحَ مُتجاوَزًا ببزوغِ نظرياتٍ جديدةٍ في تحليلِ الخطابِ من محلِّ الاستيرادِ، وأنّ تَرجماتِهم التي قدّمُوها في قالَبِ البلاغةِ الجديدةِ، دفعتْهُم لحكمٍ ابتدائيٍّ صادرٍ عن قراءاتٍ سريعةٍ لتاريخِ البلاغةِ العربيّةِ؛ حيث انشغَلُوا كثيرًا بالصّياغاتِ البلاغيّةِ القديمةِ، وبالشّروحِ والمُقرّراتِ المُيسّرةِ، دونَ التّأمُّلِ في أصولِ البيانِ العربيِّ.

فما قدّمَه عبدُ القاهرِ الجُرجاني (ت 471 هـ) مثلًا في تحليلِ بعضِ الظّواهرِ البلاغيّةِ، والإلماحِ إلى ما سمّاه الأسرارَ ينتصبُ شاهدًا قويًّا يدفعُنا إلى تقديمِ مُلتمسِ النّقضِ لما أسّس عليه أصحابُ البلاغةِ الجديدةِ نظرَتَهم، كما أنَّ مشروعَ يوسف السّكّاكي (ت 626هـ) البلاغيَّ أرحبُ وأوسعُ وأعمقُ ممّا تصوّرَه أصحابُ البلاغةِ الجديدةِ.

فالسّكاكي لم يُقدَّم كما قُدِّم عبدُ القاهرِ الجُرجاني؛ لأنّ أصحابَ التّلاخيصِ والحواشِي شوّشُوا مسارَ مشرُوعِه البلاغيِّ بِنيّة التّقعيد والتَّعلُّم.

يقول سعدُ مصلوح: «المفتاحُ كان الخُطوةَ الطّبيعيّةَ المُنتظرةَ بعد كتابَيْ عبدِ القاهر: الدلائلِ (و(الأسرارِ)، ومُؤدّى ذلك أنّ نظريَّةَ السّكّاكي في علم الأدبِ كانت ثمرةً طبيعيّةً لنظريةِ النّظم، بيْدَ أنّ السّكّاكيَّ أضرَّ به تلامذتُه، وتابعُوه باجتزائِهم القسمَ الثّالثَ من كتابِه، وقطْعِه عن سياقِه، وإحلالِهم ثُلاثيّةَ المعاني، والبيانِ، والبديعِ محلَّ الثُّلاثيّةِ الأصليّةِ التي أقام عليها بناءَ كتابِه، وهي ثُلاثيّةُ الصّرفِ، والنّحوِ، وعلمِ المعاني». (1)


عبد القاهر الجرجاني


تشارلز بالي


أمين الخولي


محمد شاكر

وقد هُـــرِعَ أصحابُ البلاغةِ الجديدةِ إلى البلاغةِ الأَرسطيّة مُستورِدِين ما أسّسه أَرسطُو، مُتّهِمين السَّكاكيَّ بحُكمٍ ابتدائيٍّ آخـرَ، وهو أنه قتلَ الحياةَ في البلاغةِ العربيّةِ، لكنّهم لم يتردّدُوا في تَرداد مقولةِ:"السّكّاكيُّ اعتمدَ مَنطقَ أرِسطُو»!

إنّنا لا ننكرُ أنَّ للمنطقِ الأرِسطيِّ أثــرًا كبيرًا في مفتاحِ يوسف السّكّاكيِّ، إلّا أنّه لم يكنْ مُقلِّدًا وَفقَ القالَبِ المُترجَمِ الذي احتذاه أصحابُ البلاغةِ الجديدةِ؛ بل عَملَ على صياغةِ قالَبٍ بلاغيٍّ عربيٍّ واضــحٍ يحتاجُ الآنَ إلى إعادةِ اكتشافٍ بخلخلةٍ وقراءةٍ متأمِّلةٍ جديدةٍ في المفتاحِ.

لقد أسّسَ السّكّاكيُّ «لأَرجَانُون» بلاغيٍّ يُضارعُ «أَرجَانُون» أرِسطُو، وطَبْعيٌّ أن كلَّ اجتهادٍ له مُنتهى وحدٌّ، فأرسطُو ضبطَ وقنّن فلسفةَ اليونان، وقد بلغَ المُنتهى بعد ما كشفَ جلِيًّا منطقَها الدّاخليَّ.

في مقابلِ هذا قدّم السّكّاكيُّ مفتاحًا للبلاغةِ العربيّةِ مُعتمِدًا على الكتاباتِ السّابقةِ لأهلِ البيانِ العربيِّ قبْلَه، وكان مُبتدأَ مشروعِه البلاغيِّ إحداثُ مُصطلحاتٍ غَلَّقَ عليها في مفتاحِه، وظلّتْ هاجسَ الشُّرّاحِ بعدَه، وهنا مكمنُ المُشكلِ في البلاغةِ العربيّةِ، فالمُصطلحاتُ أو المَقولاتُ البلاغيّةُ الضّيّقةُ يَلزمُنا تجاوُزُها، وذلك بإعادةِ تأسيسِ مُصطلحاتٍ عربيّةٍ مُوسّعةٍ أعمَّ، تَخرجُ من ضِيقِ النّصّ إلى رحابةِ الخِطابِ، معَ التّخفّفِ من هيْمنةِ المَنطقِ الأرسطيِّ؛ الذي أثّرَ في شُرّاحِ المفتاحِ عُمومًا.

وتمتدُّ جذورُ هذا الخَنْقِ المُصطلحيِّ إلى ما قبْل السّكّاكيِّ وشُرَّاحِه، «فليس السّكّاكيُّ هو الذي خنقَ الحياةَ في البلاغةِ العربيةِ بتقعيداتِه وتَقنيناتِه، كما يزعمُ بعضُهم، بل إنَّ الأسسَ التي قامت عليها العلومُ البيانيّةُ كلُّها، والبلاغةُ العربيّةُ مجرّدُ فرعٍ منها، هي التي كان مخزونُها قد نفدَ تمامًا، فلم يَعدْ بإمكانِها أن تمدّ الباحثَ بشيءٍ آخرَ غيرِ نفسِها... هذا يعني أنَّ التّجديدَ في البلاغةِ العربيّةِ كان يتطلّبُ إعادةَ تأسيسِ البيانِ العربيّ ككُلٍّ»(2).


أ.د. سعد مصلوح

وقد حاول أمينُ الخُولي (ت 1385هـ) التّخلّصَ من سيطرةِ الفلسفةِ والمنطقِ على كثيرٍ من مباحثِ البلاغةِ، كما فتحَ الخُولي طريقًا من رُوحِ البيانِ العربيِّ لم يَكتملْ بعدُ.

والملاحَظُ أنَّ الكتاباتِ المُؤسِّسةَ لعلمِ البيانِ منذُ ترجمةِ كُتبِ أرسطُو أغرَقتْ في استعمالِ ما وصلَ إلينا منَ المُصطلحاتِ المُترجَمةِ، نُمثِّلُ لهذا بكتاباتِ حازمٍ القَرطاجنّي قديمًا، وغيرُه كثيرٌ.

وهذا لا يرتبطُ بكُتب علمِ البيان عمومًا؛ بل يرتبطُ بكتاباتِ أسلافِنا في علومٍ شتّى، سواءٌ في علومِ العقيدةِ، أو الشّريعةِ، أو غيرها منَ العلومِ الإنسانيةِ... فابنُ تيميّةَ في كتاباتِه العَقديّةِ ومُناقشاتِه الكلاميّةِ أغرقَ في استعمالِ المَنطقِ الأرسطيِّ؛ حتى أضحتْ كتاباتُه في أمورٍ عَقديةٍ واضحةٍ وسهلةٍ أمورًا لا تكادُ تُفهمُ، والأمرُ نفسُه ينطبقُ على كتاباتِ علماءِ الأصولِ، مثلَ الشَّوكاني وغيرِه.

وإذا كنّا ننتقدُ إغراقَ بعضِ علمائِنا في المنطقِ والاصطلاحاتِ المُترجَمةِ الغامضةِ الآن، فإنّنا لا ننكرُ أنّ هناك بعضَ الوَمضاتِ التي أسّست لعلْمِ بيانٍ عربيٍّ رحْبٍ لم يتقيّدْ بضِيقِ الاصطلاحِ، ولم ينحصرْ في البحث عن مواطنِ الجمالِ، وعنِ الخطأ والصَّوابِ في تراكيبِ الكلامِ... وغيرِه من مُصطلحاتِ البلاغةِ المدرسيّة.

فحازمُ القَرطاجنّيّ (ت 684هـ) رُغم تأثّرِه بالمنطقِ الأرسطيِّ لم ينحصرْ في المفهومِ الكلاسيكيِّ الضَّيّقِ للبلاغةِ العربيّةِ، والذي يَرتبطُ بمفهومِ الصّوابِ بعدِّهِ هدفًا يضعُه نُصْبَ عينَيْه، لقد تجاوزَ حازمٌ هذا المنظورَ التّقليديَّ الذي يبحثُ عن قوالبَ جاهزةٍ لتحسينِ الكلامِ وتنسيقِه؛ بل فتحَ أُفقًا أعمقَ وأشملَ وأكثرَ انفتاحًا ورحابةً، وهو بحاجةٍ إلى قراءةٍ متأنّيةٍ تُفيدُنا في إعادةِ التّأسيسِ للبيانِ العربيِّ، وذلك بالتَّخفُّفِ منَ التّأثيرِ الأرسطيِّ.

وقد دعا أمينُ الخُولي في كتابِه (فنّ القَول)(3) إلى التَّخلُّصِ من سيطرةِ الفلسفةِ والمَنطقِ على مباحثِ البلاغةِ، كما شدَّد على ضرورةِ ربْطِ البلاغةِ العربيّةِ بالحياةِ، وذلك بالتَّركيزِ على الجانبِ الاجتماعيِّ وتنميةِ الذّوقِ والحِسّ الفنّي، وهي دعوةُ محمود شاكر بعده (ت 1418هـ) فيما يُعرفُ بمنهجِ التّذوُّقِ(4).

وإذا كان الخُولي انتقدَ بشدّةٍ توغُّلَ علماءِ البيان قديمًا في ما يُمكنُ أن نُطلقَ عليه فلسفةَ البلاغةِ، فإنَّ دعوتَه اليومَ تتردّدُ أصداؤُها وذلك بتَكرارِ الباحثين الجُددِ في علْمِ البلاغةِ



العربيّةِ المنهجَ القديمَ نفسَه، إذْ لا تكادُ تخلُو دراسةٌ بلاغيةٌ جديدةٌ من تَرداد مُصطلحاتِ: (الإيتُوس- الباتُوس- اللّغوس)... حتّى صارتْ قوالبَ جاهزةً تُحلّل بها جميعُ أنماطِ الخطابِ، دينيّةٍ؛ وقانونيةٍ؛ وسياسيةٍ؛ وأدبيةٍ.

هنا أطرحُ بعضَ الأسئلةِ الفَرعيّة:

أليسَ الإيتُوسُ رمزًا للأخلاقِ والمبادئِ؟ والباتُوسُ رمزًا للعواطف والمشاعرِ؟ واللّغوسُ رمزًا للمَنطقِ؟

ألا يُمكنُنا أن نقابلَ هذه المُصطلحاتِ بتعابيرَ عربيّةٍ جامعةٍ وسهلةٍ نُعوّض بها ما يظهرُ لنا نقصًا في انتظارِ تأسيسِ بيانٍ عربيٍّ جديدٍ قادرٍ على تحليل الخطابِ، خارجًا عن قالَبِ الاصطلاحِ الضّيّقِ؟

ويُمكنُ أن أتصوّرَ هذا بيُسرٍ على الشّكلِ الآتي:

المُصطلحُ الأرسطي المُترجَمُ	المُصطلحُ العربيُّ المبسّطُ
الإيتُوس	الوسائلُ الأخلاقيّةُ
الباتوسُ	التّعابيرُ العاطفيّةُ
اللّغوسُ	البِناءُ المَنطقيُّ

وإذا أمْعنّا النّظرَ في ما كتبَه عبدُ القاهر الجُرجاني وتأمّلنا دلائلَ الإعجازِ (5) تبيّن لنا أنّه لخّصَ غايةَ نظريةِ النَّظْمِ التي كُتبتْ فيها أطاريحُ كثيرةٌ، فالجُرجاني ركّز على الجانب الأخيرِ، أي البناءِ المَنطقيّ للنّصّ.

وبالعودةِ إلى أسرارِ البلاغةِ (6) يتبيّنُ أنَّ الغايةَ فيه علْمُ البيان، والذي يهتمُّ بدغْدَغةِ مشاعرِ المُخاطَب، أي التَّعابيرُ العاطفيّةُ، وقد طوّق الجاحظُ (ت 255هـ) تطويقًا دقيقًا

الوسائلَ الأخلاقيّةَ في كتابِه (البيانُ والتَّبْيِينُ).

هنا أطرحُ السّؤالَ الرَّئيسَ:

أنحنُ بحاجةٍ لإعادةِ تأسيسِ علْمِ البيانِ العربيِّ، وترتيبِه، وقراءتِه قراءةً عميقةً، وذلك بتجاوُزِ حصْرِ البلاغةِ العربيّةِ في مُصطلحاتِ المُقرّراتِ والمُلخّصاتِ (التَّقديم ـ التَّأخير ـ الحذفُ ـ الاستعارةُ ـ المجاز...)، أم أنّ البلاغةَ العربيّةَ بلاغةٌ استنْفدت مخزونَها كلَّه وماتتْ موتًا لا قيامةَ بعده؟

من هذا السّؤال تنبثقُ أسئلةٌ مُختلفةٌ أقترحُها لبُحوثٍ علميّةٍ مُعمّقةٍ:

1 – كيف تأسّسَ البيانُ العربيُّ أوّلَ الخَلْقِ ؟

2 – ما الفرقُ بين البلاغةِ العربيّةِ والبلاغةِ المُعرّبَةِ؟

3 – ما الفرقُ بين البيانِ العربيِّ وعلْمِ البلاغةِ العربيّةِ؟

4 – أكان الزّمخشريُّ (ت538هـ) قديمًا، وابنُ عاشورٍ (ت 1393هـ) حديثًا مُلتزمَيْن بمُصطلحاتِ البلاغةِ العربيّةِ في أثناءِ تحليلِ النّصّ القُرآنيّ، أم أنّهما خرجَا عنِ القالَبِ المَدرسيِّ المصنوعِ؟

5 – هلِ البلاغةُ العربيةُ بلاغةٌ واحدةٌ أم هي بلاغاتٌ سيطرتْ إحداها وأُهملتِ الأُخرى؟

6 – هل بلاغةُ السّكّاكيِّ هي البلاغةُ التي قدّمها أصحابُ التّلاخيصِ والحَواشِي؟

ولزامًا على من يَتصدّى للإجابةِ عن هذه الأسئلةِ الإشكاليّةِ منَ الباحثين أن يبدأ بهذه الخُطواتِ المُقترَحةِ:

1 – القراءةُ العامّةُ في تاريخ البلاغةِ العربيّةِ.

2 – البحثُ عن مُصطلحاتِ مفتاحِ السّكّاكيِّ الغائبةِ.

3 – التّمييزُ بين البيانِ العربيِّ وعلْمِ البلاغةِ العربيّةِ.

4 – التّفريقُ بين التّجديدِ داخلَ منظومةِ البيانِ العربيِّ ومنظومةِ البلاغةِ المُعرَّبةِ.

ملخّصُ المقال:

تعرّضتِ البلاغةُ العربيّةُ لموجاتٍ منَ الانتقادات، كما واجهتْ سيْلًا غزيرًا منَ التّشكيك في قُدرتِها على قراءةِ النّصِّ بلْهَ تحليلَ الخطابِ، وذلك بظهورِ مناهجَ شَتّى بدءًا بالأسلوبيّةِ ووصُولًا إلى مناهجِ تحليلِ الخطاب، وهي دعاوَى تجديديّةٌ تُحاولُ أن تُنقذَ البلاغةَ العربيّةَ من مأزقِ ضِيقِ الاصطلاح. وتَستمدُّ هذه المناهجُ أدواتِها ومناهجَها ممّا وصل إلينا مُترجَمًا من دراساتٍ غربيّةٍ، وقد وقعتْ هذه الاجتهاداتُ في المأزقِ نفسِه الذي وقعتْ فيه البلاغةُ العربيّةُ قبْلُ، فالدّراساتُ البلاغيّةُ الحديثةُ هي إسقاطٌ للمُصطلحاتِ المُترجَمة، وهو المُشكلُ نفسُه الذي وقعت فيه البلاغةُ العربيّةُ المَدرسيّةُ قديمًا باصطلاحاتِها الضّيّقة، وبتأثُّرِها المَهُولِ بالفلسفةِ اليونانيّةِ. هنا نحاولُ طرحَ بعضِ الأسئلةِ ونُقدّمُ بعضَ الاقتراحاتِ للخروجِ بالبلاغةِ العربيّةِ من ضِيقِ الاصطلاحِ إلى فَساحةِ التّحليل، وذلك بالدّعوةِ إلى قراءةٍ مُتأمِّلةٍ عامّةٍ في البيانِ العربيِّ؛ لأنّه أعمُّ وأشملُ وأدقُّ منَ البلاغةِ العربيّةِ التي وُلدت مِن رَحِمه، وقد طرحَ المقالُ بعضَ الأسئلةِ وقدّمَ بعضَ الاقتراحاتِ لمُساءلةِ تُراثِنا البيانيِّ؛ لعلّنا نخرجُ من مرحلةِ جلْدِ الذّاتِ والإسقاطِ المُترجَمِ الضّيّقِ نحوَ بيانٍ عربيٍّ أرحَبَ قادرٍ على تحليلِ أنماطِ الخِطابِ كلِّه.

الهوامش:

1 – سعد مصلوح، البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص: 65

2 – محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، بيروت، 1987م، ص:89–90

3 – الكتاب الخامس والسادس من كتاب فن القول، أمين الخولي، فن القول، تقديم صلاح فضل، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م. ص: 195–221

4 – مبحث: محمود شاكر يصف مقدار تذوق عبد القاهر للبيان، محمد محمد أبو موسى، المسكوت عنه في التراث البلاغي، مكتبة وهبة للطبع والنشر، ط1، القاهرة، 2018م, ص: 447.

5 – أبواب كتاب دلائل الإعجاز، الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1956م.

6 –أبواب أسرار البلاغة، الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، دار المدني بجدة، دون تاريخ.

الرَّيْحَانُ فِي حُبِّ الرَّسُولِ العَدْنَانِ

(صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ)

شعر/عماد مسعود

أَمْسَيْتُ فِي ذِكْرِ مَنْ أَحْبَبْتُ وَلْهَانَا   وَبِتُّ أَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ مَا كَانَا
فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ ذِكْرٌ لِلْحَبِيبِ وَمَا   فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ إِلَّا الشَّوقُ يَغْشَانَا
أَوَّاهُ يَا قَلْبِيَ الْمَوْجُوعَ كَيْفَ بِكَ   عِنْدَ التَّلَاقِي وَقَدْ أَصْبَحْتَ هَيْمَانَا
تَذُوبُ نَفْسِيَ مِنْ فَرْطِ الْحَنِينِ كَمَا   تَذْوِي الشُّمُوعُ بِنَارِ الشَّوْقِ تَحْنَانَا
وَكَيْفَ أَكْتُمُ حُبَّ الْحُورِ مُقْتَدِرًا   وَمَا اسْتَطَعْتُ لِهَذَا الْحُبِّ كِتْمَانَا
فَدَتْكَ رُوحِي إِذِ الْأَرْوَاحُ مُشْرَعَةٌ   وَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَفْدِيكَ فَرْحَانَا
يَا دَعْوَةً مِنْ خَلِيلِ اللهِ مُشْرِقَةً   مَا أَصْبَحَ الصُّبْحُ إِلَّا كُنْتَ فُرْقَانَا
بُشْرَى ابْنِ مَرْيَمَ لِلأَكْوَانِ قَاطِبَةً   أَضْحَتْ رَبِيعًا بُعَيْدَ البَوْرِ فَيْحَانَا
وُلِدْتَ نُورًا لِكُلِّ الْكَوْنِ أَجْمَعِه   وَكُنْتَ نَارًا عَلَى الْكُفَّارِ بُرْكَانَا
جَلَّتْ صِفَاتُكَ عَنْ كُلِّ الْأَنَامِ وَعَنْ   كُلِّ الْخَلَائِقِ إِكْرَامًا وَإِحْسَانَا
مَاذَا نَقُولُ وَقَوْلُ اللهِ أَفْصَحُنَا   يَهْدِي إِلَى الحَقِّ تَفْصِيلًا وَ تَبْيَانَا
فُقْتَ الْأَنَامَ وَكُلَّ الْخَلْقِ فَارْتَفَعَتْ   بِكَ الْمَعَارِجُ حَتَّى الْعَرْشِ قُرْبَانَا



يَا خَيْرَ سَارٍ عَلَى الْأَقْدَام مُنْتَعِلًا   وَخَيْرَ سَارٍ مَعَ الْأَقْوَام رُكْبَانَا
وَخَيْرَ مَنْ بَرَكَتْ فِي الْأَرْضِ نَاقَتُهُ   وَخَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمِعْرَاجَ جُبْرَانَا
يَا هَادِيًا لِجَمِيعِ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ   يَا رَحْمَةً مُرْسَلًا مِنْ عِنْدِ مَوْلَانَا
يَا أَشْجَعَ الْقَوْمِ إِنْ خَارَتْ عَزَائِمُهُمْ   قَدْ بَاتَ سَيْفُكَ لِلْكُفَّارِ مِحْزَانَا
يَا خَيْرَ مَنْ وُصِفَتْ بِالْعَدْلِ سَاحَتُهُ   وَأَنْتَ أَعْدَلُ مَنْ فِي الْحُكْم مِيزَانَا
أَنْتَ الْإِمَامُ وَرُسْلُ اللّٰه قَائِمَةٌ   الْكُلُّ يَتْبَعُ مَا أَعْطَاكَ قُرْآنَا
الْجُودُ طَبْعُكَ وَالْإِحْسَانُ مَكْرُمَةٌ   تَجُودُ نَفْسُكَ بِالْإِحْسَانِ أَلْوَانَا
اللّٰه نُشْهِدُ أَنْ بَلَّغْتَ حُجَّتَه   (أَنْتَ الْأَمِينُ إِذَا مُسْتَأْمَنٌ خَانَا)
أَنْتَ الطَّبِيبُ لِقَلْبِي حِينَ قَسْوَتِه   لَوْلَا الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا لَانَا
يَنْجُو الْأَنَامُ بِفُلْكٍ أَنْتَ قَائِدُهُيَا   وَلَا نَجَاةَ لِمَنْ بِالْكُفْرِ قَدْ دَانَا
مَنْ تَرُومُ هِجَاءَ الْمُصْطَفَى عَلَنًا   هَلَّا بَرَزْتَ لَنَا يَا جُرْذُ تَلْقَانَا
عَلَامَ ذَمُّكَ مَنْ فَاضَتْ فَضَائِلُهُ   هَلَّا ذَكَرْتَ عَلَى مَا قُلْتَ بُرْهَانَا
وَلَيْسَ قَوْلُكَ إِرْهَابًا بِنَائِله   فَهْوَ الثُّرَيَّا إِذَا مَا كُنْتَ طَعَّانَا
هَذَا الرَّسُولُ جُنُودُ اللّٰهِ تَحْفَظُهُ   إِنْسٌ وَجِنٌّ وَرُوحُ الْقُدْسِ أَعْوَانَا



البلاغـةُ الجديـدةُ وطـرائقُ الإقنـاعِ

تطرحُ البلاغةُ الجديدةُ - القائمةُ على التّواصُلِ الإنسانيِّ - مجالًا بديلًا لشتّى أعمالِ العُنف، ولا يقتصرُ مفهومُ العُنف - هنا - على ما يتعلّقُ بتدميرِ الجسمِ البشريِّ، أو إلحاقِ الأذى به؛ بل يتخطّى الأمرُ إلى أشكالٍ منَ العُنف الكلاميِّ، والقهر، والمُصادَرةِ على الرَّأي، والقسْر، والجَبْر، وغيرِها منَ الممارَساتِ التي تتنافى - وَفْق محدّداتِ النَّظريةِ البلاغيةِ الجديدةِ - مع طبيعةِ التَّواصُل، ولعلَّ ميلادَ البلاغةِ الجديدة، وسُطوعَ نجمِ الحِجاجِ فيها أسَّسَ لمنحًى جديدٍ في الدِّراساتِ الأدبيةِ، قائمٍ على نظرِ القُدماءِ وتنْظيرِ المُحدَثين، كما أسهمتْ نظرياتُه - بمختلف ألوانِها- في تطوُّرِ الدَّرسِ البلاغيِّ العربيِّ، وتغييرِ النَّظرةِ إلى نصوصِه، وقراءتِها من منظورٍ جديدٍ.



د/ محمد حسن أبو المجد
دكتوراه في اللّغة العربيّة وآدابها/مصر

ولعلَّ من مُنجَزات هذه الطَّفرةِ أنَّ مفهومَ البلاغةِ لم يعُدْ محصورًا في القوالبِ الخِطابيّةِ القديمةِ؛ بل تجسَّدَ في صُوَرِ التَّواصُل المُتعدّدةِ؛ بَدءًا من خِطاباتِ النَّاس التي يتواصلُون بها على بساطتِها، وانتهاءً بقولِ أبْلغِهم شعرًا؛ فأنت حين تُخاطبُ البائعَ حول سِلعتك مُقنعًا إياه بتغيير سعرِها؛ فأنت -عندئذٍ- تُمارسُ البلاغةَ، وتلك الفتاةُ التي تحاولُ إقناعَ والدها بأن تُسافرَ مع صُحَيباتِها، وذاك المطعمُ الذي يُغريك بأنواعِ طعامِه، والجريدةُ التي بين يديك، والإعلانُ الذي في التلفاز، وصورةُ المُنتَجِ على الطريق، وخطيبُ المسجد، كلُّها تتواصلُ معك وتتواصلُ أنت معها، فكلُّنا نتواصلُ، وكلُّنا بلاغيُّون دون أن نشعرَ.

فالبلاغةُ الجديدةُ - إذًا - هي الأداةُ الأكثرُ إنسانيةً في التّواصُل بين المجتمعاتِ وأفرادِها، ولا يُتصوَّر غِنَى واحدةٍ من تلك الجماعات عن طاقاتِها، وما يكمنُ فيها من قوّةٍ تأثيريّةٍ وإقناعيّةٍ، ولا يتحقّقُ هذا إلا بمعرفةِ مُستخدِمِها لكيفيةِ التَّحكّمِ فيها واستغلالِها؛ ذلك لأنَّ خيطًا رفيعًا يفصلُ بين الاستخدامِ السِّلميِّ لها، أو تخطِّيها واحدًا من أشكالِ العُنفِ المرفوضِ؛ من هنا كان أن تعرفَ كيف تتواصلُ، وكيف تُقنِعُ، وكيف تُؤثِّرُ في الآخر ليس من باب التَّرفِ والزِّيادةِ،

بل هو ضرورةٌ ملحّةٌ؛ فالعجزُ عنِ استخدامِ اللُّغة والتَّحكُّم فيها في المواقفِ التَّواصُليّةِ يُعدُّ بابًا من أبواب الإقصاء، وشكلًا من أشكال الديكتاتوريّةِ المطلقةِ.

إنَّ صورةَ الإقناع تتمثّلُ في نصبِ فِخاخٍ عقليّةٍ ولُغويّةٍ لا يُمكن للآخر الفكاكُ منها، ومن هنا يكونُ الولوجُ إلى معتقدِه الثّابتِ أمرًا لا صعوبةَ في تغييره، ولا زعزعتِه، أو دفعِه إلى الإيمان بما نقترحُه عليه، ولا يتحقّقُ شرطُه هذا إلا بوسائلَ؛ أهمُّها: تحقيقُ مبدأ الاتّفاقِ المُسْبَقِ، والذي يقومُ على موافقةِ كِلا طرفَي المناقشةِ على الدُّخول فيها، وتبادُلِ الآراء المُختلفةِ في حالةٍ منَ الرّضا والدّيمقراطيّةِ الحقيقيّةِ؛ أي: أنَّ الإقناعَ لا يُفرضُ، وإنّما يُقترحُ.

ولعلَّ اقتراحَه لا يكونُ منَ السُّهولة بمكانٍ؛ فكلُّ إنسانٍ يدافعُ - فيما فُطِرَ عليه- عمّا يعتقدُه، ويحمِي نفسَه تلقائيًّا منَ الوقوعِ في شراكِ المحاولاتِ الخارجيّةِ لزحزحتِه عمّا استقرَّ لديه من معرفةٍ قد تصلُ لحدِّ اليقين الرّاسخِ، من هنا يأتي دورُ الاتّفاقِ المُسبَقِ الموسوم بالتَّطويع، وإيجادِ سبيلٍ لمشروعيّةِ الحوارِ بين طرفَيِ العمليّةِ التّواصُليّةِ، فالفعلُ الإقناعيُّ لا يتمثّلُ في كونِه كُتلةً حِجاجيّةً مُشكَّلةً تُصبُّ في عقل الآخَر؛ بل حاجةً إلى نقاطِ ارتكاز، واشتراكٍ ينطلق منها كلا طرفَيِ الحِجاج؛ فيتخذُّها الباثُّ جَمَلًا يعبرُ بها مفاوزَ الرّفض، على حين يراها المُتلقّي واحةً مُطمئِنةً لما لديه من بضاعةٍ يَخشى كسادَها.



من هنا وجبَ على كلِّ مُحاجِجٍ أن يُوقنَ بأنَّ ما يُمليه على غيره إنّما هو مركوزٌ في نفسه بشكلٍ أو بآخَر، وأنَّ جُلَّ عمله يدورُ حول إعادة تقديمِه من زوايا أخرى ربّما غابتْ عن تصوُّرِه؛ وذلك بتصوير قناعاتِ المُتلقّي تصويرًا موجَّهًا يختلفُ - في حقيقته - عنِ الوصف الإخباريِّ المجرَّدِ، أو إعادةِ الحركةِ



إليها بشكلٍ يسمحُ للمتلقّي أن يتقبَّلَها تدريجيًّا من خلال العلاقاتِ الجديدةِ القائمةِ بين جُزئياتِها، فهو - أي الباثُّ - في محاولةٍ لخلقِ عالَم مرجعيٍّ جديدٍ يتشاركُه مع المتلقّي، عالَم لم يُدركِ المتلقّي أنّه موجودٌ من قبْلُ حتى ولو تملَّك تفاصيلَه، ومكوّناتِه.

أو - لعلّكَ - تُلبِس الـرَّأيَ أحدَ النُّصوصِ التي تُمثّلُ سلطانًا في ذاتها على المُستمِع، فيكونُ الإذعانُ للرَّأي نابعًا من سُلطة النّصِّ لا الشّخصِ، ولعلَّ نجاعةَ تلك الحُجّةِ لا يقومُ على السُّلطةِ نفسِها، فهي معلومةٌ عند المُتلقّي سلفًا، بل مترسّخةٌ لديه وفي وعْيِه ومعارفِه، فهو لا يتقاسمُها مع المتكلِّم، بل يمتلكُها مثلُه، وتتمثّلُ في الاستدعاءاتِ المُصاحبة إياها، لا في ذاتها ؛ فربّما اقتنعَ أحدٌ بما يُقال لمجرَّدِ أنّه صادرٌ عن قائلِه، وليس لكونِه مُقنعًا في نفسِه؛ فالهيئةُ والنّبرةُ وطريقةُ العرْض والثّقةُ في التكلُّم كلُّها طاقاتٌ حِجاجيّةٌ قد تَصرفُ إليها المتلقّي على حساب القولِ، وكذلك تستمدُّ تلك الحُجّةُ طاقاتِها من كفايةٍ علميّةٍ، أو أخلاقيّةٍ، أو مهنيّةٍ، أو تقنيّةٍ، أو تجربةٍ تعتمدُ على الممارسةِ الفعليّةِ للحُجّة موضعِ الشّاهد، أو - ربَّما - شهادةٍ تعتمدُ على الحضور والمشارَكةِ.

أو - لعلّك - تُماثلُ الرَّأيَ بما يليقُ به منَ الأمثال لتُقرِّبَ الصُّورةَ إليه وتجعلَها أوضحَ في مَخِيلتِه، وذلك بالسَّماحِ بانتقالِ الخصائصِ المُميِّزة بينهما، واستمدادِ مـواردِ الثّقافةِ واللُّغة والمعاني المشتركةِ التي تجمع بين الجماعاتِ الحِجاجيّة التي قد تبدو - أي العلاقات - غريبةً ومتعارِضةً مع العقل للمرّة الأولى التي تقرعُه فيه، غيرَ أنّها بقليل منَ التّدبُّر يكون لها مفعولُ السِّحر في النّفس ويزيدُ، فأنت تُقنعُ - من خلال الرّبط الخفيِّ - بين مناطقَ لم تكن بينَها أيُّ علاقةٍ في الظّاهر، لكنْ عليك أن تجدَ تشابُهًا في العلاقة، وليس علاقةَ تشابُهٍ.

البلاغةُ الجديدةُ إذًا هي الأداةُ الأكثرُ إنسانيةً في التّواصُل بين المجتمعاتِ وأفرادِها

أو تعمدَ إلى أحدِ المشترَكات بينك وبينه ـ كعادة، أو تقليدٍ ـ فتجمعَ أطرافَها مع أطرافِ الرَّأي وتقدّمَها وجبةً لُغويةً قابلةً للهضم والامتصاص، ولعلَّها أقدمُ طرائقِ الإقناع؛ كونُها تستدعي مجموعةً منَ الافتراضات المشترَكة ذاتِ التّأثير المشترَك؛ كالرَّأي، والقيمةِ، والموضعِ، لكنَّها لا تزالُ - مع ما تحملُه من ضعف الشّيوع ـ تحتفظُ بحمولةٍ إقناعيَّةٍ نابعةٍ من قَصْديّةِ المفهوم، ومناسبتِها الموقفَ المستخدَمةَ فيه.

أو تعمدَ إلى حُجّةِ المُغالطة، وهي واحدةٌ من أنواع الحُجج المستعملةِ في العمليّة التّواصُليّةِ بشكلٍ سلبيٍّ؛ إذ تعتمدُ على استدلالٍ خطأٍ، أو فاسدٍ يُخرجُها في مظهرٍ سليمٍ مع اختلالِها المنطقيِّ؛ ولهذا كانت





واحدةً من آليات السَّفسطةِ التي تُفضِي إلى الزَّيغ المَنطقيِّ واللّغويِّ؛ غيرَ أنّ دخولَها في باب الرّأي والمُحاجة أضفَى عليها سماتٍ أعمقَ في الاستعمال والهيئة لم يكونا معهودَيْن من قبلُ، فالسّعيُ إلى التّأثير في المتلقّي، وتوجيهِه إلى عملٍ مّا، والدّفعِ به إليه للحُصول على النّتيجةِ المرجُوّةِ بمجموعة منَ المُغالَطات؛ يُعدُّ - في حقيقته - صِنفًا منَ الحِجاج.

إنّ جمالَ المُغالطة يكمنُ في جمعِها بين ما هو منطقيٌّ، ونفسيٌّ، ولغويٌّ، وبلاغيٌّ في آن واحدٍ؛ فالتماسُ المنطق بالمخالَفة، أو تعديلُه، أو تمويهُه، أو الاستعلاءُ عليه، أو التّحقيرُ منه مع بيان وجهِ الدّليل في تلك المذاهبِ؛ أمرٌ يتطلّبُ حِنكةً ودِرايةً بنسْج النُّصوص على الوجه الذي يدفعُها إلى العمل في نفوس السَّامعين، وحمْلِهم على تصديقِه، وتجنيبِ عقولِهم إلى حين، أو على التّقديرِ الأقلِّ دخولُهم في حالة منَ الغفلة، وارتباكُهم داخلَ شَرَك الحُجّة، وهو المقصودُ بـ " العاملِ النّفسيّ".

أمّا "العاملُ اللّغويُّ" فيتمثّلُ في اللّعب بالألفاظ، واختيارِها على الوجهِ الصّحيحِ المُرادِ، وتقديمِ هذا وتأخيرِ ذاك، والإغرابِ في إحداها، والإعرابِ في أخرى، وغيرِ ذلك منَ الطّاقاتِ اللُّغويّةِ التي تحملُ على تمويه الخِطاب، واختلالِ أركان منطقِه في العقول، ولا يتأتّى للّغة العملُ على هذا الوجه ما لم تُوشَ ببُرودٍ منَ البيان والبديعِ، ونثرِ جُمان التّشبيه، والاستعارةِ، والكنايةِ، والسَّجعِ، والنّبْرِ، وغيرِ ذلك ممّا يتعلّقُ بعلائقِ البلاغةِ لتكونَ النّتيجةُ في الأخير على هوى المُتكلِّم.

في الأخير .. اعْلمْ أنّك حين تسعى إلى التَّأثير والإقناع ــ بأيّ واحدةٍ منَ الحُجج السّابقة ــ فأنت تتواصلُ، ولن تستمدَّ قوّتَك الإقناعيّةَ إلّا من خلال نجاحِ هذا التّواصُلِ وَفقَ المَعايير المُبدوءة بالاتّفاقِ المُسبَقِ، والمُنتهيةِ بالإذْعانِ.

رِحْلَـــةٌ إلَـى الذَّاتِ



شعر/همام صادق عثمان
شاعر ومعلّم لغة عربيّة/مصر

أفيضُ بالشِّعرِ إذْ أحْشُو فَرَاغَاتي
فليسَ لي غيرُ شعرِ العبقريَّاتِ

الفوضويُّ دَمِي لا يستقرُّ بهِ
فرْحٌ سوى ما يؤدِّيهِ لمأساةِ

فهَلْ يكونُ غريبًا أنْ يكونَ فَمِي
عَزْفًا فريدًا علَى نَايِ المصيباتِ؟!

أنَّى أطالعُ ما التَّاريخُ سطَّرهُ
والواقعُ المُرُّ غَمَّى عينَ أوْقاتي؟!

أتيتُ أسْتقبلُ الأهوالَ مذْ حملَتْ
أُمِّي جنينًا إلى دارِ ابْتلاءاتِ

وُلدتُ أبكي بكاءً ناقصًا فإذا
غدوْتُ أبكي فإكمالُ البُكاءاتِ

أنَا حملتُ الَّذي لم تحتمِلْهُ قُوى الـ
ـجبَالِ والأرضِ - جهلًا - والسَّماواتِ

متَى أُصحِّحُ أخطائي وأعلمُ ما
يُعينُني أن أُوارِي بعضَ سَوْءاتي؟!



نظرتُ للنّاسِ منْ حوْلي فلمْ أرَهُـمْ ... إلّا زُجـاجًـا عـلـى درْبِ انـكـسـاراتِ

فـإنْ رأيــتَ سَـليـمًـا فـي ظـواهـرِهِ ... ففِـي الـبـواطـنِ آلافُ الـجـراحـاتِ

هنا طـريـقـانِ شـتَّ الـنـاسُ بينَهما ... والـكـلُّ يـدخـلُ أبــوابَ الـقـيـامـاتِ

هــنــاكَ نــارٌ وجــنــاتٌ وإنَّ هـنـا ... نــارًا ولـيـسَ سـوى أشـبـاهِ جـنَّـاتِ

فـهـلْ يليقُ بـمـنْ يَـدرِي حقيقتَها ... حــزنٌ لماضيهِ أو فـرحٌ بما يـاتـي؟!

شغلتُ فكري إلـى أنْ صرتُ مقتنعًا ... أنَّ الـحـيـاةَ ادِّخـــارٌ للحساباتِ

ركبتُ أعماليَ الحُسنى لتعبرَ بي ... أرضَ الـبـلاءِ بـلا أيِّ الـتـواءاتِ

مــنْ ســارَ للّٰهِ والإيــمــانُ يـمـلـؤهُ ... فـلـيـسَ فـيـهِ مـجـالٌ لـلـفـراغـاتِ

العَرَبِيَّةُ هُوِيَّتُنا

في ردَهاتِ الأمم المتَّحدةِ. حديثًا. احتلّت لغتُنا العربيّةُ المركزَ الرّابعَ بين اللُّغاتِ العالَميَّةِ من حيثُ الانتشارُ وازْدِيادُ المتَحدّثين بها .
لذا حُقَّ لنا أن نَفخرَ بها هويةً، ولِسانًا، وتُراثًا، حاضِرًا، ومُستقبلًا. ألا يكفي كونُها لغةَ القرآن، الذي حفظه الرّحمن؟ والذي نزلَ به جبريلُ الأمين على سيّدِ المرسلين، بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ؟
ألم يُسجّلِ التّاريخُ الحديثُ الأعدادَ الهائلةَ التي دخلتْ وتدخلُ الإسلامَ يوميًا؟ لتحظى بالسِّلم والسَّلام والحُبِّ والوئام ودخولِ الجنان؟ فهم الآن يتنافسون، ويتسارعون، بل ويتسابقون لتعلّم لُغتِنا المقدّسة؛ ليفهموا الدّين والقرآن، وليَعُوا الحكمَ والبيانَ.



د. محمّد علي حافظ
مُسْتَشار قانونيّ

فهي لغةُ أبي البشر، حين نطق بكلمتِه الأولى:
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾
وبها خاطب ربُّنا أهلَ الجَنَّة بقوله:
﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾
فالقرآنُ الكريم أعظمُ حمايةٍ وَأَكْرَمـُها للُغة الفصاحةِ والحصافةِ والبيانِ.

كما سخّرَ ربُّنا جلَّ في علاه لحمايتها أيضًا رجالًا صدقُوا ما عاهدوا الله عليه، ومنهم الرَّائِدُ العَرَبِيُّ الذي لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، الشّيخ الدّكتور سلطانُ بْنُ مُـحَمَّدٍ القاسميُّ، حاكمُ الشارقة التّقيُّ النّقيُّ، حفظَه الرّحمن الرّحيم العليّ.

فقد أدهشَ العالمَ بما قدّمه للُغتِنا، ولدينِنا ولهويتِنا، ولتراثِنا ولعزِّنا، ولمجدِنا..

فها هو معرضُ الكتابِ الدّوليّ في الشّارقةِ الذي صيَّرَ إمارتَنا أنوارًا بارقةً.

وها هو مَـجْـمَعُ اللّغة العربيّةِ ، لا مثيلَ له في البلاد الشّرقيّةِ والغربيّةِ فكان رئيسُه أحدَ علماءِ الجزائر الأبيّةِ وأعلامها، مع ثُلّةٍ من خيرةِ المواطنين والوافدين، الذين أبدعُوا بإنتاج المعجم التّاريخيّ للُّغةِ العربيّةِ.. وغيرُه الكثيرُ.

ولكنْ ما شدَّني إِلَيْهِ وأدهشني ؛ ذلك المرسومُ الأميريُّ الحديثُ برقم 63/2022، بشأن تنظيم (مؤسسة ثقافة بلا حدود) برئاسةِ الشَّيخةِ (بدور القاسميّ) حفظها الله ورعاها، سليلة الأصالة والمجد، والعلم والأدب.

فكان تطويرُها وإبداعُها غيرَ محدودٍ، والشّاهدُ على ذلك تلك المشاريعُ الحضاريّةُ الإبداعيّةُ المرموقةُ وغيرُ المسبوقةِ، منها:

1 - مشروعُ مكتبةٍ لكل بيت .
2 - مشروعُ مكتبةٍ متنقلةٍ بها أشرقتِ الشّارقة .
3 - مشروعُ عربةِ الثّقافةِ تزورُ المشافي للتَّرْفِيه عَنِ المرضى.
4 - مشروعُ (خذ كتابًا واترك كتابًا) لتبادُلِ العلوم بين الجوارِ والأحباب، والأهل والأصحابِ.
5 - مشروعُ تحفيزِ المؤلّفين والنّاشرين وتَشْجِيعِهِم على إنتاج الكُتب النّافعةِ للمُبتدئين، والمفيدةِ للدّارسين والباحثين.

هيئة الشارقة للكتاب
Sharjah Book Authority

نعم: إنها مشاريعُ حكيمةٌ، بأيدٍ أمينةٍ، وسياسةٌ سليمةٌ، وعطاءاتٌ كريمةٌ. وما علينا نحن الآباءَ والأمّهاتِ إلا أن نقدّمَ الشّكرَ والامتنانَ ونقابلَ الإحسانَ بالإحسان ولنتفاعلَ مع مشاريعِ الخيرِ والعطاءِ ومع منبعِ الكرم والوفاءِ لنعيشَ وَأَبْناءَنا في عِزٍّ ورخاءٍ ، وَ نُعِيدَ مجد الآباء وتراثَهم، ولنعودَ ـ كما كنّا ـ خيرَ أمةٍ أخرجت للناس.

فلغتُنا العربيّةُ لغةُ الضّاد والجلالِ، لغةُ الحُسن والجمالِ، بذلك وصفَها الشّاعرُ أحمدُ شوقي رحمه الله بقوله:

إنّ الذي ملأ اللُّغاتِ محاسناً
جعَلَ الجمالَ وسرّهُ في الضّادِ

وإنّني أجدُ والدنا حفظه الله يجودُ وفيًّا بكلِّ ما يملكُ من علْمٍ وإبداعٍ ممّا جعلني أقولُ لأمير الشعراء:

إنّ الذي ملأ الكرامَ مودّةً
جَعَلَ الوفاءَ بأجْودِ الأجوادِ

كما أنّ الشّاعرَ الدكتور أكرم قُنبس أبدعَ بخطابِه لوالدنا وأميرنا حفظه الله ورعاه حين قال :

ليس الوفاءُ شِعاراً أنتَ تحملُهُ
إنّ الوفاءَ شُعورٌ أنتَ تحياهُ



وأجيبُه أيضاً بقولي:

هذا الأَميرُ كريمٌ في سجاياهُ
فالكلُّ يرفُلُ رَغْدًا مِنْ عَطاياهُ

وأخيراً: نسألُ الله تعالى أن يحفظ لنَا دينَنا ولغتَنا، فهي هويتُنا ومجدُنا وعزُّنا، وأن يديمَ علينا أميرَنا وَ والِدَنا وأن يحفظَه ويحفظَ إمارةَ الشّارقةِ المُشرقةِ ومواطنِيها ووافدِيها من كلِّ مكروه، إنّه على ما يشاءُ قديرٌ، وبِالإِجابَةِ جَدِيرٌ، إنّه سميعٌ بصيرٌ.

معرض الشارقة الدولي للكتاب
SHARJAH INTERNATIONAL BOOK FAIR

المُسْتَشْرِقُونَ وَحَقِيقَةُ الشِّعْرِ الجَاهِلِيِّ

يُشكّلُ الشعرُ الجاهليُّ أهميَّةً كبيرةً في الأدبِ العربي؛ فهو مَصدرٌ رَئيسٌ لقواعدِ اللغةِ ومُفرَداتِها، وهو ديوانُ العربِ، وقد انصبّتِ الدّراساتُ حولَه عندَ العربِ، كما لفتَ أنظارَ المُستشرقينَ، فأثاروا بعضَ المسائلِ حولَهُ في مقالاتٍ مختلفةٍ، وفيما يأتي استعراضٌ لأوجُهِ الاتّفاقِ والاختلافِ بين آراءِ المُستشرقين حول الشِّعرِ الجاهليِّ، ونذكرُ منَ المستشرقين نُولدكه في مقالتِه (من تاريخ ونقدِ الشّعرِ العربيِّ القديم)، وألفرتْ في مقالتِه (ملاحظاتٌ عن صحّةِ القصائدِ العربيّةِ القديمةِ)، ومرجليوث في مقالتِه (نشأةُ الشِّعرِ العربيِّ)، فمَا القضايَا التي لفتُوا النَّظرَ إليها؟ وهل أنصفُوا الشِّعرَ أم تحاملُوا عليه؟



هدى موسى الفوالجة
طالبة ماجستير-تخصّص اللّغة العربيّة وآدابها/الأردن

تحدّثَ المستشرقونَ الثلاثةُ عنِ الشِّعرِ الجاهليِّ في مقالاتِهم، وقد عَرضَ كلٌّ منهم آراءهُ فَساقَ الأدلّةَ مُدافعًا عنها، وعندَ النَّظرِ في هَذهِ المَقالاتِ نَجدُ بَعضَ نقاطِ التَّوافُقِ والاختِلافِ فيما بَينَها، ونستعرضُها فيما يأتي:

أوّلًا: أوجهُ الاتّفاق بين ألفرت ونولدكه:

طعن ألفرت ونولدكه في رُواةِ الشِّعرِ الجاهليِّ، ولكنّهما اتّفقا على نقلِه عن طريقِ الرّواية، وبسببِ ذلك تعرّضَ للاضطرابِ والضَّياعِ، فاستُبدِلت بعضُ الكلماتِ أو العباراتِ بِأُخَرَ، أو تكرّرت أبياتٌ في قصيدتَيْن لشاعرَيْن، وذلك لتزيّفاتٍ مقصودةٍ منَ الرّواة لينالوا حظوةً ومكانةً، أو لأخطاءٍ غيرِ مقصودةٍ مثل خيانةِ الذّاكرةِ، وفي ذلك يقولُ نولدكه: «وطالما بقيتِ القصائدُ حيّةً في أفواه الشّعبِ، فإنّها كانت مُعرَّضةً لمصائرِ الأدبِ الشّعبيِّ، وذلك أنّه مهما يكُنْ من قوّةِ الذّاكرةِ عندَ العربِ... فإنَّ أقوَى الذّاكراتِ لا تستطيعُ أن تحُولَ دون حدوثِ تغييراتٍ تدريجيّةٍ قويّةٍ فيما تَحفظُ»، ويُكْمِلُ قائلًا: «وبسببِ الثّروةِ الهائلةِ التي تملكُها اللّغةُ العربيّةُ فكثيرًا ما حدثَ أن استُبدِلت كلماتٌ أو عباراتٌ بكلماتٍ أخرَى أو عباراتٍ أخرَى، إمّا عن قصدٍ ابتغاءَ تيسيرِ الفهمِ، وإمّا عن غيرِ قصدٍ" ، أمّا ألفرت فيقولُ عنِ الرُّواةِ والرِّوايةِ: "ولولا روايتُهم الشّفويّةُ لضاع شعرُ العصرِ القديمِ تمامًا حيث لم تكنِ الكتابةُ (واسعةَ الاستعمالِ)».

وفيمَا يتعلّقُ بوجودِ الشِّعرِ الجاهليِّ فلم يُنكرَا وجودَه، فذكرَ نولدكه أنَّ هذا الشِّعرَ مهما تعرّضَ للاضطرابِ والتّغييرِ فهو صورةٌ حيّةٌ للعربِ القُدماءِ ولم تُضيِّعِ الاضطراباتُ فيه جمالَه وقوّتَه، فقال: "ومهما يكُنْ مِنْ شدّةِ التّغييراتِ والتّحريفاتِ التي أصابتْ نصوصَ القصائدِ القديمةِ (الجاهليّةِ)، ومهما تعرّضتْ له روايتُها مِن اضطراب، فإنّه





تفوحُ من هذه الشّذراتِ روحٌ مُنعشةٌ تدلُّ على أنَّ قوّةَ الشّعرِ العربيِّ البدويِّ وجمالَه لم يَضِيعَا" ، بينما أشارَ ألفرت إلى أنّ الشّكَّ يلتفُّ حول مُؤلِّفِي القصائدِ وترتيبِها وحجمِها لا حَوْلَ وجودِها في الأساسِ، فقال: «وبعدَ هذه الاعتباراتِ العامّةِ لا نملكُ إلّا أن نُقرَّ أنّ الأمرَ مشكوكٌ فيه جدًّا فيما يتعلّقُ بصحّةِ القصائدِ القديمةِ (الجاهليّةِ) بشكلٍ عامٍّ... وحتّى من يثقُ في حُجِّيَّةِ عُلماءِ اللُّغةِ القُدماء ثقةً تامّةً، ولا يَتّهمُ عملَهم ولا إرهافَ حسِّهِم، لا يستطيعُ أن يُنازعَ في أن تكونَ القصائدُ التي روَوْها يدورُ الشّكُّ حول مُؤلّفِيها، وحجمِها، وترتيبِها الدّاخلي، وبعضِ أبياتِها المُفردةِ».

أمّا في نشأةِ الشِّعرِ فقدِ اتّفقا على أنَّ الشّعرَ قد نشأَ عنِ الرّجزِ الأبسطِ شكلًا، وقد وقفَا عندَ المُعلّقاتِ وسببِ تَسميتِها، ودحضَا الرّأيَ الذي قال إنّها عُلّقتْ في الكعبةِ، فرأى نولدكه أنّها سُمّيتْ بذلكَ لنفاستِها ولمزايَاها الخاصّةِ في ذلك الوقتِ، فقال: "أمّا اسمُ المُعلّقات فمنَ الصّعبِ أن نجدَ مدلولَه، وقد فكرّتُ في أنَّ هذه التّسميَةَ إنَّمَا هي مرادفةٌ لِـ «السّمُوط» أو «عقودِ اللّآلي»، لكنّنا لا نجدُ شاهدًا على هذا الاستعمالِ اللُّغويِّ ولهذا نفضّلُ أن نتمسّك بالتّفسير الذي قاله بعضُ العرب وهو أنَّ «مُعلّقة» تعني أنها لنفاستِها رُفعت إلى مكانِ الشّرفِ»، أمّا ألفرت فرأى أنّها سُمّيت بذلك؛ لأنّها قصائدُ طوالٌ وكلُّ قطعةٍ فيها عُلّقت بالأخرَى، فيقولُ: «كذلك يُطلقُ لفظُ "القصائدِ على ما يُسمّى باسم «المُعلّقاتِ»، وربّما لم يخطُرْ ببال أحدٍ في تفسيرِه لهذا الاسم: «مُعلّقات» أنها سُمّيتْ بهذا الاسمِ؛ لأنّ فيها كلَّ قطعةٍ قد «عُلّقت» بالأخرَى؛ وَ لأنّ هذه هي حالُ القصائدِ الطّويلةِ، وبالرُّغم من ذلك فلم تُسمَّ بهذا الاسمِ إلّا السّبْعُ أو التِّسْعُ قصائدَ» .

وفيمَا يتعلّقُ بالتّغيير في القصائدِ وخُلُوِّهَا من بعضِ المُصطلحاتِ المُتعلّقةِ بالحياةِ الدّينيّةِ في العصرِ الجاهليِّ، فقد قالا إنَّ رواةَ الشّعرِ قد قامُوا بالتَّغييرِ في العديدِ منَ القصائدِ لأسبابٍ دينيّةٍ، ودليلُهما خُلُوُّ القصائدِ بصورةٍ كبيرةٍ من ذكرِ الآلهةِ التي عبَدها الجاهليّون، واحتواؤُها على



مُصطلحاتٍ تدلُّ على الدِّينِ الإسلاميِّ كأسماءِ الله، وفي ذلك يقولُ نولدكه: «أمّا التّغييرُ لاعتباراتٍ دينيّةٍ فكان مقصودًا عن وعْيٍ أوضحَ.... وإذا كنّا لا نعدمُ أبياتًا يذكرُ فيها العربُ الوثنيّونَ آلهتَهم، فإنّ هذه الأبياتَ قليلةٌ جدًّا، وفي العادةِ تجنّبَ المسلمونَ الصّدمةَ التي تُحدثُها مثلُ هذه الأقوالِ الوثنيّةِ إمّا بأن يحذفُوا أبياتًا ومقاطعَ بأكملِها، أو يُولِجُوا بدلًا منها أسماءَ الله الإسلاميةَ» ، أما ألفرت فيقولُ: "وربّما كان الدّافعُ إلى بعضِها (التّصحيحات) دوافعَ دينيّةً، فمنَ الأمورِ المثيرةِ للدّهشةِ أنّه لا يوجدُ في خمسةَ عشرَ ألفَ بيتٍ تقريبًا التي وصلتْ من عصرِ الجاهليّين غيرُ عددٍ قليلٍ جدًّا منَ المواضعِ التي تتضمّنُ إشارةً ضعيفةً إلى عبادةِ الأوثانِ، فمهما يكُنْ عدمُ اكتراثِ الشّعراءِ الجاهليّين لآلهتِهم كبيرًا، فقد وُجدت لديهم مناسباتٌ كافيةٌ لذكرهم، ولو للحلِفِ بهم.... ومعظمُ ما كان من هذا القَبيلِ استُبعِدَ وحُذف».

ورُغم ذكرنا لأوجُه الاتّفاقِ بين ألفرت ونولدكه إلّا أنّهما قد اختلفَا في بعضِ الأمورِ ومنها مسألةُ المُبارَزاتِ الشِّعريّةِ في سوقِ عُكاظ، فأنكر ألفرت وجودَها إذا كان جمهورُ السّامعين منَ العوامِّ أوِ الشّعبِ قائلًا: «كذلك لا حقيقةَ لما يُقال عن قيامِ مبارياتٍ شعريّةٍ في الأسواقِ، مثلَ سوقِ عُكاظ، إذا كان المقصودُ من ذلك أنَّ الشّعبَ كان هو جمهورَ السّامعين، وأنه وُجِد مُحكَّمون لنَيل الجوائزِ؛ بلِ الأحرَى أنّه وُجد في هذه المجامعِ القديمةِ لقاءٌ بين بعضِ الشّعراءِ الذين تبارَوْا فيما بينَهم في إظهارِ براعتِهم في الشّعرِ وتبادلُوا الأحكامَ بعضُهم على بعض، كما فعلوا ذلك في مناسباتٍ أخرَى» ، بينما أشارَ نولدكه إلى وجودِها كما هو متعارَفٌ، قائلًا: «خصوصًا وأنّه كما هو معروفٌ قد جرت مبارياتٌ شعريّةٌ في عُكاظ القريبةِ منَ الكعبةِ».

ثانيًا: أوجهُ الاختلافِ والاتّفاقِ عند مرجليوث مع نولدكه وألفرت:

أنكرَ المُستشرق مرجليوث انتقالَ الشِّعر عبرَ الرّواية لأسبابٍ منها الحاجةُ إلى طائفةٍ تختصُّ بروايةِ الشّعرِ وبرأيه لم يكن ذلك موجودًا، وربّما كان في كلامِه إنكارٌ لوجودِ الشّعرِ الجاهليِّ منَ الأساس، حيث قال: «منَ الباطل القولُ بأنّه لم يبقَ منَ الشّعرِ الجاهليِّ إلا القليلُ إذا قُصدَ من ذلك صفٌّ كاملٌ منَ المُجلّداتِ، فإن كانت قد بقيتْ مع ذلك قصائدُ عديدةٌ طويلةٌ جدًّا، فلا بدّ أنّ ذلك مردُّه إلى أنّه وجدَ أشخاصٌ كانت مهمّتُهم استظهارَها وتحفيظَها للآخرين، وليس لدينا سببٌ لأن نعتقدَ أنَّ مثلَ هذه المهنةِ وُجدت» ، ويقولُ أيضًا: «ثم إنّ البدوَ كان يُنظرُ إليهم على أنهم غيرُ جديرين بالثّقةِ وأنّهم متهوّرون في أقوالهم عنِ الأشعار، ومن هنا فإنّ

1 – بدوي، عبد الرحمن، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979/ ص 22
2 – المرجع نفسه/ ص 50.
3 – بدوي، عبد الرحمن، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، مرجع سابق/ ص 39.
4 – المرجع نفسه/ ص 72.
5 – المرجع نفسه/ ص 38
6 – المرجع نفسه/ ص 70
7 – المرجع نفسه/ ص 26
8 – بدوي، عبد الرحمن، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، مرجع سابق/ ص 60.
9 – المرجع نفسه/ ص 71
10 – المرجع نفسه/ ص 39.
11 – المرجع نفسه/ ص 96
12 – المرجع نفسه/ ص 97.
13 – بدوي، عبد الرحمن، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979/ ص 51
14 – المرجع نفسه/ ص 97.
15 – المرجع نفسه/ ص 19.
16 – بدوي، عبد الرحمن، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979/ ص 40

نُقولَهم الشفويّةَ لا تلقى إلّا القليلَ منَ التّصديق بها».

وقد أظهرتِ المقالاتُ اتّفاقَ مرجليوث وألفرت حول مسألةِ تأثيرِ الإسلام في الشِّعر وانحطاطِه بسببِ الإسلام، حيث ذكرَ ألفرت أنَّ الشِّعرَ الجاهليَّ قد ضاعَ بسببِ كُرهِ النّبيِّ صلّى الله عليه وسلم للشّعرِ وعدم حفظِ النّاس له في عصره، فقال: "فبغَضِّ النّظر عنِ الظّروف التي أشرنا إليها فيما سبقَ فقد قامتْ في هذا السّبيلِ عقباتٌ عديدةٌ، فقد تكوّنَ بتأثيرِ الدّينِ (الإسلاميِّ) وأحاديثِ (النّبيّ) محمّدٍ حكمٌ سابقٌ ضدَّ العصرِ الجاهليّ، والكراهيَةُ التي أبداها النّبيُّ ضدّ الشّعراءِ والأشعارِ بوضوحٍ ظاهرٍ، شاركَه فيها المؤمنون إلى حدٍّ بعيدٍ، وقامتِ الجهودُ العلميّةُ في ذلك العصرِ على أساسٍ لاهوتيٍّ، وفضّلَ العلماءُ أن يعملُوا في خدمة كلامِ الله" ، بينما يرى مرجليوث أنّ محاربَةَ الإسلام للوثنيّةِ والفتنِ والنِّزاعاتِ سببٌ كافٍ لعدمِ حفظِ النّاسِ لهذا الشِّعر، فقال: "القرآنُ يُقرُّ أنَّ الذين يتّبعون الشّعراءَ غاوُون، وكلامُه عنِ الشّعراء فيه شدّةٌ وازدراءٌ، فكان هناك إذن سببٌ قويٌّ لنسيانِ الشّعرِ الجاهليِّ، إن كان بقيَ منه شيءٌ، لكنّه كان هناك سببٌ آخرُ منَ المحتمَل أن يُؤثّر بقُوّة، ذلك أنَّ الوقائعَ التي يُظنُّ أنَّ القصائد خلّدتها كانت انتصارات في حروب بين القبائل، والإسلام وقد راغَ إلى توحيد العرب ونجح في ذلك نجاحًا كبيرًا، لم يشجع على مثل هذه الذكريات، لأن القصائد التي من هذا النوع لن تثير إلا الحفيظة وغليان الدماء، والحق أن أمثال هذه القصائد تميل نحو النسيان" ، أما نولدكه فقد كان موقفه مختلفًا عن ألفرت ومرجليوث حيث قال: "والسبب في هذا الانحطاط لا يرجع إلى الدين الجديد بالقدر الذي يُظن به ذلك عادة، وعلى الأقل ليس مباشرة، لأن هذا الدين الجديد يكشف عن تأثير قليل على طريقة الشعر..» .

والظن بعد ذكر ما سبق أن مرجليوث قد تحامل كثيرًا على الشعر الجاهلي، فهو بآرائه هذه ينسف عصرًا كاملًا، بينما حاول كلٌ من ألفرت ونولدكه الاعتدال وإنصاف الشعر الجاهلي، فيقول نولدكه: «إننا نتلقى من القصائد العربية القديمة صورة حية للعرب القدماء بفضائلهم وعيوبهم، بعظمتهم ومحدوديتهم، إنها ليست شعرًا يسعى لتقديم صورة حية فوق حسية ويؤدي إلينا أساطير متفوقة أو دائرة غنية من الأفكار المُعبّر عنها في الشعر الجاهلي؛ وإنما هي شعر جعل مهمته الرئيسية هي وصف الحياة والطبيعة كما هما في الواقع، مع قليل من التخيلات، بيد أنه في نطاق حدوده عظيم وجميل، وتسري فيه روح الرجولة والقوة، روح تهزنا هزًّا مزدوجًا إذا ما قارناه بروح العبودية والاستخذاء التي نجدها في آداب كثير من الشعوب الآسيوية الأخرى....» .

وفيما يتعلق بمسألة موقف الإسلام من الشعر فلم يكره النبي صلى الله عليه وسلم الشعر والشعراء، بل كان يُعجب بالشعر الجيد، كما كان الصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه من الشعراء المعروفين والذين أشاد النبي عليه الصلاة والسلام بشعرهم، ولم يكره النبي صلى الله عليه وسلم إلا شعر المشركين الذي كان فيه إيذاء للمسلمين، كما كره صلى الله عليه وسلم التعصب والهجاء القبلي والغزل الفاحش.

" وَإنَّ هذا التَّحامُلَ المُغْرِضَ الذي أُشْرِبَهُ قلبُ صمويل مرجيليوت في قضيَّةِ انتحالِ الشِّعْرِ الجَاهِلِيِّ ، وما يَنْطَوِي عَنها مِنْ نفيٍ و تشكيكٍ في صحَّةِ القصائدِ الجاهليَّةِ ونِسْبَتِها إلى قائليها، لَهُوَ أحدُ الأحقادِ الدفينةِ التي يهاجمُ بها الإسلامَ للنَّيْلِ مِنْ قلعَتِه الحصينةِ، واستباحةِ عزَّتِه المَكِينَةِ، حتَّى يخلوَ لهُ الجَوُّ لِلطَّعْنِ في إعجازِ القرآنِ. وإنَّ التفاتَةً عَجْلى إلى تاريخِ هذا المستشرقِ القسيسِ لَتُنْبِئُنَا أَنَّهُ منَ الأعداءِ الألِدَّاءِ للإسلام وأهلِهِ، وما يَحْويه كتابُهُ (محمد ونشأة الإسلام) من سموم واتِّهاماتٍ وَأضاليلَ عَنَّا ببعيدٍ، فَهُوَ وحدهُ كافٍ لإخبارِنا عَنْ معاداتِه الحَقَّ الأَبْلَجَ، وَمُوالاتِهِ الباطِلَ اللَّجْلَجَ. وقد سارَ سيرَتَهُ مِنْ بَعدِهِ تلميذُهُ طه حسين الذي حملَ لواءَ هذا الطَّعْنِ وَذَادَ عنهُ باستماتةٍ هِيَ خِلْوٌ مِنْ كُلِّ نزاهةٍ وإنصافٍ وَحيادٍ. وفي خِضَمِّ هذهِ المعركةِ العلميَّةِ التي حَمِيَ وطيسُها في المحافلِ الأدبيَّةِ، قَيَّضَ اللهُ تعالى لهذهِ القضيَّةِ رِجالًا غُيُرًا، وعندَ لقاءِ الخصومِ صُبُرًا، فَفَنَّدُوا الآراءَ ودحَضُوا المَزاعِمَ وأَبْطَلُوا الشُّبُهاتِ، وَهُمُ الرَّافعيُّ في كتابِهِ (تاريخ آداب العرب) وناصرُ الدين الأسد في (مصادر الشعرِ الجاهلي) وشوقي ضيف في (الأدب الجاهلي). فَفِي رُدُودِهِمُ المُفْحِمَةِ، وَحُجَجِهِمُ المُلْجِمَةِ غَنَاءٌ وَاجْتِزَاءٌ. "

«**هشام دقاق**»

التَّعبيرُ الرّياضيُّ في البِنيةِ اللُّغويةِ عندَ النُّحاةِ

قراءةٌ في تَشكُّلاتِ البُنَى اللُّغويّةِ التَّقعيديّةِ



جواد عامر
أستاذ لغة عربيّة/المغرب

تكلّمتِ العربُ اللُّغةَ بالسّليقةِ وَفْقَ سَنَنٍ مضبُوطٍ لا تشوبُه شائبةٌ، يستحسِنُه الذَّوقُ إذا أتَى فيه القائلُ بالمُقلّ والنّادرِ ممّا نأَى عنِ الغريب مُعجمًا، واتّسقَ تركيبًا، وحَلَا جرسًا، ويمجُّه الذّوقُ ويَستهجِنُه استهجانًا متى خالفَ الذائقةَ وأغرقَ في التّقليدِ سواءً كان القولُ نثرًا أو شعرًا، لذا كانتِ العربُ تهفُو إلى مضاربِ الشِّعرِ والنّثرِ تسمعُ منَ المُفْلِقِين والمُجيدين وتتناقلُ كلامَهم وترويه ، بل وجعلُوا التَّحكيمَ في قولِ القريضِ سُنّةً فتنافسَ الشُّعراءُ بينَهم أمامَ حكيمِ العربِ النّابغةِ الذُّبيانيّ فجوّدَ البيتَ وحسّنَه وضعّفَ غيرَه وقوّمَه، مُصدرًا أحكامًا نقديّةً قيميّةً شكّلتْ بدايةً للدّرسِ النّقديّ العربيّ، وجعلُوا للشّعرِ أسواقًا يتنافسُ فيها المتنافِسون

وأيًّا ما كان الأمرُ فإنَّ اللّغةَ ظلّتْ سابحةً في ظلالِها تتغنّى بعُنفوانِها حتّى اختلطتِ الأعراقُ وامتزجتِ الشُّعوبُ وانصهرتْ في بَوتقةٍ واحدةٍ زمنَ الانفتاحِ وتلاقُحِ الثّقافاتِ في العصرِ العباسيّ، إذْ كان لتَوسُّعِ الرُّقعةِ وامتدادِها وانتشارِ الإسلامِ أثرٌ كبيرٌ في دخولِ أجناسٍ جديدةٍ شكّلتْ أجزاءً منَ النّسيجِ الاجتماعيِّ للحضارةِ العربيّةِ الإسلاميّة، فعرَى اللُّغةَ شيءٌ منَ الفَشَلِ والخَطَلِ وبدأَ الوهنُ يسْرِي في عُروقِها، وإن كان اللَّحنُ قد دبَّ من قبْلُ في العهدِ الإسلاميِّ فإنّه لم يكن لحنًا مُستفحِلا مثلمَا حصلَ في العصرِالعباسيّ.

صحيحٌ أنّ هذه الثّقافاتِ أغنتِ العربيّةَ مُعجمًا فظهرتْ كلماتٌ في أسماءِ البُلدانِ والنّباتاتِ والحيوانِ والأطعمةِ والأدويةِ وغيرِها ، يقول د. أحمد أمين : " والثّاني: نقلُ الكلماتِ الأعجميّةِ نفسِها إلى العربيّةِ، وأكثرُ ما كان ذلك في أسماءِ البُلدانِ والنّباتاتِ والحيواناتِ والآلاتِ والأمراضِ والمآكلِ التي لم يكونُوا يعرفونَها من قبْلُ، وفي هذا تصرّفُوا تصرُّفاتٍ مختلفةً طوعًا للسانِهم ولم يَجْرُوا في ذلك على سَنَنٍ واحدٍ "(1). وإن كان الأعاجمُ قَدْ أَكْسَبُوا العربيّةَ ثَرَاءً مُعجميًّا فإنّ اللّحنَ قد دبَّ إلى اللّسانِ العربيِّ دبيبًا فلحنَ النَّاسُ في الإعرابِ وفشَا الخطأُ في التَّصريفِ والتّركيبِ وغيرِ هذا من أشكالِ اللّحن، يقولُ د. أحمد أمين : "وإنّمَا نريدُ أن نذكرَ كلمةً



أبو الأسود

عنِ اللّحن في عصرِنا، فقد زادَ بغلبةِ الأعاجمِ سياسيًّا وأصبحنا نرَى بدءَ تكوُّنِ لُغتين: لغةِ الكتابةِ والأعرابِ الفُصحاءِ ومن جرَى مَجراهم، ولغةٍ يُسمّيها الجاحظُ لغةَ المُولّدين والبَلديّين» (2)، وهذا يعني أنَّ اللَّحن انتشرَ بشكلٍ كبيرٍ خاصَّةً عندَ العوامِّ وحتى بين أصحابِ القلَمِ منَ الكُتّاب، ذكر الجاحظُ فَقَالَ: " لأهل المدينة ألسنةٌ ذلِقةٌ وألفاظٌ حسنةٌ وعبارةٌ جيّدةٌ، واللّحنُ فيهم فاشٍ وعلى من لم ينظُرْ في النّحو منهم غالبٌ»(3)، لقد صارَ اللّحنُ جزءًا دخيلًا على اللِّسانِ العربيِّ شملَ كلَّ ناحيةٍ فلم يَسلمْ منه غيرُ أهل النَّحو واللُّغةِ، فقد زعمَ أبو العاصِي أنّه لم يرَ قرويًّا قط لا يلحنُ في حديثه وفيما يجري بينَه وبين النّاس إلا ما تفقّده من أبي زيدٍ النّحويِّ ومن أبي سعيدٍ المُعلّم »(4) .

وذكرنا أنّ اللَّحنَ أصابَ مواضعَ عدّةً منَ اللّسان، فشملَ الإعرابَ حيث فشَا تسكينُ الأواخرِ خلافًا لما ينصُّ عليه السّنَنُ العربيُّ وتَفرضُه قواعدُه، ولُحِن في إعراب الكَلِمِ فرُفعَ ما حقُّه النّصبُ وجُرّ ما حقُّه الرّفعُ، ولُحِن في أبنيةِ الكَلِم، فقد أوردَ الجاحظُ روايةً تقولُ: « إنَّ نَبطيًّا سُئل لمَ اشتريتَ هذه الأتانَ؟ قال: أركبُها، وتلَد لي (بفتح اللام)(5)، واللَّحنُ في التَّركيب ظاهرٌ كما في جواب الغلام لمّا قال: أصحابُ سِنْد نِعال، ويقصد بذلك أصحابَ النّعالِ السِّنديةِ .



جلال الدين السيوطي

فلما فشَا هذا الضَّربُ منَ اللَّحنِ في لسانِنا العربيِّ واستشْرَى أكثرَ منَ اللُّزوم كانَ لا بدَّ للنُّحاة أن يسلُكُوا مَسلكًا واحدًا وهو تقعيدُ اللُّغةِ العربيّةِ بألْسنتِها المختلفةِ، حفاظًا على سلامةِ اللُّغةِ وتجنيبَها اللَّحنَ المستفحِلَ فكانتْ نشأةُ الدَّرسِ النَّحويِّ على اختلاف الرِّواياتِ التي سِيقتْ بين روايةِ وضْعِ النَّحوِ من عليّ بن

أبي طالبٍ ، وقولِ إنّ عبد الله بنَ هُرمزٍ هو واضعُه ، وقائلٍ إنّه نصرُ بنُ عاصمٍ وغيرِها من الرّوايات، لتبقَى روايةُ أبِي الأسودِ الدُّؤلي الأكثرَانسجامًا مع السّياق التَّاريخيِّ رغمَ اختلافِ الدّارسين القُدماء في مقصدِ أبي الأسودِ. يقول د. أحمدُ أمين : "وقد اختلف المُؤلِّفون الأقدمُون أنفسُهم في التَّعبير عمّا فعله أبو الأسودِ، فقال بعضُهم: إنّه أوّلُ من وضعَ النَّحوَ كما رأيتَ، وعبَّر بعضُهم تعبيرًا أدَقَّ، فقال ابنُ قتيبة في كتابِه المعارفِ: " أوّلُ من وضعَ العربيّةَ أبو الأسودِ"، وقال ابنُ حجرٍ في الإصابة: " أوَّلُ من نقطَ المُصحفَ ووضعَ العربيّةَ أبو الأسْودِ "، فالذي يظهرُ أنّهم يَعنُون بالعربيّةِ هذه العلاماتِ التي تدلُّ على الرّفعِ والنّصبِ والجرِّ والجزْمِ والضّمِّ والفتحِ والكسرِ والسُّكونِ والتي استعملَها أبو الأسودِ في المُصحف، وأنَّ هذه الأمورَ لمّا توسّعَ فيها العلماءُ بعدُ وَسمَّوا كلامَهم نحوًا سحبُوا اسمَ :" النّحوِ على ما كان من قِبَلِ أبي الأسود وقالوا إنّه واضعُ النَّحوِ للشّبَهِ في الأساسِ بين ما صنعَ وما صنعُوا، وربّما لم يكن هو يعرفُ اسمَ :" النحو " بتاتًا " (6)، فشكّلَ هذا التّناولُ الانطلاقةَ الفعليّةَ لتأسيسِ الدَّرسَيْن اللُّغويَّ والنّحويَّ العربيّين بشكلٍ عِلْميٍّ رصينٍ ومُمنهجٍ، فكما كان المُعجميّون يجمعُون مُفرداتِ اللُّغةِ منَ الأعرابِ ومنَ البوادِي مُتحرِّين نقاءَ اللّغةِ وصفاءَها لبُعدِها عنِ الاختلاطِ تاركين لُغةَ المدَرِ، عمدَ أهلُ النَّحوِ في البَصرةِ إلى تقعيدِ اللُّغةِ بناءً على الاستقراءِ والسَّماعِ، فاجتهَدُوا في التَّعليلِ وتتبُّعِ الشَّواهدِ منَ القرآن ومن شِعرِ العربِ يَستدلّون به على صحّةِ الكلامِ ومُوافقتِه للسّنَنِ العربيِّ الفصيحِ، ويَستنْبطونَ منه القاعدةَ تِلْوَ القاعدةِ، مُعتمِدين القياسَ وسيلةً مُثلى في صناعةِ القواعدِ، مُستفِيدين منَ الفقه الذي ازدهرَ على يدِ أبي حنيفةَ وشيوخِه، وإن كان ثَمّةَ معارِضون للقياسِ كالأصمَعِيِّ الذي عبَّر عن كُرْهِهِ له وَرَدِّهِ ، فإنّ الخليلَ كان أمهرَهم في القياس، قال ابنُ جنّي: «إنّه (الخليل)



سيّدُ قومِه وكاشفُ قناعِ القياس في علمه» (7)، ويُنسبُ إلى الكِسائيِّ قولُه:

إنَّمَا النَّحْوُ قياسٌ يُتّبَعْ
وبه في كلِ أمرٍ يُنْتَفَعْ

وقد تغذّى هذا القياسُ بالرَّغبةِ النَّفسيّةِ الجامحةِ في الانتصار للمذهبِ النَّحويِّ والمَدرسةِ على عادةِ ما كان جاريًا من مُساجَلاتٍ وصِراعاتٍ وخلافاتٍ كبيرةٍ وعميقةٍ بين الكوفةِ والبَصرةِ ليَحتجَّ كلٌّ بحُججِه وإن زادَ واختلَقَ من أجل النُّصرةِ لا غيرَ- وهذا مذهبٌ لا يُنكرُ في التَّاريخِ النَّحويِّ -، فإنّ تناولَ التّعبيراتِ والبِنْياتِ اللُّغويةِ خضعَ لمجهَرٍ نَحويٍّ لسانيٍّ دقيقٍ تحرَّى فيه علماءُ النَّحو

والصَّرفِ ما أمكنَ الكثيرَ منَ الدِّقّةِ التي وجْهُها النّزعةُ الهيرُمينوطيقيّةُ الأمرُ الذي منحنا الكثيرَ منَ الخلاف في مسائلَ نحويةٍ وصرفيةٍ كثيرةٍ، وهو أمرٌ صحّيٌّ وطبْعيٌّ في درسِنا اللُّغويِّ لاختلاف المُنطلقاتِ بين المدارسِ والمذاهبِ التي ولَّدتْها مُؤثِّراتٌ عِدّةٌ تداخلَ فيها المَنطقيُّ والكلاميُّ والدّينيُّ والفلسفيُّ .

لقد ظلّتْ مسألةُ التّقعيدِ في الدّرسِ اللُّغويِّ قائمةً على وضعِ القواعدِ المُستنبَطةِ من استقراءِ الكلامِ العربيِّ وتحليلِ بِنياته وعلائقِه وَفقًا لمنطقِ التّجاوُرِ والدّلالةِ، فكان عالِمُ اللُّغةِ يدوّنُ تحليلاته القائمةَ على الفهمِ الخاصِّ ويجعلُ لكلِّ بِنيةٍ كلاميةٍ قاعدةً ضابطةً وَفقًا لما يُمليه القياسُ وإن لم تتكلّمْ به العربُ، ويَخترعُ العِلّةَ لِمَا وردَ ويقيسُ عليها ويُوردُ الشّاهدَ بل ويتأوّلونَ ما لم يَجْرِ على قواعدِهم ويضعونَ له الأبياتَ من بابِ الاستشهادِ على صحّةِ التّخريجِ النّحويِّ، وهذه قضايَا تناولتْها دراساتٌ لُغويّةٌ وأدبيّةٌ بالدّرسِ والتَّحليلِ يطولُ الحديثُ عنها، لذا فإنّنا آثرْنا في هذا المبحثِ أن نقفَ عند جزءٍ هامٍّ لم تلتفتْ إليه هذه الدّراساتُ وهو الأسلوبُ الرّياضِيُّ في التّعبير النّحويِّ والصّرفيِّ عند علمائِنا الذين كانوا حاذقِين في علومِ الرّياضةِ، فالخليلُ بنُ أحمدَ كان على درايةٍ بأصولِ الحسابِ بل إنَّ عبقريّتَه الرّياضيّةَ فاقتْ كلَّ المُتوقّعِ، ولعلّ تصنيفَه لمُعجمِ العَين كان على أساسٍ رياضيٍّ صِرْفٍ لا يخفَى، وتلميذُه النّجيبُ سِيبَويه لا يقلُّ شأنًا في هذا البابِ، واعتمادُ ابن جنّي للتّقاليبِ السّتّة مردُّه إلى الدّرايةِ بالرّياضيات، لذلك كانت أدواتُ الاشتغالِ الرّياضيّ غيرَ خافيةٍ في تناوُلاتِهم للقضايا اللُّغويةِ فشكّلَ الاستقراءُ والاستنباطُ والاختزالُ والموازنةُ والاستنتاجُ والبُرهانُ أجزاءً منَ المُمارسةِ اللُّغويّةِ عندهم، وهذا أمرٌ نراه طبْعِيًّا بحُكمِ تجاوُرِ المنطقِ والنّحو معًا وقراءاتِ اللُّغويّين لرياضياتِ الهنودِ ومنطقِ اليونانِ وانتشارِ علْمِ الكلامِ في مرحلةٍ متقدّمةٍ منَ التّاريخِ الإسلاميِّ وما ولَّدَ من صراعاتٍ بين المُعتزلةِ والأشاعرةِ احتاجتْ إلى البَرهنةِ والاحتجاجِ وماتَستلزِمُه هذه من أدواتِ



الاشتغالِ الرّياضيِّ المَنطقيِّ تحقيقًا لها، لكنَّ المُثير في الأمرِ هو أنَّ الرُّوحَ الرّياضيّةَ لم تلزمْ أنساقَ العلّةِ والتَّحليلِ اللُّغويِّ للقضايَا والمسائلِ اللُّغويةِ فَحَسْبُ، كما دأبَ على ذلك الدّارسونَ اللُّغويّونَ أو أهلُ البلاغةِ في درْسِنا العربيِّ القديمِ أو الحديثِ، فهذا أمرٌ غيرُ خافِي المعالِمِ؛ لأنّهم كانوا يُدركونَ المُنطلقاتِ وأدواتِ الاشتغالِ وعلاقتَها بالمنطقِ بدرجةٍ كبيرةٍ حتى جعلُوا درايةَ النَّحوِ لَصيقةً بمعرفةِ المنطقِ، فهذا الرّمانيُّ صاحبُ النُّكتِ يضعُ شرطَ الإلمامِ بقواعدِ المنطقِ وأصولِه لمن يشتغلُون بالنَّحو حتى تكونَ آراؤُهم مقبولةً ومتوافقةً معَ المقاييسِ العقليّةِ، ونجدُ الفارابيَّ مُشيرًا إلى التّوجُّهِ نَفْسِهِ قائلًا: "وهذه الصِّناعةُ ـ يقصدُ صناعةَ المَنطقِ ـ تناسِبُ صناعةَ النَّحوِ، وذلك أنَّ نسبةَ صناعةِ المَنطقِ إلى العقلِ والمعقولاتِ كنسبةِ صناعة النَّحوِ إلى اللّسانِ والألفاظِ، فكلُّ ما يُعطينا علْمُ النَّحوِ من قوانينَ في الألفاظِ فإنَّ علمَ المنطقِ يُعطينا نظيرَها في المعقولات " (8)، بل شملتِ التَّعبيرَ اللُّغويَّ نفسَه، وهذا أمرٌ غايةٌ في الأهميّةِ لا يقلُّ شأنًا عنِ المنهجِ الرّياضيِّ من حيث الاشتغالُ، ليجدَ النَّفسُ الرّياضيُّ نفسَه مُلازمًا للدّرسِ اللُّغويِّ في كلّ جوانبِه، فظهرَ في التَّعبيراتِ التي كان علماءُ النّحو والصّرف يُدلون بها تلفّظًا، وهو ما سيجعلُ مبحثَنا هذا مُنكبًّا على جانبِ التّلفّظ، وهو جانبٌ غفلتْ عنه الدّراساتُ لانشغالِها بجانبِ المَنهجِ أكثرَ ومِيكانيزمات الاشتغالِ النَّحويِّ.

قد يبدُو الأمرُ مستغْرَبًا بحُكمِ أنَّ التَّعبيرَ الرّياضيَّ يقومُ على التّرميزِ والتَّرقيمِ المُوغلِ في التَّجريدِ ويتأسّسُ على مِيكانِيزماتٍ من قَبيلِ التّماثُلاتِ والتّكامُلاتِ والمجموعاتِ والوظائفِ والمُلخّصاتِ، لا بدَّ أنَّ حضورَها في التَّعبيرِ النَّحْويِّ والصَّرفيِّ قويٌّ وذو أثَرٍ، فعالِمُ الرّياضةِ يُعبّرُ عنِ المُعطياتِ بالرُّموزِ المُجرّدةِ وعالِمُ اللُّغةِ يُعبِّرُ عنها بواسطةِ الكلماتِ أصواتًا لكنّها تشكّلُ رموزًا لإظهارِ المُتغيّرات، مثلمَا يصنعُ الرّياضيُّ تمامًا حينَما يُعبِّرُ برموزٍ مثلِ x وy و a b c مثلًا، فقولُ عالِمِ النّحوِ مثلًا: الفعل من باب فَعِلَ يَفْعَلُ وفَعُلَ يَفْعُلُ وفَعَلَ يَفْعَلُ يحملُ الطّالبَ على أن يُحَمِّلَ الصِّيغةَ كلَّ فعلٍ في كلام العرب يجري على وزنٍ منَ الأوزان المذكورةِ مثل: شرِبَ يشرَب وكرُم يكرُم وصنَع يصنَع، وقِسْ على ذلك، وهو الأمر نفسُه في الرّمزِ الرّياضيِّ الذي يحتملُ أيَّ رقم بعد أن كان مجهولًا كما هو حالُ البُنى الصّرفيةِ، ونجدُ الكثيرَ من هذا في التّحليلاتِ التي قدّمها علماءُ اللُّغة، فهذا سِيبَويه في معرضِ تفسيرِه سببَ قلْبِ همزةِ الممدودِ واوًا نحوَ: باب حمراءَ وصحراءَ في التّثنيَةِ يقول: "إنّما وجبَ قلبُ همزةِ التّأنيث واوًا في التّثنيَةِ؛ لأنّ الهمزةَ لمّا ثَقُلَ وقوعُها بين ألفَيْنِ في كلمةٍ ثقيلةٍ بالتّأنيثِ وأرادُوا قلْبَها كان الواوُ أولَى بها منَ الياء؛ لأنَّ الهمزةَ في الواحدِ مُنقلبةٌ من ألفِ تَأنيثٍ وليستِ الهمزةُ من علامات التّأنيث، فلما ثنَّوا جعلُوا مكانَها حرفًا ليس من علامات التأنيثِ وهو الواو ولو جعلوه ياءً لكانت الياءُ من علاماتِ التّأنيث؛ لأنّهم يقولون: أنتِ تذهبين وتقومين وأنت تفعلين، فتركوا الياء إلى الواو في التّثنيةِ حتى يُشاكلَ الواحدَ في الحرف الذي ليس من علم التأنيث«.(9)

عمدَ أهلُ النَّحوِ في البَصرةِ إلى تقعيدِ اللُّغةِ بناءً على الاستِقراءِ والسَّماعِ

يبدُو هذا التَّفسيرُ من سِيبَويه منطقيًّا، قائمًا على بَرهنةٍ رياضيّةٍ مقارنةٍ، إذ لمّا كانتِ الهمزةُ دالّةً على التّأنيثِ والياءُ تحملُ نفسَ الدّلالةِ لكونِها للمُخاطبَةِ لم يكنْ منَ المنطقِ إبدالُ حرفٍ بآخَرَ من جنسِه، فكانتِ الواوُ، أمّا التّعليلُ الأوّلُ فإنّما هو مُستندٌ إلى ما هو صوتيٌّ إلا أنّ مَقصدَنا من هذا التّمثيلِ ليس العلّةَ في حدِّ ذاتِها

إنّما التَّعبيرُ اللُّغويُّ الواردُ في قولِ سِيبَويه " أنتِ تذهبينَ وتقومين وأنت تفعلين " فهذه الصِّيغةُ ومثيلاتُها كُثرٌ تظلُّ جزءًا منَ التَّعبيرِ التَّقعيديِّ ذي الطّبيعةِ الرّياضيّةِ فهي شبيهةٌ تمامًا بما يصنَعُه الرّياضيُّ حينما يُمثِّلُ للمُعطَياتِ الرّقميّةِ والماديّةِ بالرّمزِ الرّياضيِّ، فقوله: أنت تفعلين بِنيةٌ تعبيريّةٌ تقبلُ كلَّ فعلٍ مضارعٍ مُصرَّفٍ مع ضميرِ المُخاطبةِ مثلما أنَّ الرّمز x وغيره يسعُ كلَّ مُعطى رياضيٍّ باعتباره متغيّرًا منَ المتغيّراتِ.

ويحضرُ مبدأُ القياس الذي قال عنه جلالُ الدين السّيوطيُّ: «إنّ اللُّغويَّ شأنُه أن ينقُلَ ما نطقتْ به العربُ ولا يتعدّاهُ، وأمّا النَّحويُّ فشأنُه أن يتصرّفَ فيما ينقلُه ويَقيسُ عليه» (10)، وهذا الميكانيزم يُعدُّ أساسًا في الاشتغالِ عند علماءِ النَّحو؛ لأنّه الوسيلةُ المُثلى نحوَ البُرهانِ الرياضيِّ عبرَ الاستقراءِ اللُّغويِّ للكلامِ العربيِّ مُتسائلين تساؤلاتٍ علميّةً مِلاكُها الفرضياتُ ذواتُ النّسقِ العلْميِّ المُفضيةُ إلى الصّحةِ والخطإِ من أجلِ مَنطَقةِ اللُّغة، وهذا الأمرُ كان لزامًا على العالِمِ النَّحويِّ أن يسلُكَه للوصول إلى العلّةِ التي لا تتعارضُ مع المنطقِ كما أسْلَفْنا.

ونجدُ التَّعبيراتِ النّحويّةَ عند علمائِنا وَفْقًا لمبدإِ القياس المُتأصّلةِ جذورُه في الأركانِ الأربعةِ المعروفةِ وهي الأصلُ والفرعُ والعلّةُ والحكمُ، في مذاهبِ بعضِهم وهم يعلّلُون قضايَا صَرفيةً أو نحويّةً مثلَما وجدْنا عند ابنِ يَعيش والأسترَباذيِّ حينَما قاسَا رياضيًّا التّغيّرَ الصَّرفيَّ لبِنيةِ المَمدودِ الدّالِّ على التّأنيث في النّسبةِ على المقصورِ الرُّباعيِّ من باب نُعمَى وحُبْلَى فقالَ زيادةً على مذهب الجمهور في نسبتِها نُعمي ونُعموي بالقلب والحذفِ نُعماوي بزيادة الألف قياسًا على قولِهم: حمراويٌّ وصحراويٌّ، قال الأستاذ محمد بلبول: " واللّافتُ للنّظر أنّ ابنَ يَعيش يَعتبرُ أنَّ ألف التّأنيث في نظائرِ حُبلاويّ تُمَدُّ، في حين يعتبرُ الأسترباذي أنَّ ألفَ التّأنيث تُقلبُ واوًا وتُزاد ما قبْلَها ألفٌ "(11)، وإلى هذا أشار صاحبُ شرح الشافية: «وبألف التَّأنيث الممدودةِ فتزيد ما قبْلها ألفًا آخَر وتَقلبُ ألفَ التأنيث واوًا فتقولُ: حُبلاوي ودُنياوي كصحراوي»(12) .

لقد عمدَ النُّحاةُ إلى مبادئَ رياضيّةٍ منطقيّةٍ مثل الاستدلالِ والقياسِ والشّرطِ والتَّشارُطِ والاستلزام والتّكافؤِ التي تُعدُّ من أبرز عناصرِ المنطقِ وقوانينه، فمبدأُ الاستدلالِ القائلِ مثلًا إنَّ الرَّمزَ أ يتضمّنُ الرّمزَ ب، والرّمزَ ب يتضمّنُ الرّمز ج يعني مَنطقيًّا أنَّ أ تتضمّن ج هو نفسُه التَّعبيرُ النَّحويُّ القائلُ : إنّ اسمَ الفاعل مُشتقٌّ منَ الفعل مَبنيًّا للمعلوم والفعلُ يرفع فاعلَه وقد ينصبُ المفعولَ به ممّا يعني أَنّ اسمَ الفاعل سيرفعُ فاعلَه وقد ينصبُ المفعولَ وهو المُعبَّرُ عنه نَحويًّا باختصارٍ في قول النُّحاةِ: يعملُ اسمُ الفاعل عملَ فعْلِه المَبنيِّ للمعلوم إذا قُصد به بيانُ فاعلِه، ومثلُ هذه التّعبيراتِ نجدُها في غيرِ مَا موضعٍ من كلامِ النُّحاة مُستعمِلين صِيغةَ الشَّرطِ ومُعبِّرينَ عن منطقِ الاسْتلزام والتّكافُؤِ، كما نجدُ على سبيلِ التَّمثيل لا الحَصرِ في معرضِ حديثِهم مُعلّلين قضايَا صَرفيّةً مثلَ سببِ مجيءِ اسمَي المكانِ والزّمانِ على صِيغتَيْ مفعَل ومفعِل مُعبِّرين بصِيغةِ الشَّرطِ عنِ العِلَلِ في عينِ المُضارعِ أو طبيعةِ الماضي فيذكرونَ أنَّ مفعَل بفتح العين تأتي من كلّ فعلٍ مضارعٍ إذا كانت عينُه مفتوحةً أو مضمومةً، أو إذا كان ماضِيه مُعتلَّ اللّام، ومثلُ هذا التَّعبير نجدُه عند علماءِ الرّياضياتِ كثيرًا بعدَ استقرائِهم للمُعطَياتِ الرّياضيّةِ مثلِ التَّعامُدِ والتَّوازي حين يكونُ مستقيمُ (d) يوازي مستقيم (f)، ويكون المستقيمُ (A) عموديًّا على (d) فإنه سيكون عموديًّا على (F)، ويتجلّى هذا المنطقُ الاستدلاليُّ في التَّعبير بلُغةِ الشَّرط في قول عالِمِ الرّياضة: يكون المستقيمُ (H) عموديًّا على المستقيم (B) إذا وفقط إذا كان يقطعُه في نقطة A بحيث يُشكِّلُ زاويةً قائمةً، ونجدُه في مذهبِ البَرهنةِ على المُثلث قائمِ الزاوية فيA حينما يُعبَّرُ عنها رياضيًّا بصِيغة تعبيريةٍ على النّحو الآتي: ABC مثلث و H المسقط العمودي للنقطة A على (BC) يكون المثلث

ABC قائم الزاوية في A إذا وفقط إذا كان :
AB⁎AC= AH⁎BC

ويظهرُ الاستلزامُ في قضيّةٍ لُغويّةٍ كالاستثناء الذي تتحكّمُ في مستثناه إعرابيًّا البِنيةُ التّركيبيّةُ فيكونُ منصوبًا وجوبًا في حال ذُكرَ المُستثنَى منه (التمام) وكونِ الكلام مُثبتًا، ويكونُ النّصبُ أو التَّبعيّةُ على البَدَليّةِ في حالِ النّفي والتّمام، أمّا في حال النّفي وعدم ذكْرِ المُستثنَى منه فالإعرابُ يكونُ حسبَ الموقع، ومعنى هذا التَّحليلِ أنَّ بِنيةً تركيبيّةً يكون فيها الكلامُ مُثبتًا ويغيبُ فيها المُستثنَى منه ليست منَ العربيّةِ في شيءٍ، فيكونُ إعرابُ المستثنَى صحيحًا إذا ما صحّتِ البِنياتُ الثّلاثُ الموافِقةُ للسَّنَنِ العربيّ، فالنّصبُ يقومُ مقامَ العبارةِ الصّحيحةِ التي تَستلزمُ كلامًا مُوجبًا تامًّا، ويكونُ كالعبارةِ الخاطئةِ إذا كان كلامًا منفيًّا وغيرَ تامٍّ مثلًا، وقد عبّرَ المنطقُ الرّياضيُّ عن مفهوم الاسْتلزام بوجودِ عبارَتَيْن (أ) و(ب) حيث تكونُ العبارةُ خاطئةً إذا كانت (أ) صحيحةً، و(ب) خاطئةً، ويمكنُ أن نُخضعَ هذا الاستلزامَ في قضيةِ الاستثناءِ للتَّحليلِ الرّياضيِّ الآتي حيث نفترضُ أنّ الكلامَ تامٌّ وموجَبٌ (أ) والمُستثنَى بعد إلا (ب) مرفوعٌ، فإنّ البِنيةَ ستكونُ خاطئةً، وفي نفس السّياقِ يظهرُ منطقُ التّكافُؤ جليًّا وهو مبدأٌ يُعبّرُ عنه في الرّياضياتِ بعبارتَيْن (أ) و(ب) حيثُ العبارةُ تكونُ صحيحةً حينما تكونُ (أ) و(ب) صحيحتَين معا أو خاطئتَين معا، إذ تستلزمُ كلُّ عبارةٍ صاحبتَها وهو ما تُعبّرُ عنه بِنياتُ الاستثناءِ السّابقةُ، فكلُّ حالةٍ منَ الحالات تَستلزمُ صاحبتَها فتتكافآن.

وتظهرُ الخاصيّةُ التّجميعيّةُ الرّياضيّةُ في التّعبيرِ النّحويِّ في ظواهرَ لُغويةٍ مثلَ المصدرِ المُؤوّلِ المتآلِف تجميعيًّا من أن أو ما زيادةً على الفعل المضارعِ ليُشكّلا المصدرَ المُؤوّلَ معا (أن + يذهب = الذهاب)، ونجدُها في بِنياتِ الصّرفِ كالنّسبةِ التي تقتضِي زيادةَ ياءَيْن فَتَصيران ياءً مُشدّدةً على المخرجِ المُعجميّ (تونس + يّ= تونسيٌّ)، كما نَلمسُها في البِنياتِ الصّرفيّةِ الدّالّةِ على معانٍ مثلِ المُطاوعةِ والتّعديَةِ وقوّةِ اللّونِ وغيرِها [(إن + فعل = انْفَعَل (المُطاوعة) أ+ فعل = أفْعَلَ (التّعدية)]، وهو أمرٌ شبيهٌ بعمليات الجمعِ البسيطةِ (5+ 4 = 9)، ونجدُ الخاصيّةَ التَّبادُليّةَ الرّياضيّةَ حاضرةً في التَّعبيرِ النَّحويِّ مُتعلّقًا بقضايَا إعرابيّةٍ مثلَما يحصلُ تمامًا في مسائلِ التّقديم والتّأخير، ولعلَّ نموذجَ المدْحِ والذّمّ أسلُوبيًّا يظلُّ أوضحَ مثالٍ، فالقولُ: نِعْمَ الخُلُقُ الوفاءُ = الوفاءُ نِعْمَ الخُلُقُ، فالمخصوصُ يظلُّ مبتدأً والجملةُ الفعليّةُ تبقَى في موضعِ رفعِ الخبرَ سواءً بُدئَ بالمخصوص أو تأخّر ذِكرُه، وهو ما عبَّر عنه ابنُ هشامِ الأنصاريُّ بقوله : «زيدٌ نِعْمَ الرَّجُل »يتعيّنُ في زيدٍ الابتداءُ، و«نعم الرجلُ زيدٌ» قيل : كذلك، وعليهما فالرّابطُ العمومُ أو إعادةُ المبتدأ بمعناه على الخلافِ في اللّامِ أهي للجنسِ أم للعهدِ » (13) وبناءً على هذا التَّحليلِ الذي سُقناه نستطيعُ أن نبيِّنَ الآنَ أنَّ التَّعبيرَ التَّقعيديَّ عند علماءِ اللُّغة لم يخْلُ حقيقةً من نفَسٍ رياضيٍّ على غرارِ المنهجِ التَّحليليِّ ليُشكّلَ هو الآخرُ لبِنةً من لَبِنات بناءِ المنهجِ الرّياضيِّ في درسِنا اللُّغويِّ العربيِّ القديم، لذا فتأمُّلُنا لهذه التَّعابير وأمثالِها جعلَنا نَتلمّسُ الخصائصَ الواسمةَ للُّغةِ النَّحويّةِ الواصفةِ ذاتِ الطّبيعةِ المُتناسبةِ حيث يَعمدُ عالِمُ اللُّغة إلى مُراعاةِ المساحةِ النّصّيةِ للقاعدةِ اللُّغويةِ بما يَتلاءمُ مع مُقتضَى الكلامِ العربيّ دونَ أن يسمحَ لنفسِه بالتَّجزيءِ والامتدادِ إلى نطاقاتٍ بعيدةٍ أو يسمحَ لها بتضييقِ الخناقِ على القضيّةِ اللُّغويّة، فالقولُ مثلًا: يُبنَى الماضي على الضّمِّ إذا اتّصلت به واوُ الجماعة (فعلُوا) تعبيرٌ نَحويٌّ يتناسبُ

> **التَّعبيرُ التَّقعيديَّ عند علماءِ اللُّغة لم يخْلُ حقيقةً من نفَسٍ رياضيٍّ**

مع المفهومِ المرادِ إبلاغُه للطّالبِ دونما حاجةٍ إلى بيانِ تصنيفاتِ الماضِي من حيثُ الصّحةُ والاعتلالُ؛ لأنّ هذا سيقودُ إلى توسيعِ الدّائرةِ نحوَ النّاقصِ بالألف الذي يُفتحُ ما قبْلَ واوِ الجماعة فيه (دعَوا) وما يَجري فيه من إعلالٍ بخلافِ النّاقص بالواو أو بالياء (سرُوا ـ رضُوا من فِعْلَيْ سَرُوَ ورَضِيَ) .

كما تتّسمُ الصّيغةُ التّعبيريّةُ بصِبغةِ تجميعِ العناصرِ الجُزئيّةِ مُختصرةً ومُكثّفةً بما يخدمُ القضيّةَ اللُّغويّةَ عبْرَ المُلخّصاتِ كما نجدُ في تعبيراتٍ نحويّةٍ من قَبيل: يصاغُ اسمُ التّفضيل والتّعجّبِ بطريقةٍ مباشرةٍ إذا كان:

ـ الفعلُ تامًّا ـ مُثبتًا ـ ثلاثيًّا ـ مُتصرّفًا ـ مَبنيًّا للمعلوم ـ قابلًا للتّفاوُت ـ لا تأتي الصِّفةُ منه على وزن أفْعَل مؤنث فعْلاء ممّا دلَّ على لونٍ أو عيبٍ أو حِليةٍ.

ونلمسُ مثلَ هذه البِنيةِ التّقعيديّةِ في التّعبيراتِ الرّياضيّةِ التي تعمدُ إلى التّلخيصِ المُجزئِ النّاقلِ للشُّروطِ والقواعدِ الضّابطةِ المُحقّقةِ لصحّة النّسقِ الرّياضيِّ واللُّغويِّ كما في قول الخاصيّةِ الرّياضيّةِ الآتية:

يكون مثلثٌ قائمَ الزّاوية إذا وفقط إذا حقّق أحدَ الشّروطِ الآتية:

* مربّعُ وترُه يساوي مجموعَ مُربّعَيْ ضِلْعه.

* مربّعُ ارتفاعُه يساوي جداءَ القِطعتين اللتين يحدّدُهما هذا الارتفاعُ على الوتْر.

* مربّعُ ضلعُه يساوي جداءَ الوتر ومسقطُ هذا الضلعِ على الوترِ

*جداءُ الضّلْعين يساوي جداءَ الوتر والارتفاع.

وإن كان الاختلافُ بين المُحتوَى المعرفيِّ ظاهرًا بين التّعبيرَيْن اللُّغويِّ والرّياضيِّ بحيث إنَّ المثلّثَ قائمَ الزّاويةِ يشترطُ واحدًا من أربعة، بينما الصِّياغةُ المباشرةُ تشترطُ الشُّروطَ السّبعةَ كاملةً، فمقصدُنا من ذلك إنّما هو البِنيةُ التّعبيريّةُ نفسُها من حيث طريقةُ الصّياغةِ القائمةِ على الطّابَع التّكثيفيِّ في شاكلةِ المُلخّصِ التّقعيديِّ.

الهوامش

1 – الدكتور أحمد أمين، ضحى الإسلام، دارالكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط 10، 1ج، ص 292.
2 – المرجع السابق، ج 1 ص 294.
3 – الجاحظ عمرو بن عثمان، البيان والتبيين، دار الجيل، بيروت، تح: عبد السلام محمد هارون، ج 1 ص 111.
4 – ابن قتيبة، عيون الأخبار، المكتب الإسلامي، تح: منذر محمد سعيد أبو شعر، ج 2 ص 159.
5 – الجاحظ البيان والتبيين، 1 ص 121.
6 – د. أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج 2 ص 287.
7 – ابن جني، الخصائص، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، تح: محمد علي النجار، ج1 ص 366.
8 –الفارابي أبو نصر، الألفاظ المستخدمة في المنطق، دار المشرق، بيروت ـ لبنان، تح: محسن مهدي، ط 2، 1968، ص 104.
9 – أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري، النكت في تفسير كتاب سيبويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه، تح: رشيد بلحبيب، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج3 ص3.
10 – جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، شرح وضبط وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ج 1 ص 30.
11 – محمد بلبول، بنية الكلمة في اللغة العربية تمثيلات ومبادئ، منشورات فكر، ط 1، ص 249.
12 – الأستراباذي رضي الدين، شرح الشافية لابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، تح: محمد نور الحسن ومحمد زفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ج2 ص 40.
13 – جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، منشورات دار الفكر، ط 1 ، ص 724.

سورُ الشارقةِ القديم



شعر/علي الإمارة
عضو المجلس المركزي لاتّحاد الأدباء العراقيّين

من وحي زيارتي للشارقة

مازلتِ عالقةً في القلبِ والقلمِ ... فأنتِ شارقةُ الأحلامِ والهممِ
و أنتِ بارقةُ الأيامِ في أفقي ... تُضيءُ نافذتي بالبوحِ و الكلمِ
مدينةُ الشعرِ تغريني فأكتبُها ... قصيدةً من كلامِ الرملِ والحُلُمِ
يا للضفاف..! هنا ترسو قصائدُنا ... من بعدِ إبحارِها في الشّوقِ والألمِ
بُحَيْرَةُ النورِ بالرؤيا تراودُني ... حتى توزّعتُ بين الموجِ والبَلَمِ
كانت حماماتُ أشعارٍ تغازلُني ... فتستفيقُ ورودُ الحبِّ فوقَ فمي
حدائقُ الدهشةِ الأولى تزاحمُني ... وكلُّ ينبوعِ حبٍّ في البعادِ ظمي
دقّاتُ قلبِكِ موسيقى أَهيمُ بها ... تبوحُ لي بفمٍ للحبِّ مُبْتَسِمِ
وترسمُ الأملَ الموعودَ أُغْنِيَةً ... مثلَ اشتياقٍ على الأحداقِ مُرْتَسَمِ
ذكرى تباغتُ قلبي كلما سطعتْ ... وكمْ محبٍّ بسهمِ الذكرياتِ رُمي
جودي عليّ بوصلٍ كي أنامَ بهِ ... فإنّني من زمانِ الوصلِ لمْ أَنَمِ
من أوّلِ السورِ من برجِ المُنى بدأتْ ... حكايتي مثلُ سرٍّ غيرِ منكتمِ


بيت الشعر
Poetry House

هَدِيلُها في نَوَاحِي السُّورِ يَهْمِسُ بي :   أنَّ المسيرَ هنا كنزٌ من الحِكمِ
أَحْجَارُهُ قَدْ دَنَتْ مِنِّي تُحَاوِرُني   بلْ شاركتْ خطواتِ الزهوِ في قَدَمي
فالسّورُ يمشي معي يحكي هواجسَهُ   كأنما بيننا حبلٌ مِن الرحمِ
ما كنتُ أَدْرِي وقدْ فاضتْ حكايتُهُ   مِن الحداثةِ تأتيني أم القِدمِ..؟
والبحرُ خلفي يناديني فأسمعُهُ   يقولُ هذا طريقُ العزِّ والشِّيمِ
مازلتُ أحملُ صحرائي على لُغتي   و لمْ أزلْ ضاربًا في سحرِها خِيَمي
فإنّني قادمٌ من ضَفَّةٍ هرمتْ   بعضُ الطفولةِ محسوبٌ على الهَرَمِ
سورٌ قديمٌ من الأحجارِ يمنحُني   حبًّا جديدًا كسيلٍ في الرؤى عرِمِ
وكنتُ أسمعُ صوتَ المجدِ منبعثًا   من شهقةِ الطينِ أو من خفقةِ العَلَمِ
يا أيّها السورُ خذني برق أغنيةٍ   يأتي من الصحوِ أو يأتي من الدِّيَمِ
و رحتُ أمشي مع السورِ القديمِ هَوًى   حَتَّى وَصَلْتُ (لِبَيْتِ الشِّعْرِ) * وَالنَّغَمِ
دخلتُهُ فإذا بي صرتُ قافيةً   وصرتُ بَحْرَ شعورٍ في عَروضِ دمي
لَمَحْتُ فوقَ حصيرِ البَوْحِ أسئلةً   تُلقي بها شرفاتُ الروحِ للقمَمِ
أُدْخُلْ معي إنّ بيتَ الشعرِ منعطفٌ   إلى الجمالِ ومرقاةٌ إلى القِيَمِ
والشعرُ يا صاحبي ديوانُ أمّتِنا   تزهو به بين أهلِ الأرضِ والأُمَمِ


قلب الشارقة
Heart of
Sharjah

جَفاءُ أبناءِ العَربيّةِ

إنّ توظيفَ العربيّةِ في الوطنِ العربيّ باتَ ضئيلًا، -فنحنُ أهلَها النّاطقين- بها لا نستعملُها إلّا في النّدواتِ والمُؤتمراتِ والمُلتقياتِ العلميّةِ، وفي المدارسِ مع المُتعلّمين بصفتِنا معلّمِي اللّغةِ العربيّةِ، في حين يفرُّ منِ استِعْمالِها المُتعلّمون في جميعِ المراحلِ الدّراسيّةِ، وتعدّى الأمرُ ذلك فوصلَ إلى الجامعاتِ وخاصّةً المتخصّصين فيها، فلا يستعملُها طلبةُ الجامعةِ إلّا في أثناءِ إلقاءِ بحوثِهم، واسْتِعْمالُهم لها يندى لهُ الجبينُ، فلا تعرفُ ماذا ستصحّحُ للطّالب وماذا تتركُ، هل تُقدّمُ ملاحظاتِك حول أخطائِهم المَنهجيّةِ أم المعرفيّةِ؟ أم تنتقلُ بذلك إلى تصحيحِ أخطائِهم اللّغويّةِ؟



د/ إيمان جباري
أستاذ محاضر/الجزائر

إنّهُ عبءٌ كبيرٌ يُثقِلُ كاهلَ الأستاذِ الّذي يجدُ نفسهُ أمام طلبةٍ قد لا يفهمُون كلامَه حتّى...

نشأَ النّحوُ العربيُّ في الجزيرةِ العربيّةِ نشأةً طبيعيّةً، فقد تكلّمَ العربُ لغتَهم سليقةً، وكانتِ العربيّةُ هي اللّغةَ

الّتي يسعَى الآخرون من غيرِ العربِ إلى تعلّمِها، وذلك لأنّ أصحابَها كانوا ذوِي نفوذٍ وسلطانٍ، فقد كانت تجارةُ العرب نشيطةً آنذاك، وكانت تُقامُ الأسواقُ ليتوافد إليها النّاسُ من شتّى الأمصار، كما كانت تُقامُ النّدواتُ الأدبيّةُ من إلقاء الأشعارِ ونقْدِها، ثمّ أشرقتْ شمسُ الإسلام، ونزلَ كلامُ اللهِ ليبيّنَ أنّ الإسلام دينُ النّاس كافّةً، ولم يهتمَّ العربُ بلُغتِهم إلّا حين تعرّضَ القرآنُ للّحنِ، فأصبحَ من واجبِ المسلمين الحفاظُ عليه، واختلفتِ الرّواياتُ في نشأة النّحوِ العربيِّ إلّا أنّ الرّاجحَ هو أنّ أبا الأسودِ الدّؤليَّ كان له فضلُ السّبقِ في أوّلِ محاولةٍ لظهورِ النّحوِ وبدايتِه، بوضعِه نُقَط الإعراب.

وقد سعَى العلماءُ للحفاظِ على اللّغةِ العربيّةِ بعد أن مسَّها اللّحنُ نتيجةَ الاختلاطِ بالأعاجمِ، منهم من ألّفُوا في هذا المجالِ فبقيت كتبُهم تُرشِدُ الرّاغبين في تعلّمِ العربيّةِ، فقد ضمّتْ أُسسَ العربيّةِ وقواعدَها، ومنهم من كانت لهم آراءٌ نحويّةٌ بُثّت في مؤلّفاتِ غيرهم، أمثال: عبدِ اللّه بن أبي إسحاقَ الحضرميِّ (ت117هـ)، وعيسى بنِ عُمَرَ (ت149هـ)، وأبي عَمْرو بنِ العلاء (ت154هـ)، والخليلِ بنِ أحمد الفراهيديِّ (ت175هـ)، ويونسَ بنِ حبيب (ت204هـ)، وهذا في المرحلة الثّانية الّتي مَرَّ بها النّحو العربيُّ، وهي مرحلةُ الازدهار الّتي استُقرئتْ فيها القواعدُ من أفواهِ الفُصحاء.

إنّ واقعَ تدريسِ اللّغةِ العربيّةِ يشهدُ تدنّيًا واضحًا لا يختلفُ حولهُ اثنان، ممّا أدّى إلى عدمِ ترسيخِ اللّغةِ العربيّةِ، أصبحنا نعلّمُ أبناءنا لغتَنا في المدارسِ،



هذه اللّغةُ الّتي كانت منذُ زمنٍ بعيدٍ سليقةَ العرب وفطرتَهم، أمّا الآن فقد تعدّدتِ اللّهجاتُ الّتي يتواصلُ بها العربُ فابتعدوا عن لُغتِهم، وبذلك تلاشتْ سليقتُهم شيئًا فشيئًا، وأصبحت الفُصحَى تُستَعمَلُ في المؤسّساتِ التّعليميّةِ والجامعاتِ والمعاهدِ فقط، بينما يجرِي التّعاملُ بغيرِها في المنازلِ والأسواقِ والشّوارعِ، فالعاميّةُ المستعملةُ منذ الصّغرِ هي سليقتُنا، وبذلك نحن في وضع ازْدِوَاجِيّةِ اللّغةِ الّذي له سلبيّاتٌ على عمليّة تعلّمِ اللّغةِ، وهو الأمرُ الذي جعلَ علماءَ اللّغةِ يبذلُون جهودًا كبيرةً لإيجادِ أنجحِ الطّرائقِ لتعليم العربيّةِ.

ثمّ إنّ للّغةِ ثلاثةَ مستوياتٍ، ذكرها نهادُ الموسى؛ أوّلُها: المُستوى الأعلى وهو الفُصحى والّتي نتمثّلُها ونسعَى لتحقيقها، ثم المُستوى بيْنَ بيْنَ، وهو المُستوى الّذي يُستعملُ في أوساطِ المثقّفين، وهو المستوى الّذي نتواصلُ به في النّدوات والمُؤتمرات مثلًا، ثم مُستوى العاميّة وهو المستعملُ في تواصُلِنا خارجَ الأماكن الرّسميّة، والغرابةُ الّتي يشعرُ بها المتعلّمون أمام لغةِ مُعلّمهم أو طبيعةِ حديثِه معهم تجعلُك في حيرةٍ كبيرةٍ، كيف لأبناء لُغةٍ أن يبتعدوا عنها ابْتعادًا رهيبًا، حتّى يصبحُوا ناطقِين بها على مضضٍ! بل أكثرُ من ذلك فهم يَسخرون منَ النّاطقِ بها، ويتهكّمون على فصيحِ اللّسانِ.

دائمًا ما يُثارُ هذا الموضوعُ مع طلبةِ التَّخَصُّصِ، فيزعمُ أحدُهم أنّه لا حاجةَ لنا بالنّحوِ في ظلِّ وضوحِ المعاني، ظنًّا منه أنّ المعنى يتوضّحُ دون قواعدَ نحويّةٍ، وآخرُ من خلالِ تَسْويغِهِ تُصنّفُه من أنصارِ دُعاةِ العامِّيّةِ زاعمًا أنّ استعمالها أيسرُ وأبلغُ، وترى في عيونِ البعضِ حسرةً وألمًا على الواقع الّذي آلت إليه العربيّةُ فيدافعُ عنها، وفي عيون الآخرين ترى خليطًا من اللّامبالاة وعدمِ التّعاطف، لا حياةَ لمن تنادي، فقد تشبّعوا بهذه التّوجّهات السّلبيّة.

العربية بين عقوق الأبناء وجفاء الآباء، وآمال الأصفياء



نهاد موسى

إنّ النّحوَ أساسُ اللّغةِ العربيّةِ، وُضِع لصَونِ اللّسانِ العربيِّ منَ الفسادِ، فهو كالملحِ في الطّعامِ، وقد تغنّى به الشّاعرُ في قوله:

النّحوُ يُصلحُ من لسانِ الألكَــن
والمــــــرءُ تُكرمُهُ إذا لم يلحنِ
وإذا طلبتَ منَ العلــومِ أجلّها
فأجلُّها منها مُقيمُ الألسُــن

كيف لغير الحاملين للّغةِ أن يحملوا لواءَ تعليمِها للأجيالِ اللّاحقة؟ ! هي مسألةٌ عويصةٌ تحتاجُ إلى تَضافُرِ الجهودِ والتّنسيقِ بين الأعمالِ في هذا المجالِ حتّى تجدَ صدًى.

الجهودُ الهادفةُ إلى النّهوضِ بالعربيّةِ متواصلةٌ، وهي جهودٌ على مستوى الأفرادِ والمؤسّساتِ، لا نستثني جهودَ أحدٍ، فالمعلّمُ يسعى إلى الرّقيِّ بالعربيّةِ، والكاتبُ يظهرُ جهدُه في إبداعه وإنتاجِه، والأولياءُ في حرصِهم على تعليمِ أبنائهم لغةَ دينهم، والمتخصّصون يبرزُ جهدُهم في وضع المعاجمِ والمُؤلّفات لنشر العربيّةِ، وكلُّها جهودٌ مباركةٌ، إلّا أنّ الوضعَ باقٍ على حاله، والحلُّ في نظرنا يكمنُ في تَصالحِ المرءِ مع لُغته، ونحنُ نخصّصُ حديثَنا هنا حول طلبةِ التّخصّص، والمتعلّمين في المراحل التّعليميّة المتأخِّرةِ كالثّانويّة؛ لأنّ المُتعلّمَ في هذه المرحلةِ يستطيعُ تمييزَ الأمورِ وتفحُّصَها، لذا هو قادرٌ على تحمّلِ مسؤوليّةِ تعلّمِه لُغتَهُ الأمَّ، فتتكوّنُ له إرادةٌ يستطيعُ بها تخطّي العقباتِ، فيبدأُ في تعلّمِ قواعدِ العربيّةِ بالطّريقةِ الّتي يراها العلماءُ والباحثون مفيدةً وناجعةً، وممّا يؤتي نتيجةً إيجابيّةً أن لا تؤخذَ اللّغةُ قواعدَ صِرفةً، وإنّما تؤخذُ سماعًا، فالاستماعُ أُولى مهاراتِ تعلّمِ اللُّغات، وهو أوّلُ الملَكات كما يقولُ ابنُ خلدون، فيكونُ برنامجُ تعلّمِ العربيّةِ وَفقَ مراحلَ أوّلُها الاستماعُ إلى آيِ القرآنِ الكريم، والأحاديثِ النّبويّةِ الشّريفةِ من أفواهِ النّاطقين بسلامةٍ ووضوحٍ وسَلاسةٍ، إضافةً إلى الاستماع إلى كلامِ العربِ من أشعارٍ وأمثالٍ وحِكم، ثمّ محاولةُ التّحدّثِ ولو بدرجةٍ أقلَّ ممّا هو متوقّعٌ، الأهمُّ هو المحاولةُ والتّكرارُ دون مللٍ، بعد توظيفِ اللّغةِ نطقًا يلجأُ المُتعلّمُ إلى فكِّ الرّموزِ وقراءةِ النّصوصِ بتمعّنٍ، ثمّ الكتابةُ، وبذلك يتمكّنُ من امْتلاكِ ناصيةِ اللُّغة.

والمهاراتُ هذه قابلةٌ للتّنميةِ والتّطويرِ، وذلك بتوظيفِها، وباعتمادِ المخاطبَةِ، فنتعرّفُ بذلك على خصائصِ اللّغةِ وأسُسِها، ونوظّفُها في عمليّةِ التّخاطبِ، ونشجّعُ عمليّةَ الحفظِ لتثبيتِ المعارفِ في الأذهانِ، كحفظِ المُتونِ النّحويّةِ، والمطالعةِ لتنميةِ الزّادِ المعرفيِّ والثّقافيِّ وملءِ الفراغِ بما يُفيدُ.

يجبُ أن تكونَ الفكرةُ الأساسُ الّتي ننطلقُ منها هي أنّ النّحوَ وسيلةٌ وليس غايةً في حدِّ ذاته، وهو ما يذكرُهُ الباحثُ هيثمُ الوزير؛ فعلومُ العربيّةِ كالنّحوِ والصّرفِ والأصــواتِ والدّلالةِ هي علومُ آلةٍ، والغايةُ السّاميةُ منها هي إتقانُ العربيّةِ مُحادثةً وقراءةً وكتابةً، فهي خادمةٌ للفهمِ والإدراكِ، فالمنشارُ مثلًا لا يفيدُ إلّا إذا اسْتعملهُ النّجّارُ، والأمرُ هذا ينطبقُ على العلومِ، والواجبُ هنا أن نجعلَ علومَ الآلةِ في خدمةِ اللّغةِ العربيّةِ.

يذكرُ الباحثون عدّةَ أسبابٍ في تشخيصِ الضّعفِ الّذي



تُعاني منه العربيّةُ، وأوّلُ هذه العواملِ تكونُ من نصيبِ المُعلّمِ، فقد يكونُ غيرَ متمكّنٍ منَ المادّةِ العلميّةِ، وقد لا يُحسنُ اختيارَ الطّريقةِ المُناسبةِ لتقديمِ درْسِهِ، وقد لا يُحسنُ التّعاملَ مع المُتعلّمين فيبتعدُ عنهم لتكونَ النّتيجةُ هي ابتعادُهم عنِ اللّغةِ، وهو الحاصلُ ولا نُنكرُ هذا، أمّا ما نراهُ أَولى بالذّكرِ فهو عدمُ اهتمامِ المتعلّمين بلُغتهم، لا يبذلون جُهدًا في تعلّمِ اللّغةِ، ولا يحرصون على تطبيقِ مُكتسباتِهم الّتي ينسونَها بمجرّدِ انْتهاءِ الحِصّةِ، هذه بعضُ الأخطاءِ الّتي يرتكبونها للتّمثيلِ فقط، ويكونُ التّخطيطُ اللّغويُّ حلًّا إذا كان شاملًا بإعادة هيكلةِ البرامج، وإدراجِ النّصوصِ التّراثيّةِ في الكُتبِ المدرسيّةِ، ونجاعةُ هذا الحلِّ تكمنُ في المتعلّمِ ذاتِه، فإذا لم تتجدَّدْ عزيمتُهُ، وإذا لم يُسخّر نفسَه في سبيلِ خدمةِ العربيّةِ فلا فائدةَ تُرتجَى من أيِّ حلٍّ.

اللّغةُ هي الوجودُ، فلا وجودَ للإنسانِ دون لُغته، هي الهويّةُ والتّاريخُ والدّينُ والعاداتُ، هي مبادئُ إذا لم يحملْها الشّخصُ في قلبه لن نستطيعَ تغييرَ الواقعِ بأيّةِ وسيلةٍ، لذا فالتّغييرُ يبدأ منك ومنّي، بأن تصبَّ اهتماماتِك على المَجالاتِ اللُّغويّة، فتتمرّنَ على تراكيبِ اللّغةِ، وتطالعَ ليَثْرَى رصيدُك اللّغويُّ... وجبَ على كلِّ عربيٍّ أن ينفضَ عنه غبارَ التّبعيّةِ للغربِ ويسعَى لِفرضِ نفسِه ولُغتِه في المواقف الّتي تُثبِتُ شخصيّتَه العربيّةَ الأصيلةَ، لا نُقصِي بهذا التّشبّثِ بالعربيّةِ الاطّلاعَ على ثقافاتِ الغيرِ وتعلّمَ لُغاتِهم، فمن تعلّمَ لغةَ قومٍ أَمِنَ شرَّهم.

أنَا في حِمَاكَ



شعر/أحمد إبراهيم ديّوب
خبيرٌ لُغويٌّ مختصٌّ بشؤونِ الشِّعرِ والنَّقدِ

مُهْداةٌ إلى صاحبِ السّموِّ الشّيخِ الدّكتورِ سلطان بن محمّد القاسميّ

حَلِيَ البَيانُ يُشَنِّفُ الآذانا   الشِّعْرُ مَجْدُكَ حِكْمَةً وبَيانا
النُّعْمَياتُ المُتْرَفاتُ تَأَنَّقَت   وتعطَّرَتْ مِنْ كَفِّكُمْ إحْسانا
القاسميُّ لأَنْتَ صِبْغَةُ خالِقٍ   لِتُضيءَ شارِقَةٌ بِكَ الأَكْوانا
هِيَ جَنَّةُ الدُّنيا وفِرْدَوسُ المُنى   يا سِحْرَ حُسْنٍ يَخْلُبُ الوجدانا
فازَ العُفاةُ اللائذونَ بأهلها   يلقَونَ من عَسْفِ الزَّمانِ أمانا
أنا بُلبُلٌ يَطْوي البِلادَ مُشَرَّدًا   يَهْفو إلى جَنّاتِكُم لَهْفانا
لَإِخالُ يجري بالمودّةِ رَمْلُها   تِبْرًا مُذابًا أو يَرِفُّ جِنانا
أنا إن أَتَيتُكُمُ أُبارِحُ غُربَتي   وأَصوغُ من وَجَعِ النّوى ألحانا
أنا إِنْ أتَيتُ...على مسارِحِ مَوْطِني   وأُعانِقُ الأهلينَ والخِلّانا
سُلْطانُ سُلْطانَ الثّقافةِ مرحبًا   يا مَنْ سَتَبْقى للنَّدَى عُنْوانَا
أنا في حِماكَ فلا الأسى بِمُقارِبي   أَبَدًا ولا كَمِدًا أُرَدُّ مُهانا
فِكَرٌ إذا خَطَرَتْ لِقَلْبي خِلْتُهُ   هَجَرَ الأضالِعَ مُمْعِنًا هِجْرانَا
كيفَ السَّبيلُ لِأنْ أَبُثَّكَ لَوعَتي؟   فَلَوِ اسْتَطَعتُ نأى المصابُ وهانا



قَدَرٌ رَحيمٌ نَحْوَ بِرِّكَ ساقَني ... حتّى حَمِدْتُ الخَوفَ والأحْزانا

هذي القصائدُ طيَّبَتْها بالشّذا ... شِيَمٌ لَكُمْ لِتعطِّرَ الأكوانا

أَحْيَيْتَ إنْسانِيَّتي وبَعَثْتَها ... لَمَّا احْتَضَنْتَ الشّاعرَ الإنسانا

نفسي التي ضاعَتْ لَديكَ وجَدْتُها ... حَقَّقْتُها حُرِّيَّةً وكِيانا...

صَغُرَتْ لَكَ الدّنيا بلادًا إنّما ... أنتَ الذي زيَّنْتَها سُلْطانا

والشّعْبُ شَعْبُكَ لا مَدى لِودادِهِ ... تَندى الحياةُ بِقُرْبِهِ تَحْنانا

قلبي وشعري واخضرارُ مشاعري ... أَنْحَلْتُها لِسُرورِكُمْ بُسْتانا

يا موطنًا غَمَرَ الوجودَ بِنورِهِ ... بِشْرًا فَأَضحى مشرقًا جَذْلانا

وغدا بسُلطانِ المفاخِرِ زاهيًا ... أبدًا يَشيدُ المَجْدَ والعُمْرانا

طابَتْ شمائِلُكُم تُعَطِّرُ بالشّذا ... شِعري فَيَعْبَقُ نَفْحُهُ ريَّانا

وأرى النَّعيمَ الشّارِقِيَّ مُعانِقًا ... وأَراهُ ثَمَّ الرّوحَ والرَّيْحانا

فَأطالَ عُمْرَكَ مَنْ أَغاثَ بِكَ العُلا ... وجَلا بِحُلْمِ لِقائِكَ الأحْزانا

أَوصَدْتُ بابَ العُمْرِ عَتَّمَهُ الأسى ... وبدأتُ عُمْرًا بالسُّرورِ الآنا

وترَكْتُ للنَّفْسِ المُنَى لا تشتهي ... شيئًا كَطيبِ لقائِكُمْ عَجْلانا

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

إصدارت مجلة العربيّة لساني السابقة













المدينة الجامعية - الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

مبنى مجمع اللغة العربية - الدور الأول

هاتف : 400 60 51 6 971+ , فاكس : 410 60 51 6 971+ , ص.ب : الشارقة ، 1973

البريد الإلكتروني : info@alashj.ae , الموقع الإلكتروني : www.alashj.ae

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

الإعلان عن التّرشّح لجائزة الشّارقة للدّراسات اللّغويّة والمعجميّة

الدورة السادسة 2023م

جائزة الشّارقة للدّراسات اللّغويّة والمُعجميَّة

Sharjah Linguistic and Lexical Studies Award

يُعلنُ مجمع اللغة العربية بالشارقة عن فتح باب الترشح لجائزة الشّارقة للدّراسات اللّغويّة والمعجميّة في دورتها السّادسة 2023م بتقديم بحوث منشورة لها رقم نشر دوليّ في محورين رئيسين ومُحدّدين، هما:

المحور الأوّل: الدّراسات اللغويّة:

الدّراسات التي تناولت تَعَلُّمَ اللّغة العربيّة وتعليمها لأبنائها ولغير أبنائها.

المحور الثّاني: الدّراسات المعجميّة:

صناعة المعجم اللّغويّ: دراسةً وتأليفًا.

تُمنح الجائزة لأربعة فائزين: اثنين في الدّراسات اللغوية واثنين في الدراسات المعجمية:

الجائزة الأولى: 30 ألف دولار

الجائزة الثّانية: 20 ألف دولار

لمزيد من المعلومات يُرجى الدخول على موقع الجائزة:

shj-arabic-award.shj.ae

